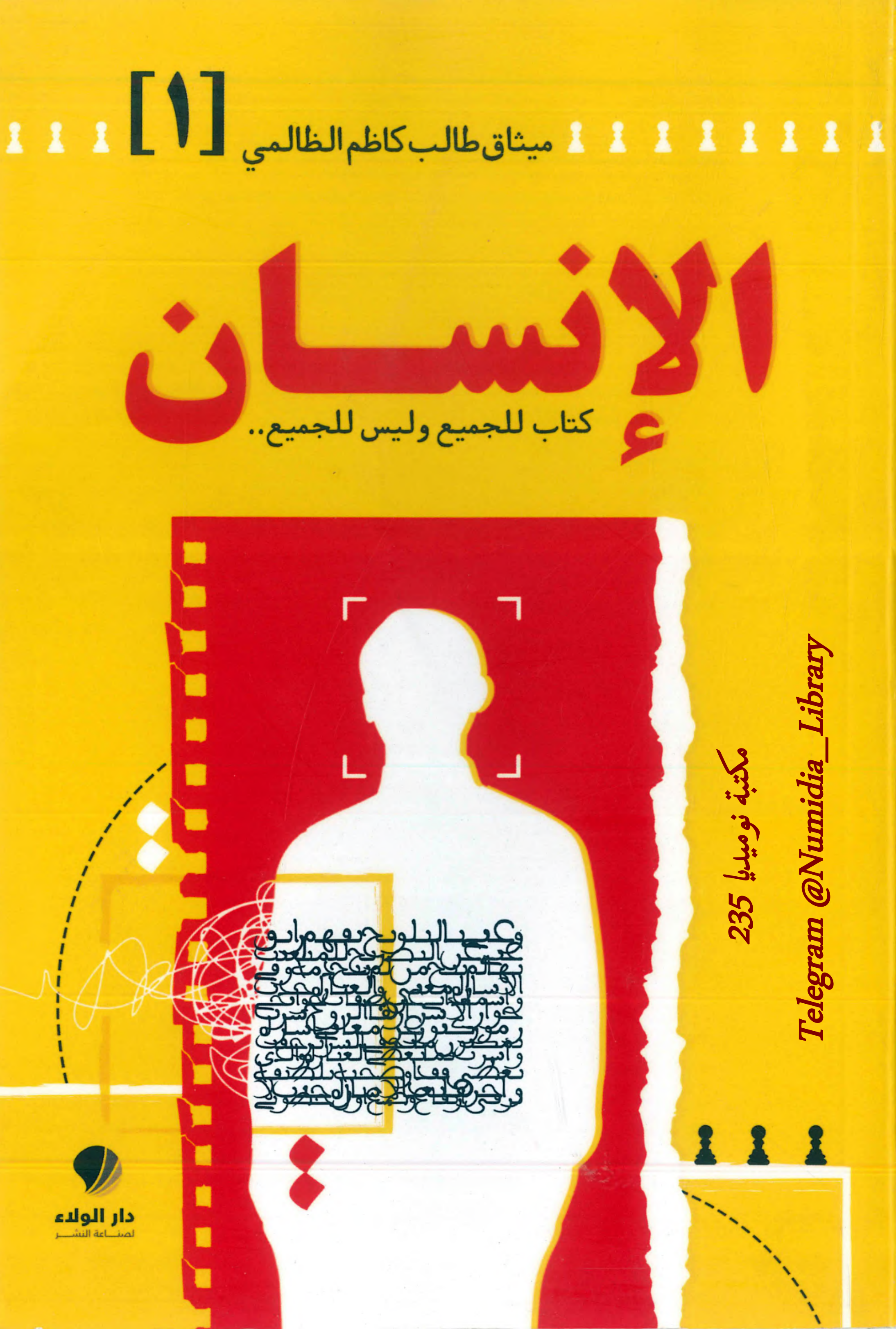

[1]
ميثاق طالب كاظم الظالمي
الإنسان
كتاب للجميع وليس للجميع..
دار الولاء
لصناعة النشر

ميثاق طالب كاظم الظالمي

# الإنسان

[الجزء الأول]



دار الولاء
لصناعة النشر



# المحتويات

# تعريف بالكتاب

لم يُكتب هذا الكتاب لطبقة بشرية دون طبقة أخرى ولم يُكتب لعرق بشري دون عرق آخر أو اتجاه ديني دون اتجاه آخر أو مستوى ثقافي دون مستوى آخر أو توجه عقائدي دون توجه آخر أو اعتناق لدين سماوي أو دين غير سماوي أو اتجاه مذهبي دون اتجاه آخر، فهو لم يأخذ على عاتقه تبني أي فلسفة سواء كانت فلسفة دينية أو غير دينية، ولم ينتصر لأي اتجاه سواء كان اتجاهاً علمياً أو فكرياً أو إلحادياً أو دينياً، ولم يخاطب مستوى ذهنياً معيناً دون مستوى آخر ولم يخاطب تخصصاً علمياً محدداً أو توجهاً فكرياً مقصوداً، فهو لا يحتاج الى درجة علمية لفهمه ولا الى مستوى تعليمي لتعقله ولا الى درجة ذكاء للغور في أفكاره كما أنه لا يحتاج الى شرح لمفرداته، ليس لأنه سهل بل لأنه لا يوجد له شارح إلا القارئ نفسه، كما أنه ليس كتاباً صعباً ولا كتاباً معقداً، لكن يمكن للقارئ أن يجعله معقداً ويجعله صعباً فهو متعلق بالقارئ نفسه لا بالكتاب، إذ إن القارئ يستطيع أن يقرأه من البداية أو المنتصف أو النهاية ومن اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين، فالكتاب لا يحتوي على فصول ولا يتضمن ابوابا أو اجزاءً، فالكتاب ليس مترابطاً بأجزائه وهو مترابط في فلسفته وغايته ومتلاحم في الجمع بين مقالاته.

قد يجد القارئ تناقضات بين أفكار هذا الكتاب إلا أنها ليست كذلك، وقد يجد تكراراً بين مقالاته إلا أنه ليست كذلك، وقد يجد ركاكة في بعض عباراته إلا أنها ليست كذلك، وقد يجد مللاً في عرضه إلا أنه ليس كذلك.

هو كتاب يحتاجه كل أحد وهو كتاب لا يحتاجه أي أحد، هو كتاب لا يحتاج الى أي مؤونة علمية وهو يحتاج الى كل مؤونة، هو كتاب للجميع وليس للجميع...

# المقدمة

بدأت فكرة كتابة كتاب (الإنسان) تجول في خاطري بعد كتابتي لسلسلة من ورقات البحث المُتسلسلة الخاصة بفلسفة العلم والتي تناولت عدة مواضيع (فلسفية علمية) متنوعة ذات طابع تفكيري مجرد استغرق مني كتابتها فترة ليست بالقصيرة، كما أنها قست على شيء من تفكيري بعد دخولي في تفاصيلها فقدمت للقارئ الكريم من خلالها أسلوباً تفكيرياً متحرراً من قيود المناهج البحثية التقليدية المتعارفة أو مترفعاً على أدواتها البحثية، فهي ورقات بحث ذات طابع تفكيري بحت وذات مهمة محددة، فهي تأخذ الباحث المتحرر في رحلة بحثية مع تفكيره البشري الخالص والخالي من كل إضافات إلا تلك الاضافات الموضوعية المتعلقة بالمادة البحثية المعروضة في كل ورقة، إضافة الى ذلك فإنها تركت منطقة النتائج النهائية والخلاصة البحثية في يد القارئ نفسه يتطلع إليها بتأملاته ويعيد بناء معرفته بوحدة تفكيره من دون تعريضه إلى تأثير فكري خارجي أو توجيه قسري.

ورغم كل ما تحمله تلك الورقات من ميزات وخصائص ذاتية، إلا أن بعض ميزاتها تبقى عينها نقاط ضعفها وبعض صفاتها هي نفسها مواطن عيوبها وربما أهم النقاط التي ألاحظها على تلك

الورقات أنها لا تقدم للقارئ علامات معرفية واضحة الدلالة ولا تسعفه بعد ولادة التساؤلات في ذهنه إلى الانتقال الى فلسفة ثابتة النتائج في نظرته إلى الأشياء من حوله مما يجعل تلك الورقات باستقلاليتها تقدم نفسها للقارئ كنتاج علمي مشكك لا يستقر على رؤية ولا يهتدي بدليل، كما أنها تقدمني كباحث ناقص البحث لم يصل إلى نتائج بعد جولاته البحثية الطويلة الأمد والحابسة للأنفاس والمدخلة للفكر في دوامة من العذاب التأملي والجحيم التدقيقي، علما أني لست كذلك بطبيعة الحال، إذ إني في ورقات البحث حاولت أن أؤسس على معرفة جديدة تتجاوز حدود معرفة التفكير التقليدي وتتخطى حدود الاستدلال البحثي، وذلك التأسيس تطلب مني أن أحاكم بشدة وبلا مسامحة لكل ما يستقر عليه المنطق العقلي وما يتكئ عليه الفكر البشري كونها اتكاءات قابلة للمناقشة لمن نقاشها مسكوت عنه اليوم في صخب البحث العلمي الاكاديمي الحديث وغير مسموعة الصوت تحت ضجيج صرخات تعظيم العلم وتكنلوجيا اليوم في زماننا، وذلك التأسيس قد لا يلحظه القارئ المطلع على ورقات البحث بصورة مباشرة للوهلة الأولى لكنه ينغرس في عقله ويترك أثراً في أعماقه بعد فهمه لتلك الورقات وإحاطته بها، وبعد أن أتممت شيء من مهمة تلك الورقات وأسست إلى مراجعة ثقة العقل بتلك الأدوات الفكرية وجدت أن تلك النتيجة وحدها غير كافية لجعل الإنسان يبني منظومته المعرفية بعيدا عن أدوات الفكر التقليدية لذا تطلب الأمر مني أن أجعل القارئ يبحث عن المعرفة في مكان آخر يختلف في كنهه عن مكان تلك الأدوات التي بان عدم اكتمالها

ومتوسلاً بعوالم الإنسان الداخلية كدليل له لكشف أسرارها، تلك الأسرار الداخلية التي يتعاطاها الإنسان في عقله وتزامنا مع انفعاله المستمر مع محيطه واستضاءة مع انقداح الومضات العلمية الخاصة به.

وهنا ربما يعترض معترض بأن تلك الومضات أو الانكشافات ليست ذات قيمة علمية كونها شخصية وليست ذات اثر يعتمد عليه كونها ذاتية، وأنا أتفق مع هذا الكلام والاعتراض وأتجاوب مع هكذا نقاش ولا أملك جواباً للمعترض سوى تركه يقرأ الكتاب الذي بين يديه ويتمعن ملياً في كلمات الافكار المقدمة إليه، فإن هذا الكتاب لا يطلب من القارئ سوى القدرة على القراءة ولا يطالبه بأي شيء آخر كونه كتاباً كتب للجميع فهو كتاب كُتب للإنسان دون قيود ودون إضافات فهو كتاب يترفع عن أي تحصيل يناله الإنسان ولا يحتاج لقراءته إلى أي شرط أو قيد فهو لا يحتاج من قارئه إلى حيازة أي تحصيل علمي أو مستوى تعليمي أكاديمي كما أنه لا يحتاج إلى أي انتماء عرقي أو ديني أو مذهبي ولا يطلب من المتأمل بين صفحاته إلى قوة فكرية خاصة لالتقاط ما خفي بين طياته.

إن هذا الكتاب لا يحتاج سوى إلى إنسان ولا يحتاج إلى أي شيء آخر ليفهمه بعمق وليكشف كل شيء فيه، فهو كتاب للإنسان كتابة وقراءة ودليلاً ونتائجاً.

لكن إذا لم تكن هنالك رغبة جادة للاتصاف بهذه الصفة العظيمة فأنا أنصح القارئ ألا يقرأ هذا الكتاب حتى تتولد عنده تلك الرغبة

بشكل جاد ويبذل الجهد في سبيل تحقيقها بمنهج متجدد لا يخلو من الجد والاجتهاد.

وبعد أن تطرقت الى فلسفة نشوء كتاب (الإنسان) والجذور الفكرية لكتابته فلا يفوتني أن أخبر القارئ أن ما كتبته في هذا الكتاب عن الإنسان لا يتجاوز الواحد بالألف من الأفكار التي كانت مقرر لي أن اكتبها في أجزائه اللاحقة كما أن الكتاب لا يحتوي على أي فصول لأنه كتب بطريقة تجعل القارئ يستعمله بأي كيفية من دون الحاجة الى تسلسل الافكار إذ أن القارئ يستطيع قراءته من اليمين الى اليسار ومن الوسط الى أي جهة اخرى وهذا يقع من دون أن يتوقف آخره على أوله ولا أن يمهد أوله إلى آخره ولا هو بحاجة إلى تسلسل فكري يبين مواضيعه المتتابعة.

إن كل ما يحتاج القارئ في هذا الكتاب هو صفات يتصف بها يشعر بها ولا يراها يعلم بوجودها ولا يستطيع أن يعبر عنها ويبقى الانسان هكذا حتى يأتي هذا الكتاب ليجيب استفهاماته ويتكلم بلسانه ويدله على ما شغل تفكيره.

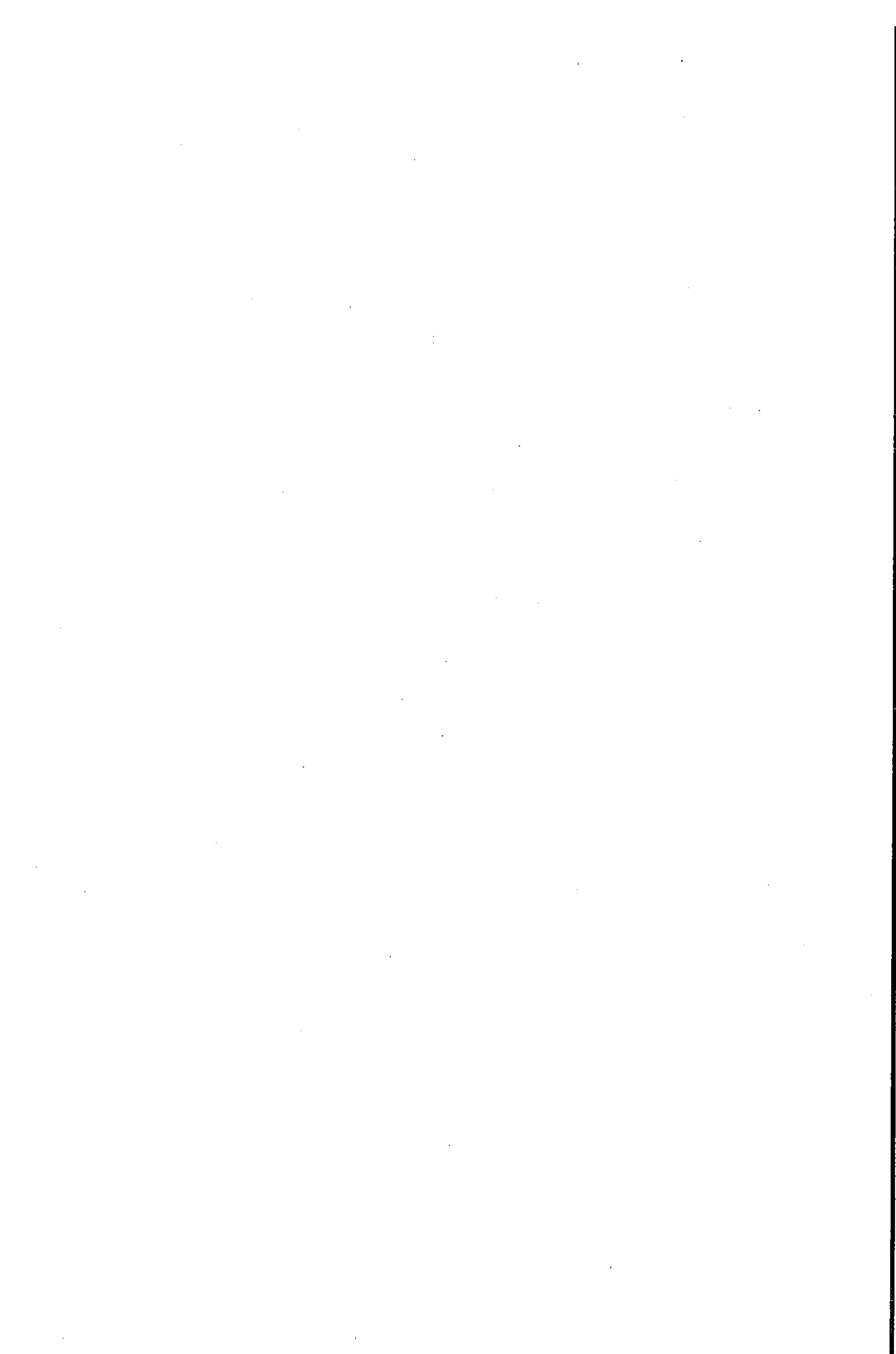
فكتاب الإنسان هو كتاب حي يتكلم مع قارئه بصفات قارئه نفسها لا بلسان كاتب هذه السطور.

وأخيراً لا يسعني سوى أن أقدم شكري وامتناني إلى الجنود المجهولين الذين أعانوني في طباعة هذا الكتاب وإخراجه إلى النور وهم وإن كان يريحهم عدم ذكر أسمائهم ولا الإشارة إليهم بألقابهم إلا أنهم لم يغيبوا عن تفكيري في كل لحظة زمن سار بها هذا الكتاب كي يبصر النور لكن ليعلموا أنهم أقرب إلى نفسي من

نفسي، فهم خدموني وأنا لم أخدمهم وأعانوني وأنا مقصر معهم وتهافتوا لإظهار الكتاب إلى النور وأنا أقل همة منهم، فهم أخوتي الذين أعتبرهم هديتي التي لا أستحقها في هذه الحياة وهم امتدادي الحقيقي بعد مغادرتي لها بعد الممات.

ميثاق طالب كاظم الظالمي

٢٠١٩/٤/١٤



# توطئة

أيها القارئ الكريم...

إعلم أنَّ هذا الكتاب قد كُتب للإنسان دون غيره...

فلا تتعجل في كل شيء فيه.

**ميثاق طالب كاظم الظالمي**

١٢/ ١٢/ ٢٠١٨ م



[ 1 ]

# نحن وعالمنا

إن العالم الذي نعيشه ونحياه وبطريقة لاشعورية منا يؤثر في تغيير مفاهيمه نحونا، وتغيير المفاهيم ليس تعبيرا مجازيا أو صياغة أدبية يختفي خلفها قصد محدد بل إن المفاهيم نحونا تتغير حقيقة من دون أن نشعر بذلك، وهذا يشمل كل المفاهيم التي بحوزتنا لا يستثنى منها شيء.

إننا نؤثر في تغيير تلك المفاهيم من خلال فهم معين نقتنع به اتجاه حالة محددة أو فلسفة نتبناها أو رؤية نعتنقها والتي بدورها أتتنا من هذا العالم فأثرت في أفكارنا وساعدت في رسم فلسفتنا ثم نحن بدورنا صنعنا منها أفكاراً كانت مؤثرة في هذا العالم أيضا، فصار تأثير متبادل غير معروف البداية.

إن هذا التأثير المتبادل بين أفكارنا وبين العالم يبدو للوهلة الأولى أننا والعالم لسنا السبب في وجوده لكن لابد أن يكون هنالك بداية لأي أفكار ليست موجودة لا في عقولنا ولا في هذا العالم لكننا تأثرنا بها وجعلناها تؤثر في عالمنا ثم هو بدوره أثر فينا.

إن هذه الأفكار لابد لها من بداية فما هي بدايتها اذا لم تكن لا نحن ولا العالم بدايتها ؟

إن الأفكار في الحقيقة لا توجد إلا فينا فليس لها وجود إلا نحن، ونحن من نجعلها تؤثر في العالم لكن كل ما في الأمر أننا لا نعرف حقيقة أفكارنا، إذن العالم يتغير بسبب جهلنا بأفكارنا وهو بدوره يؤثر فينا بسبب عدم المعرفة بأفكارنا أيضا.إن فهم حدودنا وحجمنا كفيل بسعادتنا لأننا حينئذٍ سنعرف كيف تؤثر في عالمنا لنعرف كيف هو سيؤثر فينا.

[ 2 ]

# الاعتناء كيف نفهمهُ

إن الاعتناء الذي يقدمه الناس بعضهم لبعض وعلى مستويات عدة يبدأ من مستوى الحب الذي هو اعتناء من الداخل وهو أعظم الاعتناءات إلى اقلها وبأي تصور يخطر في البال وما بينهما من درجات متفاوتة ومتوسعة حسب ظرفها الآني المتغير قيمة ومقدارا، إن هذا الاعتناء الذي يعيشه الناس بينهم يوميا وباستمرار يستنزف كثيرا من طاقاتهم من دون أن يشعروا بذلك، حين يشعر الإنسان أن الاعتناء به قد حصل من جهة إنسان آخر يشبهه في كل شيء وهو السبب المهم فيما هو فيه من ظرف جيد أو حالة مناسبة يبدأ هذا الشعور غير الصحيح يؤثر في أعماق الإنسان وبالتالي سيخسر بسببه الكثير من قوته الفكرية وسيخسر الكثير من طاقته الإبداعية.

إن اعتقاد الاعتناء والرعاية المرتبطة بشدة بمحسوسات الإنسان ستكون محركة وبطريقة غير مقصودة لأشياء لم يقصد نفس الإنسان تحريكها، فحركتها ليست وليدة الإرادة الإنسانية بقدر ما هي وليدة فكرة الاعتناء نفسها، إن الاعتناء يكسر أشياءً مهمة في النفس البشرية ويحطم أموراً يفترض أن تكون شامخة دائما، إن النفس مع اعتقاد الاعتناء والرعاية تتحطم عميقا من الداخل وهذا ما لا يدركه الناس

على مدى عمرهم الطويل يعيشون ويموتون لكن هم لا يعلمون ان جزءاً مهماً منهم قد مات وانهار منذ مدة، هم لا يعلمون أن أفكارهم برعاية احد لهم كانت سبباً بموتهم.

[ 3 ]

# كيف نبدأ في كل شيء ؟

حين يبدأ الإنسان أي عمل فإنه غالبا ما يضع أهدافاً محددة في تفكيره لإنجاز ذلك العمل وتلك الأهداف تسيطر على تفكير كل إنسان تقريبا وهذا الحال نجده واضحا في أفعالنا وأفعال الناس من حولنا، إن الأهداف تسيطر كثيراً على تفكيرنا، هي تسيطر لأنها تحصر سلوكنا باتجاه نقطة محددة من احتياجاتنا ورغباتنا وهذا الأمر وإن كان مفيدا في توليد نقطة الشروع والانطلاق نحو أي شيء إلا أنه مضر كثيراً على تفكيرنا.

نحن لا نشعر بذلك، لا نشعر بأن أهدافنا التي نصنعها تضرنا كثيرا حين تكون هي المسيطرة على تفكيرنا، فتفكيرنا يفقد جزءاً كبيراً من رؤيته ومن صحة قراراته حين يكون تحت سيطرة ذلك الهدف. إن الحل الأمثل في رسم طريق صحيح لبداياتنا هو التركيز على ما يمنحنا القوة في تحديد الهدف.

إن البحث عن مراكز القوة في عقولنا هو البداية وهو وإن كان يستغرق منا وقتا مهما من حياتنا لكننا سنعرف قيمة ما نبحث عنه وقيمة ما أنفقناه من وقت لأجل الوصول إليه وتحصيله.

لكن علينا أن ننتبه إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن مراكز القوة في

عقولنا وإن كانت هي في عقولنا إلا أنها ليست فيها حقيقة هي تكمن في مكان آخر خارج عقولنا، هي تكمن في عدم الثقة بقدراتها كثيراً، إننا نحتاج لكي نبدأ في أي شيء أن ننظر كثيراً في ثقتنا في أفكارنا النابعة بدورها من عقولنا، فإذا حطمنا تلك الثقة سيظهر لنا قيمة ما فعلنا وسيظهر لنا قيمة معنى أننا يجب ألا نبدأ بعقولنا حقاً.

[ 4 ]

# قوة ما لهُ قيمة في نفوسنا

حين يكون هنالك قيمة لشيء معين في نفوسنا وحين يكون ذلك الشيء مختلفاً كثيراً عن فهمنا لذاتنا فلنفهم أن فهمنا لذلك الشيء سيساعدنا كثيراً في صياغة خطوات صحيحة لحياتنا، إن خطأ الناس هو أنها لم تكتشف قيمة الأشياء في داخلها، فهي تدّرج المفاهيم بتدرج لا ينفعها أحياناً بل يضرها، إن عدم فهمها لتدرج الأشياء في داخلها سيسبب في أنها (أي الناس) لا تستطيع أن تُسيّر حياتها بالأسلوب المتقن الرصين.

لنبدأ أولاً بإدراك قيم الأشياء في نفوسنا، فإذا أدركتها فعلاً فهنا يمكن أن نقول إنها وضعت قدمها في الاتجاه الصحيح.

إن الشيء كلما كان مختلفاً عن ذاتنا متفاوتا معها بدرجات محسوسة من التفاوت لكنهُ في نفس الوقت يشبهها في مفاصل مهمة، فإن الخطوة الفلسفية الصحيحة ستكون بتعاملنا مع ذلك الشيء المتفاوت.

إن تعامل الفكر البشري مع أشياء لها تلك الخصائص والمميزات سيجعلها أكثر عمق في تحديد سقيم أفكارها من صحيحها، لابد للفكر كي يكون صحيح الخطى سليم الذائقة أن يترك الانشغال

بذات العقل المولد لهُ وأن يترك نتائجهُ ويحاول أن يبحث عن أشياء لها قيمة مهمة في عقله، إن تلك الأشياء هي سر ولادة العلم عنده، إن تلك الأشياء هي سر صناعة تفكيره الدقيق.

[ 5 ]

# ماذا بعد إخفاء الأفكار ؟

إن اختفاء بعض المعاني عن أفكارنا ليست سلبية دائما، فبعض المعاني يمكن أن تكون ذات تأثير غير نافع مع وجودها، والأفضل لها ألا تكون موجودة.

ليس دائماً ما نقدمهُ من مفاهيم وأفكار بصورته الأولى يكون نافعاً، فالفكر يعتاد أحياناً كثيرة على صياغات وهذه الصياغات تتركز وتتكثف حتى تصل إلى مرحلة اختفاء كامل لأساسيات التعقل، إن عدم الاختفاء سببهُ نحن، سببهُ عاداتنا التي لم نكتف بجعلها متحكمة في ملبسنا ومأكلنا بل وسعناها بجهلنا إلى أفكارنا، إن أفكارنا يجب أن تتحرر من عاداتنا الفكرية، يجب أن نحرر كل شيء في عقولنا من هذه الصياغات.

إن الاختفاء في الأمور التي نعتقد أنها صحيحة ليس دائما على خطأ، أحيانا اضطراب حالة ومخالفتها لتلك الصياغة الفكرية المعروفة هي السر الذي ننشدهُ في تحصيل قوتها، فقوة إخفاء بعض الأفكار لا يعلمه أي أحد وهي أحد أهم الأمور لتحصيل الفكر السليم.

ما يجهله الناس بسبب عاداتهم الفكرية هو أن إخفاء فكرة

صحيحة شيء غير صحيح وهم لا يعلمون أن هناك قوة في إخفاء فكرة صحيحة، فالناس يجب أن تلاحظ أفكارها ويجب ألا تكتفي بالنظر لصحة الأفكار بقدر نظرهم إلى أن هذه الفكرة أو تلك يجب حبسها في أعماق العقل لتحصيل قوتها.

[ 6 ]

# ما يساعدنا حقيقة

حين نحاول أن نتمم أي عمل على أحسن الوجوه الممكنة في حياتنا فإننا غالبا ما ننشد المساعدة من أمور خارجة عن ذاتنا كالقوة العضلية التي نمتلكها في مراحل عمرية محددة أو القوة الفكرية عندنا أو مستوى التحصيل العلمي الذي حزنا عليه ضمن تسلسل تعليمي معين أو مكانة اجتماعية مرموقة، غالبا ما ننشد كل هذه الأشياء كعناصر أساسية للقوى التي نتوسطها بيننا وبين ما نرومهُ من أهداف، لكن الذي نلاحظهُ لو دققنا النظر أن كل هذا الذي تصورناه مساعدة لنا هو في حقيقته لا يساعدنا بالصورة التي ننشدها للمساعدة فهو يتعبنا أكثر مما يعيننا ويؤذينا أكثر مما يريحنا فهو ليس مساعدة نقية خالصة صافية لنا إذ أنه يستهلك منا أشياءً حتى يعطينا أشياء أخرى، فهو خاضع بصورة أو أخرى لقانون الربح والخسارة والأخذ والعطاء.

إن فلسفة الناس اتجاه ما يساعدنا خائبة غشومة لا تنفعنا كثيراً، إن ما يساعدنا حقيقة هو إيماننا ومعرفتنا إننا مخلوقات ضعيفة محدودة القوة العضلية والتفكير المنطقي، محدودة العلم الذي تلقيناه في المدارس والجامعات محدودة التأثير على مستوى العالم مهما

كانت مكانتنا هذا هو ما يساعدنا حقيقة، إن فهمنا للمساعدة ضمن هذا المستوى من الفهم يجعلنا أكثر هدوءاً وأخضع جناحاً، حين نشعر أن كلاً منا مُحتاج مساعدة الأخر حقيقة ولا نتكبر على هذه الحقيقة أو نتعالى عليها، عندها سنكون قد ساعدنا أنفسنا مساعدة خالصة.

إذن، فأعظم مساعدة نقدمها لأنفسنا هي إيماننا مطلقا إننا بحاجة مستمرة لمساعدة بعضنا بعضاً بلا تكبر ولا استعلاء.

[7]

# القيم السامية أين مكانها ؟

إن القيم السامية ليست أموراً مرتفعة في عوالم فوق البشر، هي موجودات قريبة منا جداً إلى درجة إننا لا نحتاج إلى مؤونة لنيلها أو تحصيلها، كل ما نحتاجه لأجلها هو القليل من الصبر في نفوسنا والتفاتة حاذقة من عقولنا لنرى أننا نغرق في كمٍ هائل من تلك القيم السامية.

إن الفكرة التي يعتقد بها أغلب الناس والتي يتحرك نحوها قسم منهم هي أن القيم السامية غير موجودة عند الناس بذاتهم لكنها جاءت إليهم من عوالم أعلى من عوالمهم، وهذه الفكرة غير صحيحة كما أنها خطرة في جعل الناس يحقرون بعضهم بعضاً ولا يعيرون لبعضهم بعضاً وزناً ولا قيمةً.

إن القيم السامية سواء كانت موجودة في عوالم عليا فوق عالمنا أو هي ليست كذلك فهي موجودة في الناس الذين حولنا بمختلف ألوانهم وأشكالهم وجنسياتهم وأوصافهم، بل هي موجودة بما هو أوسع من الناس، هي موجودة في الجمادات، النباتات وكذلك الحيوانات الأليفة منها والمتوحشة من حولنا، هي موجودة في كل شيء تقريباً.

إن هذه القيم السامية منتشرة من حولنا، والسر في انتشارها هو أنها (أي القيم السامية) في الحقيقة تتولد من حاجة تلك الموجودات لكل شيء حولها وحاجة كل شيء حولها لها فالجميع محتاج الجميع ولأن هذه الحاجة واسعة صارت القيم السامية متوسعة بتوسع تلك الحاجة.

إن الخطأ الذي قد نرتكبه من دون أن نشعر به هو أن نجهل حاجتنا للجميع وأن نجهل أن الجميع بدوره محتاج لنا.

إن وجود هذه الفلسفة بالحاجة المتبادلة يولد ويسرع انتشار القيم السامية ليس بين الناس فحسب بل بين جميع الموجودات في هذا العالم، وما غياب السلام عن عالمنا اليوم إلا بسبب جهلنا بحاجاتنا فالقوي لا يؤمن أنه سيحتاج الضعيف يوماً والغني لا يعتقد أنه بحاجة إلى الفقير كما الفقير يحتاجه، هذه الاعتقادات وغيرها جعلتنا لا نعرف أين مكان القيم السامية في عالمنا وأين مكان الكراهية وأين مكان السلام ؟

[ 8 ]

# قانون ضبط العاطفة

إن الناس يعطفون على بعضهم البعض بحسب ثقافتهم وبحسب تربيتهم التي تلقوها في محطات مختلفة من حياتهم، هم يعطفون على ما يحرّك في داخلهم تلك المشاعر التي تؤثر فيهم وتهز كيانهم من الأعماق.

هم يهتمون بذلك ويتفاوتون في اهتماماتهم، فما يحرك مشاعر بعضهم قد لا يحرّك مشاعر بعضهم الآخر وكذلك العكس.

إن هذه الحالة التي تسيطر على الناس ليست صحيحة دائماً، هي سبب لإرباك كبير في قراراتهم وهي سبب في عدم الاستفادة من قوة العاطفة عندهم.

لنفهم أمراً مهماً وهو أن تفاوت العطف والحنان بين الناس هو أمر صحيح وليس من الصحيح أن يكون هناك تساوٍ في ذلك العطاء، لكن يجب أن نُحسِنَ اختيارنا كي نُحسّن مقدار ما نعطيه من قوة العطف ولا نفرط فيها من هنا وهناك لأن التفريط بهذه القوة من دون نظر دقيق يضعفنا من حيث لا نشعر وسنفشل في تحقيق كثير من أهدافنا بسبب عدم إتقاننا وضبطنا لعاطفتنا.

والصحيح أن نعطف على الجميع بلا إستثناء لكن يجب أن يحظى بعض الأفراد بعطف إضافي والصعوبة تكمن في تحديد هؤلاء الأفراد، لكن يمكن تجاوز هذه الصعوبة من خلال ما يزودنا به بعض الأفراد من قوة في عقولنا وسلوكنا أثناء عطفنا عليهم، هؤلاء سيعلموننا بطريقة غير مقصودة قانوناً لضبط عاطفتنا، فالعاطفة يمكن ضبطها بقانون خاص من خلال مراقبة تأثير من نعطف عليهم على عقولنا وأفكارنا فنزيد العاطفة عليهم إذا لاحظنا زيادة عاطفتنا إتجاههم على عقولنا وأفكارنا زيادة نافعة لنا، وبخلافه لا نعطيهم إلا المقدار الطبيعي من العاطفة لأن الزيادة في غير موضعها ستضعف قوة العاطفة عندنا وبالتالي إضعافنا، وهذا ما عليه الناس اليوم للأسف وهو أحد أسباب ضعفهم وتخبط قراراتهم، شعروا بذلك ام لم يشعروا.

[ 9 ]

# تلخيص أفكارنا هل يقع في بداية الكلام أم في نهايته ؟

درجت المناهج والمؤلفات على عرض الأفكار مفصلة في بداية الكلام ويكون ذلك التفصيل مستوعباً لكم هائل من المعلومات حول المادة المعروضة داخلاً في تشقيقات متنوعة مستوعباً لدقائق الأمور ثم بعد إنهاء كل هذا التفصيل والتطويل يشرع واضع المنهج أو المؤلف بذكر تلخيص للأفكار، ودائماً ما يكون مختصراً وقصيراً ومضغوطاً وهو يعطي زبدة الأفكار لما ذكره المؤلف في كلامه.

وهذا الأمر وإن اعتبره القراء نافعاً لهم في فهم المعلومات واستيعابها إلا أنه مضر في تحصيل المعرفة وفيه تضعيف للأفكار المعروضة مفصلاً، فعرض الأفكار بالتفصيل ثم تلخيصها يجعل الذهن ضعيفاً بمرور الوقت.

إن الذهن البشري يتعب ويمل ويتكاسل ويمرض كما باقي الأعضاء البشرية، وهذا الأسلوب المتبع في بعض المناهج والمؤلفات يتعب الذهن البشري ويضره إذ إنه يستوعب كماً معلوماتياً كبيراً دفعة واحدة، فهو انطلاقة من السكون إلى القيمة القصوى للحركة التفكيرية بخلاف ما لو لخصنا الأفكار ابتداءً فإنه

سيجعل الذهن مستوعباً لكل شيء في آنٍ واحدٍ من دون ضرر يلحق به أو تعب يصيبه حتى.

فالتلخيص ابتداءً يُريح الذهن ويطوره ويعطيه القدرة على الوصول لكل شيء في المعلومات براحة، فإذا فصّل المعلومات لاحقاً وجد نفسه أنه قد سلك طريقاً غير غريب عليه يسلكه بطمأنينة علمية، وهذه الطمأنينة مهمة جداً في تطوير الذهن ومهمة في إطالة عمره العلمي.

ويبدأ الأمر من الناحية العملية بتعلم فن أهمية الكلمة وقيمة المعاني العميقة في الكلمات وكذلك تعلم صياغة الأفكار الطويلة بطريقة مختصرة بعد فهمها، فإذا تمت هذه الخطوات بشكلها الصحيح صار الإنسان المفكر أو المؤلف مؤهلاً لتلخيص الأفكار ابتداءً للمتلقي ثم عرضها مفصلاً بطريقة غير متقاطعة ومتوائمة مع الأفكار الملخصة ابتداءً.

[ 10 ]

# اختصار الزمن في تحصيل العلوم

العلوم واسعة بسعة كوننا الذي لا نعرفه إلا لماماً وهي موجودة في كل شيء حولنا بحسب النظرة الأولية لمجالات البحث العلمي المتنوعة.

إن ما يجهله الناس في تحصيل العلم هو أن العلم يبدأ من أمور صغيرة جداً هي غاية في الصغر، وإتقان تلك الأمور الصغيرة سيجعل تحصيل العلم سهلاً وسيجعل تفاصيله المتشعبة في متناول اليد دائماً.

إن ما يهتم به الناس في العلم غالباً ما يكون هو تلك الأمور الكبيرة الملفتة للنظر أما التفاصيل الدقيقة فيهملونها في أحيان كثيرة، وما يجهله الناس هو أن كل العلوم توجد في كل علم وكل علم يحوي كل العلوم تقريباً، وهذه العلوم المتكاثرة يمكن تحصيلها من خلال إتقان أمرين:

الأول: إتقان فلسفة العلوم لا العلوم نفسها، فإن إتقانها (أي العلوم) لا يعني شيئاً ولا يقدم الكثير لصاحبه.

والثاني: الاهتمام بالأمور الدقيقة غاية في الدقة في فلسفة العلوم لا الاهتمام بالأمور الواسعة غير الدقيقة منها.

إذ إن الدقة في العلم والمبالغة في الغوص في أعماقه سيجعل مهمة تجميع العلوم المتنوعة أسهل وأفضل من ذلك الدمج بين فلسفة العلم مع الدقة العالية في تفاصيلها الأولى، حيث سيمكننا فعلاً من تجميع العلوم وضمها إلى بعض وجعلها منظورة بمنظور واحد وسيجعل الناس أقرب إلى المعرفة وسيجعلنا نعيد النظر في وقتنا الضائع في تحصيل العلم بجهل، وحينها سنختصر الكثير من الزمن في ذلك التحصيل العسير.

[ 11 ]

# منهجية مختصرة للسيطرة على حياتنا وجعلها نافعة

إن القوى في الكون مشتتة ومتناثرة، هي موجودة في الأشياء من حولنا، هي موجودة في كل شيء، المشكلة أن الناس لا تراها، لا ترى قيمة ما تحويه تلك الأشياء في أعماقها من قوى هائلة، والناس فضلا عن أنها لا تستشعر تلك القوى فهي لا تعلم الطريق لاستخراجها وهي لا تعرف خارطة وجودها أصلاً.

ولأوضح هنا ما أراه مناسباً في تحريك تلك القوى من حولنا، فالبداية تبدأ من النظر إلى أننا ككائنات على هذا الكوكب لا يمكن لنا بقدرتنا المحدودة أن ندبر أمورنا من دون أن نستنجد بغيرنا ليعيننا على ذلك سواء كان ذلك الغير موجودات أخرى أو حيوانات أو نباتات أو قوانين طبيعية أو عقلاً أو أي شيء آخر، وهذا النظر لأنفسنا يجب أن يكون أمراً مختفياً وغير ظاهر ولا يعلمه أحد إلا نحن، واختفاؤه في عقولنا مهم فيجب عدم إظهاره إلا لأنفسنا لأن ظهوره على ألسنتنا يجعله معدوم القيمة، ثم أننا نحتاج أن نفهم ما حولنا وننظر له بنظرة مشتركة ثم ننظر إلى القيمة العليا التي حصلنا عليها من غيرنا من دون أن نتحكم في ذلك وما منحتنا إياها الأشياء

من حولنا من دون أن نتدخل نحن بذلك ثم نجعل من تلك القيمة التي منحتنا إياها الأشياء طريقاً لتحصيل والتقاط أعلى ما موجود في هذا الوجود من قيم ومبادئ أدركتها عقولنا فإذا تشبعنا بكل هذه القيم السامية وصلنا إلى مرحلة مهمة هي أن نمنح جزءاً منها إلى الجميع وندخر الجزء الآخر لمن نراه سار معنا بنفس الفلسفة.

هذه طريقة جمع قوى الكون والسيطرة على حياتنا وجعلها نافعة بدرجة جيدة.

[ 12 ]

# ما وراء أسمائنا

إن لأسمائنا تأثيراً علينا ونحن لا نلتفت لذلك كثيراً، والاسم لا يتحكم به الإنسان غالبا فهي مهمة من مهام أبويه لأنهم هم من يتخذ هذا القرار نيابة عنه في وقت لم يكن بوسعه ذلك.

وما يجهله الناس أن هذه الأسماء تؤثر كثيراً في حياتهم وتكسبهم صفات قد لا تكون موجودة فيهم لكنهم بالنتيجة يكتسبونها، كما أن الإنسان حين ينظر إلى نفسه باسمه فهو يتأثر بطريقة وبأخرى ونفسه تتأثر كثيراً بذلك، لذلك من المهم أن يختار الأب لابنه اسماً يجعل نفسه متأثرة به إيجاباً ويجب ألا يتهاون بهذا الأمر، كما أن على الإنسان أن يلتفت لاسمه في أفعاله فإذا كان مصدراً لإلهامه تمسك به فكريا لأنه صار ملهما له وإذا لم يكن كذلك استبدله بما يلهمه ولو بطريقة مضيقة بحسب المساحة التي يتحرك بها في مجتمعه وأفضل استبدال للإسم أن يستبدل بالصفة الطيبة عند صاحبها وهذه الصفات ستحل محل الاسم تدريجيا وأفضل الأسماء ما كان له سعة بالصفات، فكلما زادت الصفات والخصال الطيبة في اسم محدد صار ذلك الاسم مؤثراً على صاحبه ومعينا له في الاستفادة من عقله ومؤثرا في تطويره، لكن كل ما ذكرناه لا يتحقق إذا كان

الإسم الحامل للصفات الواسعة منظوراً لهُ مستقلاً ولم ينظر إلى صفاته.

إن فائدة الإسم ستظهر بعد أن يكون طريقاً لإظهار الخصال الحميدة المتضمنة فيه والمخفية بين حروفه، فإذا علم الناس هذه الفلسفة المتعلقة بأسمائهم فلابد لهم من الاهتمام بها اهتماماً جاداً لأن غض طرفهم عنها سيجعلهم إما غير ملتفتين للقوة المكنونة في أسمائهم وبالتالي خسارتهم لقوة مجانية ممنوحة لهم أو وقوعهم تحت تأثير اسم سالب لقوتهم ومضعف لسلوكهم فيقع الناس تحت وبال الإسم وهم لا يعلمون.

[ 13 ]

# لو اكتشفنا مراكز عقولنا لأصبحنا لا نقهر فكرياً

إن تحديد مراكز عقولنا ليس أمراً سهلاً كما نتصور بل يجب أن يكون مسبوقاً بخطوات ومتبوعاً بخطوات أخرى.

وهندسياً يمكن تحديد مراكز الأشياء المختلفة بأشكالها، ويوجد أسلوب متبع في ذلك يتغير بحسب الطبيعة الهندسية للأجسام والمساحات لكنه يتفق بنفس الفلسفة تقريباً مع غيره فهو محاولة لإكتشاف نقطة مميزة تتركز فيها القوى الطبيعية للجسم.

وهذا الأمر موجود في الكون من حولنا وفي الأشياء المعقولة منها والمتخيلة والموهومة، والناس تجهل ماهية هذه النقطة التي تتمركز فيها قوة عقولنا.

ولمعرفة هذه النقطة يجب أن يمر الشيء - أي شيء - بسلسلة تغيرات مهمة لكي تظهر هذه النقطة بوضوح، فيجب أولاً ألا ننخدع بمقدار القوى التي نمتلكها مهما كان حجمها ومقدارها، وعدم الخداع هذا ضروري لفهم مراكز عقولنا ومركز الأشياء من حولنا.

ويترتب على عدم الخداع هذا أننا يجب ألا نهتم بأي قوة عقلية

تظهر لنا فإن مجرد اهتمامنا بتلك القوة سيسبب إرباكاً في تحديد تلك النقطة المهمة في عقولنا.

ثم أننا يجب أن نجرد القوى في عقولنا من الزوائد المعروضة عليها فنحاول أن نراها ونتعامل معها خالصة لا يشوبها شيء، وهذا لا يتم إلا بجعلها تدور حول عناصر محددة مضيقة من أفكارنا ويجب أن نحافظ على هذا التضييق حتى نصل إلى الصورة المستقرة دون سواها، ثم نسعى قدر الإمكان إلى إيصال تلك العناصر إلى القيمة القصوى من الاستقرار.

ثم نقوم بخطوة مهمة وهي البحث عن أي أثر لتلك النقطة المركزية بين ثنايا أفكارنا ونحاول أن نتجنب الآثار الهابطة التي نجدها، بل ما يهمنا هو الآثار العالية المرتفعة.

فإذا فعلنا ذلك سنجد أنفسنا أننا صرنا قريبين جداً من مراكز عقولنا وستظهر لنا تلك المراكز واضحة، فإذا اكتشفناها فإن أولى علامات اكتشافها هو أننا سنجد أن أفعالنا تتغير نحو نقاط محدودة جداً وسلوكنا بدوره سيأخذ الطابع المحوري بإتجاه القوى الكبرى في النفس البشرية.

وإذا اقتربنا فكريا من تلك القوى الكبرى في النفس البشرية فإن الفكر سيكون حينها بكامل قدراته، إذ إن قوته ستضاف لها قوى لا تقهر بسهولة، وعليه سيكون الفكر كذلك بلا أدنى شك.

[ 14 ]

## ليس كل ما يُجملنا مُتاح لنا فعله

إن الإنسان بحسب حياته المتقلبة تحصل معه أمور كثيرة متغيرة وغالبا ما يتعامل مع هذه الأمور على أساس تأثيرها عليه، فهو يَنفر من الأمور التي تضره أو تسيء له أو تقبحه أمام الآخرين وبالمقابل فهو يميل إلى الأمور التي تسعده ولا تضره وتجمله أمام الآخرين.

وللجمال بالخصوص أهمية عظيمة في النفس البشرية فهو مقدم على كثير من اهتماماته ربما حتى على بعض الضرورية منها فنجد البعض من الجنس البشري يُقلل من طعامه أو شرابه أو طريقة نومه أو حتى ابتسامته أحيانا للحفاظ على جماله الشكلي والإنسان لا يكتفي بطلب جماله الخارجي ومظهره بالخارج بل هو يطلب أي شيء يجمله ويحسن صورته.

ويسعى الناس للتجمل بالقيام بأمور مُتعلقة تارة بإخفاء عيوبها الخارجية وتارة مُتعلقة بتغيير نمط سلوكها أو تحسين ألفاظها وعباراتها أو أي شيء آخر يفعلونه لينتهوا بالنتيجة إلى تجميلهم أنفسهم، وما يجهله الناس وما يعتبر سبباً في مخالفتهم للطبيعة الإنسانية الصحيحة هو جعل التجمل هدفاً مقصوداً لهم بغض النظر عن حدوده وقيوده وأدواته.

إن تجميل مظهرنا أو سلوكنا أو درجتنا التعليمية لبعضنا البعض يجب ألا يكون متاحاً لنا فعله دائماً يجب أن نضبط قراراتنا إتجاه تجميل تلك الأشياء، علينا أن نقرر ما يتاح لنا فعله وما لا يتاح.

ولتجميل أنفسنا ومعرفة ما يُتاح لنا فعله فهو أن نجمل أنفسنا فقط أمام من ينظرون لنا بنظرة أعمق من جمالنا بكل أشكاله المظهري أو العلمي أو السلوكي هؤلاء فقط متاح لنا أن نتجمل لهم فتجملنا لهم سيكون تجملاً نظيفاً خالياً من الضرر الذي قد يصيبنا فيما لو تجملنا مطلقاً وبلا ضوابط فعندها سنكون ضحية لتجملنا وسيكون وبالاً علينا بدلاً من أن يكون نافعاً لنا.

[ 15 ]

# أفكارنا المميزة أين نضعها ؟

هنالك وفي أعماق عقولنا نداء مستمر يطلب منا ألا نُظهر أفكارنا القوية التي نحصل عليها لكل احد، لكن الناس لا يسمعون نداء عقولهم فتراهم يسارعون إلى إظهار كل فكرة تخطر لهم أمام أي أحد.

إن إظهار أفكارنا الرائعة أمام الناس ليس صحيحاً، وهو يُضر بعقولنا، يجب أن نختار أفراداً قلائلَ نكشف لهم عن تلك الأفكار المميزة وأن ينحصر الأمر عليهم فقط.

إن كشف الأفكار المميزة الذي يقوم به الناس جزافاً وبلا انضباط يجعل العقل ضعيفاً من ناحية الاختيار وضعيفاً من ناحية السيطرة وضعيفاً أمام الإنجاز الفكري، إن هذا الضعف يتولد عند الناس باستمرار بسبب ما يفعلونه بعقولهم من خلال عرض أفكارهم المميزة حتى لو كانت صغيرة الحجم نسبياً بلا انضباط.

إن العقل يضعف من هذا السلوك لأن هذا السلوك يرجع إلى حب الذات وهو ليس سلوكاً عقلياً محضاً، إن هذا السلوك العقلي يقتضي أن يراعي الفكر أفكاره المميزة، فالفكرة المميزة تخرج من عقل مميز ليتلقاها عقل آخر يقتضي أن يكون بينه وبين العقل السابق

ارتباطاً خاصاً يحفظ له فكرته المميزة، إن هذا الارتباط لابد أن يكون ارتباطاً متجاوزاً لحدود الرغبة وفي نفس الوقت يحتوي على رغبة خاصة بين العقلين المذكورين، ومتجاوزاً لحدود الحب وفي نفس الوقت يحتوي على حب من نوع خاص، ومتجاوزاً لحدود الترابط الزماني والمكاني في التبني وفي نفس الوقت هو مقيد بقيود زمانية ومكانية.

إن العقل الذي يجب أن يتلقى أفكارنا المميزة يجب أن يكون عقلاً بهذه الصفات التي يمكن أن اختصرها بأنه عقل يباح لهُ معنا ما يمتنع مع غيرنا ويباح لنا معه ما يمتنع على غيره، فلنتعلم الأسلوب الصحيح في السيطرة على أفكارنا المميزة.

وهذا الأسلوب وإن كان بحاجة إلى وقت إلا أنه سيعود بالنتيجة علينا مستقبلاً بعد إتقانه جيداً، ولإتقان هذا الأسلوب في المحافظة على أفكارنا المميزة علينا أن نتعلم حبس الأفكار عموما للوهلة الأولى ثم نبدأ بتنقية تلك الأفكار تدريجياً وثم التحكم بنوع الأفكار المعروضة.

وهذا الموضوع لا يخلو من الحاجة إلى امتلاك خبرة عريضة مع الناس الذين يجب إتقانهم لهذه الفكرة المميزة أو تلك.

# [ 16 ]
# نُقاط مُستثناة

لا بد لكل فلسفة مُستقاة من حياتنا أن تكون متحركة بما يتلائم مع جميع الحياة، إذ إن الفلسفة بصورتها الأولى غير مُحببة للكثير من الناس لأنهم يرونها حديثاً صعباً في أمور غير مهمة ولا تقدم لهم شيئاً ذا قيمة في حياتهم إضافة إلى مخالفتها لكثير من القضايا العلمية التي أثبتها العلم الحديث بالتجربة والدليل النظري وبالتالي فإن الفلسفة لا قيمة لها عند كثير من الناس، بل ربما يمكن القول إن الأكثر منهم كاره لشيء اسمه الفلسفة ماقت لهُ مستاء منهُ.

إن الفلسفة هي حياتنا اليومية لكنها مكتوبة بطريقة مختلفة، مكتوبة بأسلوب يلمس نقاط غير مرئية مجهولة لدى الجميع تقريباً.

الناس يجهلون قيمة الرؤية العميقة للأشياء، فالفلسفة لم تُعطَ الفرصة لإظهار محاسنها أمام الناس والناس لا تريد أن تعرف محاسنها في حياتهم والتعليم المدرسي اليوم والعلم الحديث المعاصر لم يشجعها على ذلك أيضاً وهذا كله خَسّر الناس الكثير من قواهم الفكرية وأضعف قدراتهم الإنسانية من دون أن يشعروا بذلك لكن بالمقابل فإن الفلسفة أظهرت محاسنها إلى قلة قليلة من

الناس أحبوها وأحبتهم وفهموها وفهمتهم هؤلاء الناس هم نقاط مُستثناة من هذه المعادلة الاجتماعية الصعبة.

أنا شخصياً لا أحب الفلسفة بالصورة التي تطرح في الكتب المتعارفة فهذه الكتب تخفي محاسنها، بل أنا أدعو إلى الفلسفة التي تساعدنا في فهم حياتنا، تساعدنا في فهم المعقولات حولنا، تساعدنا على أن نتخلص من تعاستنا قدر الإمكان.

إن الفلسفة كما تحتاج إلى أُناس يعتبرون كنقاط مُستثناة من التأثير الفلسفي السيئ السمعة فإننا نحتاج أيضاً إلى نقاط مُستثناة في نفس الفلسفة تظهر محاسنها ولا تخفيها، وأفضل تلك النقاط المُستثناة هي جعل الفلسفة تتلاقح مع حياتنا بشكل مباشر ولا نكتفي بعرض الحياة بعيداً عن الفلسفة ولا نعرض الفلسفة بعيداً عن الحياة، فإن عرضها بعيداً عن الحياة سيصنع فلسفة مملة وأفكاراً لا تصنع سوى صفحات في الكتب متراكمة بعضها فوق بعض لا منفعة منها مباشرة.

إن الحياة بنظرة من تلك النقاط المُستثناة ستصنع فلسفة عميقة وتلك النقاط ليست إلا عقولاً تجاوزت الحدود الطبيعية للتفكير وتجاوزت الحدود الطبيعية للتعامل مع تغيرات الحياة اليومية، تجاوزتها إلى ما هو أعظم من ذلك، تجاوزتها إلى صورة مجردة لكنها صور تنطبق مع الحياة وتؤثر عليها.

[ 17 ]

# الموجودات التي تظهر لنا قوة العقول

قوة العقول تظهر أمام الموجودات جميعها فكل موجود يمتلك بحسب وجوده المُستقل ما يجعل العقل عموماً متحفزاً بدرجة من الدرجات إتجاهه، ويزداد هذا التحفيز بعد زيادة أمرين هما عقل يختلف عن غيره من العقول ولو بدرجة قليلة وموجود من نوع خاص يستطيع أن يتعامل مع ذلك العقل وبالتالي فان العقول الأخرى غير المتميزة لا يمكن أن تنفع وحدها في اكتشاف ذلك الموجود المظهر لقوتها كذلك فإن الموجودات الأخرى وغير الخاصة وحدها لا تستطيع أن تتعامل مع العقول المتميزة، إذن فنحن بحاجة إلى هذين الركنين لإظهار قوة عقولنا، والعقول المتميزة لا نتحدث عنها هنا وليس هنا موضوعها وسنكتفي بالحديث عن تلك النوعية المحددة من الموجودات المظهرة لقوة العقل.

وأهم تلك الموجودات هو الموجود الذي يتزاوج مع العقل ويمنح وجوده بالكامل لهُ ويمنح العقل بدوره وجودهُ بالكامل لهُ أيضاً ضمن حدود المنح والأخذ ومثاله التقريبي الإنسان الآخر، فالإنسان مادة هائلة للعقل كي تبدع بفلسفتها فيها ومن تلك الموجودات المظهرة لقوة العقل الكون وقوانينه العليا فهي المحركة

لقوانيننا السفلى الخاصة بنا ونحن دونهُ، وهذا الموجود ليس موجوداً متزاوجاً مع العقل بل هو بمثابة المولد له والمنشئ لهيئته وهو أقل مرتبة من الموجود الأول الإنسان، ومن تلك الموجودات القوانين الكونية المحركة للإنسان الآخر أي غير ذاتنا وليست القوانين الكونية المحركة لنا لذاتنا، فهي مظهرة لقوة العقول أيضاً وهي مهمة في جعلنا ننظر لما يتحكم به الإنسان وما نشعر به نحن أو غير واقع تحت شعورنا، هذه هي أهم الموجودات التي تظهر قوة عقولنا والتي يمكن تلخيصها باختصار بالإنسان (نحن) والكون وقوانينه (ليس نحن) والإنسان مع القوى الكونية المؤثرة عليه (نحن وليس نحن).

والناس الذين لا يعرفون هذه الموجودات في حياتهم تراهم يجهلون قوة عقولهم ولا يعرفون كيف يتصرفون معها فيجب أن يتعامل هؤلاء الناس مع تلك الموجودات لإظهار قوة عقولهم فإذا امتنعت عن التعامل مع الإنسان أو الكون أو الاثنين معاً ستضعف عقولهم، وهذا ما يحصل مع الناس باستمرار وهم لا يعلمون لماذا عقولهم ضعيفة، والسر في ضعفها وعدم إظهارها قوتها هو إهمالهم لتلك الموجودات من حولهم وإهتمامهم بالتعلم بأدوات التعلم التقليدية.

[ 18 ]

## لمن تفتح الأفكار أسرارها ؟

إن الأسرار مغلقة لا يستطيع أي أحد الخوض فيها وهي مستحكمة عنيدة على جميع العقول تقريباً، فهي لا تستطيع (أي العقول) إلتقاط الأفكار لأنها لا يمكن أن تصبح سهلة في متناول يد العقول ما دامت العقول لا تربطها علاقة مع تلك الأفكار، وهذا الأمر ربما لم يستطع الكثير من الناس تصورهُ وهو أن الأفكار لها وجود منعزل عن العقول، فالأفكار هي عقول واقعة تحت تأثير نفسها بأي محفز لها داخلي كان أم خارجي، والعقول هي أشياء لها قدرة على أن تؤثر في ذاتها بذاتها لصناعة الأفكار، والمشكلة تكمن في أن الأفكار لا تفتح أسرارها للعقل بعد التأثير على نفسها لصناعتها.

إن العقل الذي تفتح الفكرة له أسرارها يجب أن يكون عقلاً ساكناً لتلك الفكرة متودداً إليها مخلصاً لها فإذا أحدث العقل فعلاً على نفسه لابد أن يكون ساكنا لفعله مخلصاً له متقرباً له تدريجياً وعندها ستظهر له بعض أسرار تلك الأفكار، فأسرار الأفكار تظهر بعد إخلاص العقل لها، وهذا هو السر في عدم رؤية كثير من أفكارنا لأننا ببساطة لا نخلص لأفكارنا وبالتالي فهي لا تعطينا أسرارها ولا

تمكننا من نفسها كأفكار، والإخلاص للأفكار يكون بأن نعطي لتلك الأفكار حقوقها فلا نحقرها ولا نسيء الظن بها ويجب علينا أن نعطي لها ما تحتاجه أفكارنا من استدلالات بكل أنواعها وعوالمها لدعمها وحفظ كيانها فإذا فعلنا ذلك لأفكارنا فإنها ستمنحنا أسرارها بلا بخل وسنرى أن ما يفعله الناس بأنفسهم من فوضوية الرؤية وعشوائية السلوك ناتجاً من عدم احترام أفكارهم وعدم انضباطهم مع حقوق تلك الأفكار، والناس كذلك جاهلة بقيمة أفكارها ولأنها جاهلة بقيمة تلك الأفكار فإنها تسيء الظن بها وتحقرها ولا تحترمها، وفقدان أفكار الناس لقيمتها عندهم أسبابه كثيرة وأهمها أن الناس تحقر نفسها بسبب وجود أناس يتصورون أنهم أعلى منهم مرتبة فصارت الناس لا تثق بأفكارها نسبة لهم وهذا أمر خطير على أفراد المجتمع يجب ألا ينتشر بين الناس، وعلى الناس أن تعلم أن كل فرد منهم يحمل بداخله عالماً لا يراه وعلماً لا يعرفهُ.

[ 19 ]

# متى نتجاوز حدود الزمان نحو الماضي ؟

الزمن بغض النظر عما يقولهُ عنه الفلاسفة وعلماء الطبيعة فيما يخص وجوده وحقيقته وعلاقتنا به وتأثيره علينا.

الزمن هو رفيق قديم للعقل البشري وصديق دائم للمفكرين أو علماء الطبيعة على حد سواء، وإذا كان الزمان كذلك فكيف يمكننا أن نسيطر عليه ولو بدرجة من درجات السيطرة، كيف يتسنى على أقل تقدير أن نتخلص من قبضته القوية الصارمة ؟

ولمعرفة ذلك علينا أن نفهم بداية أن الزمان ليس سوى نحن وجوداً وأفعالاً وبالتالي فهو ليس سوى أفكارنا الثابتة منها والمتغيرة، هو ليس سوى فلسفتنا اتجاه الأشياء وبالتالي فهو حقيقي وموجود لو كانت أفكارنا وفلسفاتنا حقيقة وموجودة، وهو ليس كذلك لو كانت أفكارنا وفلسفاتنا ليست كذلك أيضاً.

فإذا فهمنا هذا استطعنا حينها أن نصنع بداية الحركة نحو الماضي لنتجاوز حدود الزمان والمكان، لكن هذه الفلسفة وحدها لا تكفي بل تحتاج حتى تتم الحركة وتكتمل أن تجعل هنالك فلسفة حياة مشتركة بين حاضرنا وماضينا، وهذه الفلسفة لا يمكن فهمها وإدراكها من دون نظرة دقيقة إلى الحاضر الذي نعيشهُ وأن الذي

يساعدنا على فهم فلسفة حاضرنا هو عقل مميز يجذبنا نحو هذه الفلسفة ويعمقها في عقولنا، وما علينا بعد هذا الجذب والتعميق في عقولنا سوى قراءة الماضي بهذه الفلسفة الجديدة لنرى أننا نشاهد ماضياً مختلفاً تماماً عن فهمنا، سنرى ماضياً يتمحور حول فلسفتنا الجديدة، عندها يتحقق التجاوز المنشود.

إن خطأ الناس أنها لا تعرف ذلك العقل المُميز وإذا عرفته فإنها لا تؤمن بفلسفته وبالتالي ستبقى دائماً حبيسة حاضرها ولا تستطيع أن تتجاوز حدودها، ستبقى تجهل الماضي دائما حتى لو قرأت عنه.

إن ما يخلّص الناس من هيمنة حاضرها عليها بطريقة إبداعية نحو الماضي هو البحث بجد عن عقل مميز يرتقي بها ويحررها من قيودها الحاضرة وأن تؤمن بفلسفته إيماناً شديداً، عندها ستفهم الماضي ليس فهماً علمياً بقدر ما هو فهم يولد إستيعاباً كاملاً للماضي وربما لم يستشعر ذلك الإستيعاب إلى الآن إلا عدداً قليلاً من الناس وبالتالي لم يفهم الماضي إلا القليل منهم أيضاً.

[ 20 ]

## كيف نحصل على فلسفة خالدة ؟

كثيراً ما نسمع أن هنالك فلسفات ظهرت في حقبة من عمر الإنسانية الطويل تبرق لفترة ثم تختفي وتندثر حتى لو كانت لها تأثيراً على فئة أو شعب أو مجموعة فإنها لن تستمر، وهذا ما يمكن ملاحظته بعد نظرة سريعة إلى تاريخ الفلسفة والتدقيق في فلسفات معينة بذاتها، وفي المقابل نجد بقاء فلسفات لفترة طويلة وأحيانا تخلد منذ لحظة ولادتها إلى لحظتنا هذه، وما لا يتعلمه الناس من هذا الدرس هو أنهم يطبقون فلسفاتهم الخاصة بهم في حياتهم باستمرار مع العلم أنها طبقت قبلهم ولم ينتفع بها أصحابها وعلى اقل التقادير هي لم تستمر طويلاً في بصمتها على النوع البشري.

كي نحصل على فلسفة خالدة لابد من وجود عقل مميز يوجد تلك الفلسفة ويؤسسها وذلك العقل المميز له صفة واحدة مُلفتة للنظر وهي أنه يستطيع أن ينتصر بفلسفته على التأسيسات العلمية لقوانين الطبيعة بحيث يشعر الناس من خلال فلسفته بأن القوانين الطبيعية متصاغرة أمام التأسيسات الفلسفية التي يصنعها ولا تجد الناس بُداً سوى الخضوع لفلسفته.

إن خطأ الناس الذي يجعلها تفشل في كل حياتها تقريباً هو تأثرها

بأي فلسفة ترد إلى مسامعها أو مصادر قراءتها، هي تفشل في تحديد نوع الفلسفة وهي لا تلتفت إلى العلاقة بين الفلسفة المخضعة للقوانين الطبيعية وبين الفلسفة التي تستنجد بالطبيعة وقوانينها في تأسيساتها، فإذا أدركنا بدقة هذه العلاقات المذكورة استطعنا حينها أن نضع حجر الأساس لبناء فلسفة خالدة.

[ 21 ]

# ماذا يحصل حين يكون الإنسان أوضح من الطبيعة ؟

قضى الإنسان حياته وبمختلف تنوعات أجياله خاضعاً لقوانين الطبيعة تارة ومتصالحا معها تارة أخرى وخائفا منها ثالثة، والإنسان وبما يمتلكه من قوى عقلية جبارة استطاع خلال تاريخه المتعاقب أن يتعايش مع قوى الطبيعة الكبرى معايشة لا تؤذيه أو تضره أو تؤدي إلى فنائه، والناس عموماً تخاف من الطبيعة وقوانينها وتحاول اجتنابها بكل طريقة ممكنة فهم لم يفكروا يوماً أن يكونوا أعلى من الطبيعة وقوانينها، إن عدم تفكير الناس بذلك وحده سيكون كافياً لجعل الطبيعة تنتصر عليهم شر انتصار.

إذن أولى خطواتنا الجادة مع الطبيعة هي ألا نخاف من الطبيعة وقوانينها وألا نحاول اجتنابها، هذه هي الخطوة الأولى الصحيحة في التعامل مع الطبيعة والخطوة الثانية فهي أن يجعل الإنسان نفسه أقوى انكشافاً من الطبيعة وقوانينها ويتم هذا الأمر حين يعتقد الناس أن ذلك الإنسان ليس فقط لا يخشى الطبيعة ولا يجتنبها فحسب بل أن يكون هو المفتاح والطريق للسيطرة على الطبيعة من خلاله، وهذا الاعتقاد لا يولد إلا بعد أن يكون الإنسان أكثر انكشافاً من الطبيعة

وأوضح بياناً من لسانها ويترتب على هذا إتباع الناس لتلك الطبيعة التي يصورها لهم ذلك الإنسان فيتبعونها بمنتهى إرداتهم بلا خوف أو قلق وهذا بحد ذاته انتصار على تلك الطبيعة من قبل ذلك الإنسان لأنه لولاه لما صار أولئك الناس يتبعون تلك الطبيعة الغامضة.

إن وجود إنسان له هذه القدرة الفكرية وله تلك النظرة من قبل الناس سيغير فلسفتنا نحو الطبيعة وقوتها وسيجعلنا أمام فرصة كبيرة لجعل الطبيعة قوى متحكمة بالأشياء حسب إرادتنا، وهذا التحكم ليس تحكماً ما ورائياً او باراسايكلوجياً بقدر ما هو تحكم فكري يستطيع الناس أن يمارسوه بعد أن يفهموا كيف يستطيع الإنسان أن يصل إلى بيان أوضح من بيان الطبيعة نفسها، ويتم هذا الأمر لذلك الإنسان بعد أن يستوعب أسرار الطبيعة ويتعمق في فلسفة قوانينها، واستيعابه لتلك الأسرار إنما يحصل بعد نظر طويل للأشياء ليس كلها طبعا لكن التعمق في أشياء خاصة بذاتها تختصر له بعد التعمق فيها كل شيء تقريباً.

[ 22 ]

## متى تستجيب العقول لأفكارنا ؟

كثيراً منا يحمل أفكاراً في داخله بعضها أفكار متعلقة بشؤون حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية وبعضها متعلقة بأمور تخص القوانين الحاكمة على الناس وتدبير أمور البلاد والدولة وبعضها متعلق بالأفكار وفلسفة الأفكار أو متعلق بالقوانين التي تحكم الكون الدقيقة منها والواسعة، ونرى أن العقول تواجه الأفكار بالرفض تارة والقبول تارة أخرى.

وكثير من الناس تجهل العلاقة بين أفكارها وعقول الآخرين فهي لا تمسك بيدها على علاقة أو قانون ضابط بين أفكارها وعقول الآخرين كما أنها تجهل الزمان والمكان المناسبين لاستجابة العقول لأفكارها، والحقيقة أن العقول تستجيب لأفكارنا متى ما اقتنعت أن أفكارنا هي سر قوتنا، ومتى ما علموا أننا لولا أفكارنا لما حصل عندنا هذا الارتقاء وذاك النبوغ المعرفي، إذن العقول تستجيب لأفكارنا متى ما كانت أفكارنا لها تأثيراً حاسماً على عقولنا وعلى ذاتنا قبل تأثيرها على الآخرين بحيث تجعلنا متجاوزين لعقول غيرنا بدرجات ومراتب وهذا التجاوز يجب ألا يدعيه صاحب الفكر بقدر ما يكون متولداً في أعماق العقول الأخرى المراقبة له، وهذا ما يجعل الناس

تخفق في إقناع العقول المحيطة بها بأفكارها لأنها (أي الناس) لا تعطي أفكارها زخماً ولا قوة ملفتة للنظر من خلال صناعة عقل متفرد يبني فكراً وفلسفة متجاوزة فلسفة أقرانه في عصره، عندها لا تجد العقول في تلك الأفكار إلا صدقاً خاصاً وهالة مضيئة تحيط بالأفكار تستجيب العقول لها وإن رفضتها بدوافع نفسية شاذة لكن العقول ستستجيب حتماً في النهاية، هذا بخصوص الأفكار الكبيرة أما الأفكار الأقل مستوى فهي خاضعة لنفس الفلسفة تماماً، إذن فكل فكرة ستكون مقبولة من قبل العقول الأخرى متى ما وجدت تلك العقول من تلك الفكرة تأثيراً حقيقياً ملموساً على صاحبها، فإذا حصل التأثير الحقيقي حصلت الاستجابة حتماً، وأقصد بالتأثير الحقيقي دون غيره من التأثيرات هو وجود شيء حقيقي في عقولنا لا أشياء تأخذ صورة الحقيقة لكنها ليست كذلك بعد الاقتراب منها والتمعن فيها عن قرب.

[ 23 ]

## متى تصير عقولنا ليست عقولنا حقيقةً ؟

من المعروف أن الإنسان يمتلك أفكاره ويستطيع من خلال عقله السيطرة عليها (أي على تلك الأفكار) فهو الذي يقدم الأسئلة من خلال عقله ويقدم صياغات متعددة لتلك الأسئلة من خلال عقله أيضاً ويتلقى الأسئلة المتنوعة من الغير وينقي منها ما يريد تنقيته بحسب الوجهة العقلية التي يريد التحرك نحوها، كل هذه الأفعال وغيرها نقوم بها بعقولنا بشكل مستمر وفي كل لحظة يقظة نعيشها بكامل إدراكاتنا ومنتهى عقولنا، نفعل كل هذه الأفعال بعقولنا ولا نشك للحظة واحدة أننا نتحكم بعقولنا دوماً.

لكن ما لا يعرفه الناس ويجهلونه إنهم لا يتكلمون بعقولهم بل أنهم لا يملكون عقولهم بالمعنى الدقيق للامتلاك بل إن عقولهم ليست عقولهم، هذه الحقيقة لا يدركها الكثير من الناس ويجهلونها مطلقاً، وهي أن عقولهم بالدقة إنما هي عقول غيرهم، ولأوضح هذه الفكرة سأبدأ بلفت نظر الإنسان إلى أن كثيراً من أفكاره تتغير بحسب نوع العقول المُتلاقحة مع عقله، فتفكير الإنسان ليس على وتيرة واحدة دائماً رغم أن عقله على وتيرة واحدة دائماً وما اختلاف تفكيره مع عقله إلا بسبب العقول المتقاطعة مع عقله أو المتفاعلة معه

باستمرار من دون أن يهتم بذلك أو يلتفت له، إذ أن مجرد تغير هوية العقل المتقاطع مع عقله سيؤدي إلى تغيير العقل بنسبة مؤثرة بسبب ذلك التقاطع وكذلك يجعل نفس الأمر مع العقل الآخر، وبالتالي فالإنسان يتصور أنه يتكلم بعقله إلا أنه ليس كذلك حقيقة بل إن الإنسان لا يمتلك عقله امتلاكاً كاملاً مع ملاحظة هذه النسبة الكبيرة من التأثر الطارئة على العقل والناتجة من التقاطع الآني المتكرر باستمرار وربما لمرات عديدة في اللحظة الواحدة، وبالتالي فإن ما نعرضه من أفكار وما نستنتجه منها وما نعتقد أنه نتاج عقولنا فهو ليس كذلك بالمعنى الدقيق للتفكير، ولا بأس أن نوسع هذه الفكرة لتطال أفكار هذه المقالة نفسها، لكن ما يهمنا ذكره وما يجب أن يلتفت له الناس هو الانتباه بحذر للتقاطعات مع عقولنا والداعمات لها مما له هزّات عنيفة على عقولنا فحدوث تلك الهزّات إشارة واضحة أن عقولنا أضحت ليست عقولنا.

[ 24 ]

# ماذا يحصل في الكون إذا أهمل الناس العالِم ؟

إن الناس لا تعرف قيمة العالِم، لا تعرفها أبداً، ويتفاوت الأمر بين طبقات الناس وأجناسهم وأعمارهم وأنواعهم في ذلك لكن بالنتيجة الناس لا تعرف قيمة العالِم، والعالِم هو العالِم بدقائق الأمور، الشديد البصيرة، العميق النظر، السديد الفعل الذي لا يلتبس عليه ما يلتبس على غيره، الذي حاز على عقل خاص يفوق عقول الآخرين، والناس بجهلها ترى العالم إنساناً فاشلاً غالباً لأنه لا يملك ما عندهم من أشياء إذ إن ما يملكه هو لا قيمة له عندهم ولا معنى له عندهم.

إن هذه النظرة اتجاه العالِم تجعل العالِم ضعيف التواجد في أذهان الناس وفي ذاكرتهم وبالتالي ضعيف التواجد في حياتهم، وهذا سيقود بالنتيجة إلى أنهم لن يتذكروا أعلى القيم وأسماها في هذا الكون، لأن هذه القيم لا مكان لها في هذا الكون إلا عند العالِم وعند جذوره وامتداداته، وإذا اختفت من عقول الناس تلك القيم صار الكون شديد العشوائية شديد الاضطراب لا ينضبط بمعيار ولا يقاد نحو سكينة، إذ إن الناس سوف تقود حياتها بلا قيم، تلك القيم التي يجب أن تختفي من حياتهم بسبب اختفاء العالِم من حياتهم لا

محالة، وهذا أمر ضروري الوقوع جداً وبالتالي يبقى الكون تحت نظام الحيوانات والنباتات والقوانين الكونية الأخرى في الطبيعة الأرضية وما أوسع منها فقط أما الناس بعد تعاملها مع العالم فوجودها سيكون مضراً جداً في أمن الكوكب وسلامته.

فإذا أدرك الناس هذه الحقيقة صار محتماً عليها أن تعيش مع العلماء بأقرب نقاط المعيشة الفكرية وبأقصى درجاتها المعرفية، فهذا الاقتراب لابد أن يكون جزءا مهماً من حياة الناس يفعلونه كما يفعلون ضروريات حياتهم الأخرى من الطعام والشراب والأمن والسكن وغيرها لكن الناس لا ترى أن اضطراب حياتهم الاعتيادية وضرورياتها والتي تعاني منها جميع الشعوب في العالَم إنما يحصل بسبب ذلك الأمر العظيم الذي أهملوه وإهتموا بطعامهم وشرابهم ولو اهتموا به لحصلوا على ما يريدون وبطرق أسهل مما يتصورون.

[ 25 ]

# كيف يستحضر العقل المفاهيم البعيدة ؟

المفاهيم البعيدة لا يمكن للعقل البشري استحضارها لأنه عاجز عن ذلك غالباً، والمفاهيم البعيدة هي تلك المفاهيم التي تعالت عن إدراك أغلب العقول ونالها بعض العقول، ولأجل استحضار تلك المفاهيم عند العقول التي لا تنالها لابد من معرفة الأسلوب الأكمل في ذلك وكيف نستطيع أن نصنع طريقاً يمكّن العقل البشري من نيل تلك المفاهيم البعيدة، والطريق الأمثل لتحصيل تلك المفاهيم هو النظر إلى المفاهيم القريبة نظرة دقيقة، ونحيط بها (بتلك المفاهيم القريبة) إحاطة عالية ونحاول أن نصنع منها طريقاً لنيل تلك المفاهيم البعيدة.

لكن يجب أن ننتبه أنه ليس كل مفهوم قريب يمكن إستعماله كطريق لنيل المفاهيم البعيدة، فبعضها لا يمكن أن ينفع كطريق لذلك وبعضها ينفع جداً وكلما كان المفهوم القريب مسيطراً على العقل فارضاً وجوده عليه مُنشئاً له فإنه سيكون نافعاً لتحصيل تلك المفاهيم البعيدة، لذا فإن الطريقة المثلى للتعامل مع تلك المفاهيم العالية يكون باكتشاف المفاهيم القريبة المسيطرة على عقولنا المنشئة لها فإنها الدليل لذلك المفهوم البعيد وما على الإنسان العاقل إلا

قراءة المفهوم القريب المسيطر على العقل قراءة واسعة ومفرطة.

فإذا أكمل إدراكه لذلك المفهوم وصار المفهوم واضحاً من حيث السيطرة والنشوء انفتح الطريق أمام العقل لتحصيل المفهوم البعيد وصار المفهوم البعيد قريباً كقرب المفهوم القريب ابتداءً، لكن على العقل أن يقرب ذلك المفهوم البعيد من خلال مفتاحين للتقريب الأول مفتاح السيطرة على العقل والثاني مفتاح تأثيره على نشوء العقل وإيجاده.

[ 26 ]

# تفكيرنا بكراهية سبب لمشاكلنا

إن الفكر البشري أداة جبارة تستطيع أن تتحرك وفق منظومة معقدة وظيفياً ومنطقياً وهي بحركتها هذه تقدم الكثير من المقدمات وتستوعب الكثير من النتائج، والفكر البشري فيه سر لا يعرفه الكثير من الناس ربما وهو أنه يتصرف ويفكر في كثير من الأحيان بطريقة غير مقصودة فالمتعارف عند الناس أن الإنسان يستطيع أن يتحكم بتفكيره دائماً فهو قادر مثلاً أن يفكر في حل أحجية معينة في وقت ما، وهو قادر كذلك على إيقاف تفكيره فيها في وقت آخر، وهو قادر على انتقاء المسائل العلمية وقادر على الاستذكار أو التناسي، هو يقوم بهذه الأفعال كلها وفق تخطيط مُسبق وإرادة.

لكن ما لا يعلمه الناس إن الأفكار ليست دائماً يُتحكم فيها وخاصة أفكار المنبع النفسي (أي التي تكون للنفس حصة مهمة فيها) فإنها غالباً ما تكون خارج نطاق سيطرة الفكر، فتفكيرنا بكراهية يعني أن نفوسنا قد استغرقت في صناعة جزء من أفكارنا وبالتالي فإن أفكارنا ذات الكراهية صارت خارج نطاق سيطرة منظومتنا الفكرية لأن النفس هي من صنع جزء كبير منها والتحكم فيها صار بنسبة كبيرة ليس ضمن نطاق تفكيرنا فإذا صار الأمر كذلك دخل الفكر

في مرحلة الانطلاق وعدم الضبط فصار يفكر وفق مقدمات غريبة ونتائج أغرب من دون إرادة واختيار تفرضان على الفكر المقدمات وتفرضان عليه النتائج، فإذا حصل هذا تغير العالم من حوله بسبب تغير أفكاره لأن أفكاره الجديدة (الممزوجة بالكراهية) ذات تأثير قوي على العالم لأنها (أي الكراهية) ضد الحب ولأن الحب أقوى قوى في الكون فإن ضده (الكراهية) هي أقوى قوى الكون بالاتجاه المعاكس (إذ إنه استفراغ للحب) فنبدأ بعد حصول كل هذا نقع في مشاكل كبيرة لا نعرف كيف وجدت تلك المشاكل وكيف وقعنا بها والسر هو تفكيرنا بكراهية فقط، والتفكير بكراهية ينعكس على سلوكنا وأفعالنا من دون أن نعلم بذلك أو نلتفت إليه فنسبب فوضى كبيرة حولنا وأفعال غير مُحببة تصدر عن الأشياء التي نتعامل معها لا بسببها بل بسببنا نحن.

[ 27 ]

# كيف نحل أي مشكلة تواجهنا ؟

إن حل أي مشكلة تواجهنا في حياتنا لا يتطلب منا سوى حل تلك المشكلة في تفكيرنا وعقلنا قبل محاولة حلّها في الخارج.

الخطأ الذي يقع فيه الناس كثيراً هو أنهم يتركون تفكيرهم ويلجأون إلى المشكلة نفسها فيفكرون في نتائج المشكلة وأضرارها والخسارة المترتبة عليها كثيراً وهم لا يعلمون أن هذا التفكير بذاته قد عقّد المشكلة وركبها وصار حلّها أصعب مما كانت عليه.

إن أفضل طريقة لحل أي مشكلة هو تجنب التفكير فيها قدر الإمكان لأن فكرنا يتعامل مع المشكلة (فيما لو فكرنا فيها) بطريقة تؤدي بالنتيجة إلى تولد الكراهية اتجاه المشكلة ومُتعلقات المشكلة نفسها أو مقدماتها، فلو فكرنا بأضرار فشلنا في حقل علمي معين فإن هذا التفكير بفشلنا سينعكس بشكل كراهية لذلك الحقل العلمي أو كراهية لرواده ومؤسسيه، وكذلك الحال في الأنواع الأخرى من المشاكل فإن تفكيرنا بنتائجها القاسية وخسارتنا المُحتملة سيصنع الكراهية في داخلنا اتجاه كل ما يتعلق بتلك المشكلة فإذا حصلت الكراهية لن تُحل أي مشكلة أبداً، وحتى لو حُلت مشكلتنا الآنية

فإن نفس حصول الكراهية سيصنع مشكلة جديدة لم يكن بالحسبان وقوعها.

إذن لحل أي مشكلة تواجهنا علينا ألا نكره أي شيء متعلق بتلك المشكلة او متعلق بمقدماتها، علينا أن نبقى محافظين على قوة الحب في تفكيرنا، فإذا ضبطنا حبنا اتجاه أي مشكلة واتجاه متعلقاتها فإن تفكيرنا يتصرف وبطريقة غير محسوسة لنا على أساس تخلصه من الكراهية ومحافظته على قوة الحب وعندها سيتخذ قرارات صحيحة ويفكر بطريقة عظيمة لا يفوقه أحد لم يتصف بصفته في كيفيتها وفي طريقة تحصيلها، إن تعامل الناس مع مشاكلهم بهذه الفلسفة سيجعلهم في فسحة فكرية واسعة تتضمن حلولاً مهمة في صوابها ودقتها.

[ 28 ]

# الفلسفة أُحادية التفكير
# أقوى أنواع الفلسفات

إن الفلسفة تأخذ أشكالاً مُختلفة عند الفلاسفة تقصدوا ذلك أم لم يتقصدوا، فهم بطبيعتهم التفكيرية المُتنوعة وعقليتهم الفلسفية المُختلفة يتخذون مساراً فلسفياً مُتفاوتاً مِن حيث الأُحادية والتعدد، وأقصد بالأُحادية التفكيرية هي أن تكون فلسفة ذلك الفيلسوف مُنطلقة من نقطة مُحددة وبإتجاهات مُتعددة كانت أم واحدة، فالمُهم فيها أن تكون الانطلاقة من نقطة واحدة فقط وأقصد بالنقطة الواحدة إما قضية بديهية واحدة أو إلغاء لقضية بديهية واحدة كبرى أو تحطيم الهيكلية المنطقية للوصول إلى نقطة واحدة خالية من الضوابط المنطقية الموضوعة مِن قبل العقل البشري أو من الاعتقاد بشيء واحد ابتداءً، بخلاف الفلسفة التي أستطيع أن أُسميها الفلسفة المُتعددة فإنها لا تكتفي بالانطلاقة من نقطة واحدة بل تتخذ نقاطاً مُختلفة وكلها تعتبرها نقاط انطلاق صحيحة لها بلا استثناء كالفلسفة التي تُحاكي العلوم التجريبية مِن مُنطلقات مِيتافيزيقية أو التي تُحاول أن تصل إلى حقائق المِيتافيزيقا مِن خلال نتائج العلوم الطبيعية.

يجب على الناس أن تتبنى في حياتها فلسفة أُحادية النقاط مُتفردة

الانطلاقة لأن تبني الناس لأي فلسفة مُتعددة سيكون تضييعاً لوقتها الثمين وعمرها القصير، فإن الفلسفات المتعددة لا تمتلك قوة الفلسفة الأُحادية التفكير أبداً، ومهما كان تأثيرها أي الفلسفة المُتعددة مُهيمناً على زمان مُحدد فإنها ستندثر يوماً ولا يبقى إلا الفلسفات الأحادية التفكير سواء كان ذلك التفكير الأحادي مادياً بحتاً أو ميتافيزيقياً بحتاً أو أي أُحادية في التفكير يتبناها العقل البشري فإنه حتى لو أختفى أو أُقصي فإنه سيظهر لاحقا.

[ 29 ]

# ما فائدة الشخصيات الأبوية للأمة ؟

الشخصيات الأبوية هي محور لكثير من النقاشات والجدالات والدراسات والأخذ والرد على طول الخط التاريخي، وبمختلف الاتجاهات الإنسانية والفكرية منها والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والفلسفية والروحية، هي محور بحثي داعم في جميع هذه الاتجاهات.

وكثيراً ما تكون الشخصيات الأبوية هي شخصيات قيادية إجتهادية في فلسفتها وقراراتها وهي موضع للجدل بين عقول البشر لأنها ببساطة تمثل بسلوكها قراءة جديدة لما كان متعارفاً بين الناس، وغالباً ما تكون تلك القراءات الجديدة ثورات فكرية مصغرة يقودها محبة الناس ومنفعتهم فيراها المحبون والمتعلقون بتلك الشخصية إبداعاً لا يمكن للنوع البشري الاستغناء عنه أو تجاهله ويراها المناوئون لها بأنها تمردٌ بجهلٍ عن الطريق السوي، وبين هذا وذاك يتزايد النقاش والجدل والمحاجة حول تلك الشخصية.

وما لا يعرفه الناس ويجهلونه أن الإهتمام بالشخصية الأبوية يؤدي بالنتيجة إلى الإهتمام بأعلى الأفكار في عقول تلك الشخصيات فإن مجرد أن يكون هنالك إهتمام بتلك الشخصية فيبدأ العقل يغير

تدريجياً من خارطته الفكرية، يغيرها نحو تلك الشخصية، فتصبح الانطلاقات التي ينطلق منها ذلك العقل ذات دوافع أبوية بشكل ملفت للنظر وواضح، كلما كانت أبوية الشخصيات واسعة زماناً ومكاناً صار العقل أنظف وصارت خطواته رصينة وقدرته أعظم، لكن تجاهل الناس للإهتمام بالشخصيات الأبوية والإهتمام بدلاً عنها بشخصيات مخلدة تاريخياً بغض النظر عن أبويتها قد خسّرهم الكثير وأتعبهم في حياتهم لأن عقولهم لم تتأثر إلا بالشخصيات الخالدة عند البشر بأي خلود ممكن.

فالخلود الذي لا يُراعى فيه إلا الخلود فقط لا قيمة له، ما دامت تلك الشخصيات ليست أبوية للأمة فلا داعي للإهتمام بها لأنها ستورث جيلاً لا أبوياً يخلفها في سلوكها ويتبعها في خطواتها.

[ 30 ]

## الميتافيزيقا كيف تعمل ؟

الميتافيزيقا أو ما وراء عالم المادة لا يمكن أن يكون موجوداً في متناول أيدينا إلا من خلال بعض الأفراد الذين تمكنوا منه وصاروا من أساتذته، والميتافيزيقا علم كان ولا زال الجدل يدور حوله من جهات (فلسفية) أو (علمية) أو (فلسفية - علمية).

لكن بغض النظر عن ذلك الجدل وتفاصيله فإننا علينا أن نعلم ككائنات نعيش في هذا الكون الفسيح المحكوم بقوانين بعضها يقع ضمن دائرة الحس وبعضها ليس كذلك أن الميتافيزيقا لا يمكن أن تعمل مطلقاً وبكل صورة وبأي كيفية كما يعتقد بعض الناس، بل هي لها صور دقيقة وطرق خاصة تعمل بها ولا تعدوها، ومن تلك الكيفيات التي على الناس أن تفهمها في عمل الميتافيزيقا هي أن التأثير الإيجابي النافع للميتافيزيقا لا يمكن أن يعمل إلا بوجود عقل هضم تلك الصور الميتافيزيقية وصار قريبا جداً من قوانينها، فإذا حصل هذا التأثير صارت نافعة جداً ومحركة لأمور هامة في الحياة، وإذا تركت القوى الميتافيزيقية وحيدة بلا ضابط عقلي يجيد التصرف معها صار تأثيرها خطراً ومرعباً للناس، وهذا ما يجهله

الناس للأسف، فهم يتعاملون مع الميتافيزيقا دائماً من دون ملاحظة علاقة التأثير الإيجابي النافع مع وجود عقل متمكن من هضم تلك الصور الميتافيزيقية فتكون الميتافيزيقا مضرة لهم ومعطلة لحياتهم وأفضل لهم أن يوقفوا ذلك التعامل اللاعقلي المباشر مع الميتافيزيقا فوراً إذا كان لعقولهم ذلك المستوى الطبيعي من التعامل مع عالم كبير عليها كبير جداً، فإذا توفر عندها هذا العقل القريب من تلك العوالم الكبيرة على العقول البشرية فلابد ألا يتأخر الناس لحظة واحدة للدخول في تلك العوالم لأنها ستنتفع حتماً، ستنتفع إلى درجة تتجاوز الزمن الآني إلى أزمان عميقة في عمر هذا الكون.

[ 31 ]

# الذوبان في المفاهيم العالية عن طريق البشر

من الأمور التي سار عليها الناس في حقب مختلفة من حياتهم هي تعاطيهم مع المفاهيم العالية سواء كانت عقلية أم روحية أحياناً عن طريق البشر أنفسهم رغم أن تلك المفاهيم أعلى من البشر، لكن مع ذلك فإن الناس تستعمل تلك المفاهيم بصورة ذات صلة بالإنسان نفسه، وهذه الصلة هي السبب في استساغة تلك المفاهيم وإتباعها والذوبان فيها، ولم يكتفِ الناس بذلك بل وسّعوا إيمانهم بتلك المفاهيم إلى حقبة زمنية تمتد إلى الماضي والتي كانت السبب في إنتاج مفاهيم اليوم وعن طريق البشر أيضاً.

وهذا الأمر الذي مارسهُ الناس ويمارسونهُ يومياً يجعل منهم أشخاصاً لا يميزون بين الأشياء وتضطرب عندهم قيمة الأشياء، فهم حين يتعاملون مع المفاهيم العالية بطريقة غير مباشرة وبتوسط البشر أنفسهم لا المفاهيم بما هي مفاهيم، فهم بالحقيقة يحطمّون قيمة تلك المفاهيم في عقولهم وهم لا يعلمون.

إن توسيط الإنسان بين الأشياء المختلفة فيما يخص تقريبها أو تعقلها هو أمر جيد لكنهُ ليس كذلك إذا كان بتوسطه (أي الإنسان)

بين تلك المفاهيم وبين الناس بطريقة تذيب المفهوم في الإنسان نفسه ويستهلك فيه بالكامل بحيث أننا لو بحثنا عن ذلك المفهوم العالي لا نجده بل لا نجد سوى الإنسان نفسه وذلك المفهوم إنما هو مفهوم متحصل بالطريق ولا يمكن أن يظهر إلا بعد إزالة تلك الأداة التوسطية ورفعها بحيث نتعامل مع ذلك المفهوم تعاملاً مباشراً من دون أن يكون للبشر دوراً مهماً في ذلك وحتى لو افترضنا وجود ذلك الدور فيجب ألا يكون بمستوى التوقف عليه والانضباط به.

[ 32 ]

# بعض خصوصيات المرأة من جهة فلسفية

إن الفلسفة كما ذكرت في مقالات سابقة هي فهم للحياة بطريقة مختلفة تمتاز بالعمق دائماً والإبداع غالباً والعبقرية أحياناً، وهي تنظر لكل شيء من خلال كل شيء أحياناً أو من خلال شيء واحد أحياناً أخرى، وهذا الأمر يفهمهُ الفيلسوف ويشخصه دون غيره، وهناك مفاصل حياتية لا يعتقد بعض الناس أنها يُمكن أن تكون موضوعاً فلسفياً أو لا يُحتمل فيها ذلك، وهذا الاعتقاد ناشئ من تشويه صورة الفلسفة في أذهان الناس وجعلها محصورة في الأمور الفكرية المعقدة والعقلية من دون أن يُنظر إلى أنها أي الفلسفة لفت نظر دقيق وتنبيه لأمور لا يلتفت لها الناس في حياتهم الاعتيادية، فالفلسفة تنبههم لتجعل حياتهم أفضل وليكونوا أقرب إلى السعادة والطمأنينة من خلال نظرتها الثاقبة وعمقها المعرفي.

وعلى أي حال فللفلسفة رأي في تزيين المرأة نفسها وتجميلها، فتجميل المرأة نفسها يجب أن يكون منظوراً فيه إلى تأثيره على شخصية المرأة نفسها، والمعروف أنه ينفع شخصية المرأة لأنه

يُحسن مظهرها ويُجملها ويُخفي عيوبها الخارجية، لكن المرأة لا تعلم أن تجميلها نفسها لأي أحد سيوقعها في مشاكل نفسية خفية لأنه سيجعل نفسها مُقيدة ومُرتبطة بقوة باهتمام الناس بمظهرها فقط فهي ستكون مشغولة البال دائماً بتحسين مظهرها واهتمام الناس بها على أساس جمالها، وكما هو معروف فإن الجمال لن يستمر فهو يتغير بمرور الزمن وتقدم العمر، فإذا تقدم بها العمر وزال جمالها وشاهدت من هُنّ أصغر منها سّناً لجأت لأمور صعبة كعمليات التجميل أو زيادة حدة الألوان أو إخفاء التجاعيد، ثم إنها ستستمر هكذا إلى مالانهاية بالنسبة لعمرها لكنها لو حررت فكرها من أن تكون قيداً للزينة والتجمل أمام أي احد فإنها ستشعر بالقوة في أعماقها وستتحرر من أمور مهمة وسترى نفسها كجبل شامخ ثابت الأركان أقوى من الشباب وأصلب من الزمن.

[ 33 ]

# متى تكون الأعياد سموماً للعقل ؟

إن من أهم المشاكل الخفية التي تؤثر سلباً على حياة الناس هي الانفصال والتفكك بين زمان عقولها وزمان سلوكها، فأيام الأعياد الدينية هي شيء منفصل عن عقولنا في كثير من الأحيان لكنها تعيشهُ في سلوكها، ولحظات التألّق والإبداع شيء تعيشهُ في ومضات محددة من حياتها لكنهُ منفصل عن أعيادها، فمرور الناس في مناسبة كالأعياد بأنواعها غالباً ما يجعل سلوك الناس منفصلاً عن طبيعتها العقلية، فتلك المناسبات غالباً ما تجبر العقل الذي هو كيان لهُ عيدهُ الخاص منجرّاً خلف السلوك الذي لا يحركهُ شيء سوى عادات الناس وموروثها الديني أو الاجتماعي، وذلك الانجرار الذي يقودها في النهاية إلى تعطيل العقل إن لم نقل تحطيمه بسبب ذلك الانفكاك بين سلوك الإنسان وبين عقله.

ولكي يتخلص الناس من هذا التأثير الخفي للأعياد على عقولها المنفصلة عن سلوكها وجعلها في مأمن من تأثير تلك المناسبات فعليها أن تُفْهِم العقل أهمية الحدث الزماني الذي يمر عليه، فإن استوعبه بطريقة أو بأخرى صار هنالك اتحاد زماني والتحام وجودي بين عقولها وسلوكها وهو أمر جيد، وإن فشلت في إفهامه فعليها

أن تترك العقل يختار طريقهُ في هكذا أيام، فإن تركها للعقل يتلمس خطاه بقدراته خير لها من إجباره على سلوك متطابق قسراً مع السلوك الجمعي الذي كثيراً ما يكون مضرّاً بسبب مجافاته للحقيقة وابتعاده عن جادة الصواب وحينها تصير تلك الأعياد سموماً للعقل لا نراها ومعاولاً لتحطيم الأفكار لا نشعر بضرباتها لانغماسنا الشديد بالحدث الاجتماعي والتصنع الديني.

[ 34 ]

# إتباع نقطة واحدة نحو الماضي ينتهي بإتباع نقطتين

إن من الأمور ما هو بديهي معروف كبديهية أن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، وبالتالي فإن أي حركة تبدأ من تلك النقطة على مسار الخط المستقيم تنتهي حتماً إلى النقطة الأخرى للخط المستقيم نفسه، أما لو تخيلنا أننا نتبع نقطة متحركة وبطريقة عشوائية وبأي مسار تسلكهُ تلك النقطة وإذا انتهينا حيث تنتهي حركة تلك النقطة فإننا سنجد أنفسنا قد وقفنا على نقطة نهاية واحدة أيضاً كما في الخط المستقيم في الحالة الأولى، وهذا أمر منطقي بعد ملاحظة أننا تتبعنا مسار نقطة واحدة فقط وانتهينا بنهاية حركة تلك النقطة الواحدة.

لكن ماذا لو تتبعنا حركة نقطة واحدة نحو الماضي، فهل ينتهي بنا الأمر بنقطة واحدة ؟ من الناحية المنطقية فإن الأمر لا يتغير، إن تلك النقطة تنتهي بنقطة واحدة، لكن يمكن أن نفكر بطريقة مختلفة من الناحية الفلسفية وهي أن تلك النقطة تكون أعلى قوة وجودية في الزمن الحاضر التي هي فيه الآن دائماً لأنها إنما وجدت من جذور بشكل نقاط مُتعددة لا نقطة واحدة فصارت قوتها إنما هي حاصل

جمع قوى أكثر من نقطة واحدة فيها، وحتى لو قلنا أنها إنما هي نقطة واحدة وتطورت وتكاملت قوتها فهي أيضاً ترجع إلى إضافة حصلت عليها من مكان آخر أقل ما يقال على ذلك المكان الآخر أنه نقطة أخرى، فإذن لابد أن ننتهي فيما لو انطلقنا من نقطة واحدة نحو الماضي إلى نقطتين حتى نحصل على قوة أي نقطة في زماننا.

وفائدة هذه الفكرة للناس هي فهمهم بأن ما موجود حالياً يحتوي على قوى هائلة من نقاط الماضي لكننا لا نعلمها ولا نلتفت لها، ويترتب عليه أن كل موهبة ماتت وكل فكر رحل عن هذا العالم فهو موجود الآن بيننا لكننا لا نراه، فنحن الآن في حاضرنا نمتلك جميع قوى الماضين بأضعاف مُضاعفة من دون أن نعلم بذلك، وبالتالي فاتنا الكثير من قوة التاريخ وفاتنا الكثير من تلمس قوى الماضي في حاضرنا وفي حياتنا الآتية.

[ 35 ]

# الأشياء من حولنا تدعونا باستمرار إلى النظر في أعماقنا

ربما لا يُصدق الناس أن الأشياء من حولنا تدعونا بإستمرار إلى نفسها، فهي تخاطبنا دائماً لأن نغوص في أعماقها لنستخرج أشياء نافعة لنا في حياتنا، لكن كثيراً من الناس لا يستطيعون أن يسمعوا تلك الخطابات والرسائل، وما يمكن أن أوضحه وأقدمه كأسلوب لسماع تلك الأشياء هو أنها أي الأشياء تتعرض لأمور كثيرة مُلفتة للنظر، بعضها يحصل مع نفسها، ونحن كبشر نلاحظ ونراقب تلك الأمور الحاصلة، وبعضها يحصل مع غيرها والإنسان ليس طرفاً فيها وإن كان قادراً على مراقبتها وضبطها، وبعضها يحصل مع الإنسان نفسه فتحدث معهُ وهو في نفس الوقت يراقبها، وكل هذه الحوادث الواقعة للأشياء سواء كانت مع نفسها أو مع الغير فإن الإنسان ليس أحد أطرافها أو مع الإنسان نفسه، كلها نداءات من تلك الأشياء للنظر فيها ودراستها والتعمق في تفاصيلها، فكل حادثة تقع لأي شيء حولنا فهي دعوة من ذلك الشيء للتعمق فيه ودراسته والتأمل فيه طويلاً.

إن ما يفعله الناس إزاء تلك الحوادث المتكررة يومياً ليس موضعاً

للفخر والتباهي، فهم غالباً لا يلتفتون ولا يراقبون، وإذا راقبوا لا يحللون أو يستنتجون، وإذا استنتجوا فإنهم يستنتجون بطريقة ضعيفة ولا يعدو الاستنتاج عندهم سوى ما يتصل بظاهر الأشياء وصورتها الخارجية، وإذا تعمقوا في الاستنتاج فإنهم لا ينفكون يطلقون استنتاجات غير رصينة، وهذا هو خطأ الناس الكبير، بخلاف العقول الرائعة بل الأكثر من رائعة التي تعتبر كل حركة كونية مُلفتة للنظر ومسألة بحد ذاتها، وحتى لو نفد الحبر من عدد من تلك المسائل فإنه سيكون بداية لكمٍّ هائل من المسائل، لأن نفادها بحد ذاته حدث تتحرك كل الأشياء حول ذلك الحدث، ثم إن أي اقتراب منها سيكون بداية للاقتراب من أعماقها وعدم الاكتفاء فقط بسطحها.

[ 36 ]

# حين يفقد التاريخ نكهتهُ

يتعرض كثير من الناس إلى صراع داخل تفكيرها اتجاه المناسبات الدينية والاجتماعية التي يعيشونها في فترات دورية من حياتهم، فتجد أن الإنسان يصارع عقلهُ بين ما يحمله في داخله من أفكار وعقائد من جهة وبين فقدانه للشعور الفعلي بتلك المناسبة الدينية والاجتماعية من جهة أخرى، ويحاول الناس غالباً غض النظر عن إيجاد ذلك الشعور وتعتبره شعوراً غير مهم سواء تحقق في نفس الإنسان أم لم يتحقق، وما يهتم به الناس غالباً هو التفاعل الحسّي والاجتماعي مع الحدث والمناسبة الدينية أو الاجتماعية والقيام بفعاليات عامة اجتماعية ويكتفي الناس بما يسمونهُ (الإحياء الظاهري للمناسبة) وتوليد الزخم الشكلي لها.

وبالتالي فإن الناس يفكرون أن عدم تولد أي شعور حقيقي نفسي لها لا يعني الخسارة الكاملة، فهم يعتبرون الإحياء الشكلي يمثل نصف الربح إن صح التعبير، وهذا التفكير من الناس ليس صحيحاً فإن عدم وجود هذا الشعور الحقيقي اتجاه أي مناسبة هو أمر طبيعي يُستبدل مع الزمان والمكان والحالة الاجتماعية العامة للشعوب اتجاه مناسباتها ولا داع لإجبار النفس على توليد ذلك الشعور،

كذلك لا داع لجعل الإنسان يعيش انشقاقاً بين سلوكِهِ ومشاعرِهِ، إذ إن المشاعر الإنسانية هي رأس مال المعرفة فإجبارها على شيء أو لوي عنقها باتجاه شيء محدد بعينِهِ ليس تطوراً فكرياً ولا يحمل في داخلِهِ تقدماً معنوياً أو روحياً بحسب تنظير أديان تلك المناسبات، فالناس يجب أن تعلم أن التاريخ يفقد نكهتهُ بحسب تغير عقول الشعوب تغيراً يجعلها مرتبطة بحاضرها ومستقبلها أكثر من ارتباطها بتاريخها، ولا جدوى حينئذٍ من نفخ الروح في جسد ميت بقدر ما نحتاج أن نميت الجسد الحي للشعوب والذي لا أراه يموت قريباً في عالم اليوم المفعم بكل ما يُفقد التاريخ نكهتهُ وبجدارة.

[ 37 ]

# المرض الجسدي
# وصناعة جزء من الفلسفة

كلنا نمرض في يوم ما مرضاً جسدياً، كلنا يجب أن نفقد جزءاً من صحتنا البدنية في لحظة معينة ولا ينفع أي شيء يفعله الناس لدفع هذه الحالة المنتظرة مستقبلاً أو المُعاشة حالياً لمريض يقرأ كلماتي، لا تنفع الرياضة أو الحمية الغذائية أو نوعية الطعام أو الثقافة الصحية أو التخصص الطبي لا ينفع كل هذا منفعة مُطلقة في دفع المرض بالكامل لأنه سيأتي للإنسان مع وجود كل هذا وإن كانت نافعة في تحصيل جسم سليم مؤقتاً ولفترة محدودة من عمر الإنسان القصير أصلاً نسبة لأعمار أشياء موجودة في كوننا الذي وجدنا فيه.

إن المرض يُفقد الإنسان شيئاً ثميناً وهو صحته و بدنه لكنه يعطيه ما هو أعظم من صحته، المرض يعطيه سلامة عقله وصفاء نفسه، هذه الأشياء لا يلتفت لها الناس.

الناس تخاف من المرض وتخشاه وترتجف من الأمراض المُستعصية والمُميتة والسبب في ذلك هو أن الناس لا تنظر للمرض إلا بداية الرحيل عن هذه الحياة ويغفلون عن الصناعة الكبيرة التي يصنعها المرض في عقل الإنسان، فلا يمكن مهما نال ذلك الإنسان

من المراتب والدرجات العلمية أن يرى العلم ويتحسس المعرفة عن قرب ولو بنسبة من تحصيل المفاهيم الواسعة إلا من خلال تخليص الفكر عما يشغله بالاتجاه المُعرقل للتفكير، أما انشغاله بأمر يفتح أُفق التفكير كالمرض أو ما شاكل فإنه سيخلصه ويُنقيه عن الكثير من المقدمات الفكرية المُربكة لنتائج المعرفة.

إن الفلسفة المتحصلة من المرض الجسدي فلسفة تمزج بين الجمال العقلي وفقدان الراحة والألم والضغط النفسي وهذه الفلسفة مجهولة عند الناس وعند من لم يتحرك في كافة أبعاد الفلسفة، إن العقل البشري لن يحصل على فلسفة بذلك الجمال وتلك الأناقة إلا من خلال جسد انطمرت شهواته كلياً بالمرض وعقل فُتح أُفقه بنفس ذلك المرض.

[ 38 ]

# أسلوب مُقترح للسيطرة على الشرود الذهني

من المشاكل التي يُعاني منها أي طالب علم تقريباً هي الشرود الذهني حين يشرع بقراءة كتاب مُعين أو دراسة علم مُحدد، وأسباب الشرود الذهني كثيرة ومُتشعبة، إذ إن كل حدث يُسيطر على الإنسان قد يكون سبباً مباشراً في الالتفات إليه والاهتمام به وبالتالي شروده الذهني عن القراءة والتحصيل العلمي أو أي عمل ذهني آخر، والناس لا تعرف خطورة الشرود الذهني على تقويض قدراتها العقلية ونسفها وتتعامل معه على أنه أمر طبيعي وهو ليس كذلك دائماً وان كان أحياناً تحصل ردود فعل محددة نتيجة ضغط نوعية العمل المُتواصل، لكن ما اقصده من الشرود الذهني هو تلك الحالة من عدم السيطرة على الحركة الذهنية وبكافة الأبعاد من دون سيطرة مُسبقة على ذلك.

ويمكن للناس أن تُسيطر على الشرود الذهني ولتستفيد من ذلك في تحسين قدراتها العلمية والفكرية ويتم ذلك من خلال الانطلاق من نفس الشرود الذهني ومعالجته، وتوضيح ذلك يكون بالانطلاق من نفس الفكرة التي تشغل الذهن والتركيز بها جيداً ثم النظر فيها من

كافة الجهات لغرض حسم تلك الفكرة ذهنياً، وهذه الخطوة جيدة لكنها وحدها تعتبر غير كافية إذ إن الفكرة ستعود للخروج مرة أخرى لتسبب شروداً ذهنياً آخر أو تُخرج فكرة أخرى بدلاً منها لتسبب نفس الشرود، ولذا فالأفضل هو البحث عن تفرعات وجذور تلك الفكرة وعلاقتها بالأفكار العالية الرفيعة المستوى التي هي غير تلك الفكرة وبالتالي يحصل استحضاراً للأفكار العالية كلما حضرت أفكار الشرود الذهني، وهذا الأمر يكون صعباً في البداية لكنهُ بالتدريب والممارسة الصبورة يُصبح سهلاً جداً وسيلاحظ من يُمارس هذا الأسلوب أن ذهنه يصير ذهناً متنقلاً بسرعة عالية من الأمور الهابطة غير المهمة إلى الأمور العالية الرفيعة بلا حصول مشقة أو حدوث تردد.

[ 39 ]

# لا نحتاج التلفظ بالأشياء بل نحتاج الرغبة فيها

ما لا يعلم به الناس هو العلاقة الخفية بين قوة أفكارها وقوة ألفاظها ولكي يتضح الأمر علينا أن نعلم أن ألفاظ الناس ليست سوى أفكارها التي تختمر في أذهانها سلفاً وبأزمنة متفاوتة للاختمار لكن بالنتيجة الناس إما أن تظهر أفكارها بشكل ألفاظ أو تخفيها وتكتمها، والعلاقة الحتمية بين أفكارنا وألفاظنا هي أن أفكارنا أقوى من ألفاظنا في صناعة النتائج الخارجية ولا توجد قوة مُعتد بها في الألفاظ مهما كانت مؤثرة فينا بحسب الظاهر، فالقوة كل القوة من الأفكار حصراً، وهذا ما لا يعلمه الناس غالباً فيحسنون ألفاظهم من دون تحسين أفكارهم وبالتالي لا يظهر شيء يستحق أن يُعول عليه لو اعتمدنا على القوة الموهومة في الألفاظ، ألا يحتم علينا علمنا بهذا الامر أن نستفيد من قوة أفكارنا في تحصيل الأشياء بدلاً من الاستعانة بألفاظنا في تحصيلها ؟

نعم إن المشكلة المهمة التي تجعلنا لا يمكن أن نستعين بأفكارنا وحدها في تحصيل ما نروم تحصيله هو عدم قدرة أفكارنا على الإخبار لأن الإخبار لا يتم إلا من خلال أدوات السمع التي تحتاج

إلى آلية ميكانيكية متعلقة بتضاغط الهواء وتخلخله والذي يسببه الهواء الخارج من أفواهنا بشكل كلمات وجمل مفهومة وهو مما لا يتحقق بالأفكار وحدها، لكن يمكن تجاوز هذه العقبة (عقبة الإخبار) من خلال قوة الأفكار نفسها إذ كلما سيطرت الأفكار علينا فإنها ستظهر على سلوكنا شئنا أم أبينا، فإذا ظهرت على سلوكنا فإن العقول الأخرى ستترجم سلوكنا بشكل أفكار نفهمها ونستوعب معانيها ومقاصدها وغايتها وبالتالي ستنتقل أفكارنا ونستطيع حينها تحصيل الأشياء من دون أن نتوسط اللفظ بذلك بل تكفي رغباتنا التي تتجسد بوضوح في أفكارنا.

[ 40 ]

# لا تحزن فيزداد حزنك

الناس تحزن لأبسط الأشياء وأتفهها، هي تحزن لو شعرت أنَّها تخلفت في سباق الحياة أو تحزن لأنَّها لم تحز على ما حاز عليه غيرها هي تحزن على أمور لا قيمة لها غالباً أمَّا التي لها قيمة عندها فيزداد الأمر سوءاً إذ يتعمق الحزن في أعماقها إلى درجة تؤدي إلى تعطيل عقلها وتفكيرها وسلوكها، إذ إن العقول التي لا تتقبل خسارة الأمور الصغيرة أنَّى لها تحمل الأمور الكبيرة.

إنَّ الحزن متجذر فينا ابتداءً ووجوداً لكنه ليس دائم الظهور، هو يظهر لو هيأنا له أجواء الظهور والبروز والسيطرة على الكائن الإنساني بأي عالم كان وبأي بُعد يمكن أنْ يتحقق فيه ذلك الظهور، والناس عموماً لا تعلم بالدقة متى تحصل لها لحظة الحزن وربما هذا أحد أهم أسباب حزنها على أقل الأمور أهمية، إذ إنَّ المفاجأة في خسارة الأشياء وفقدانها له دور بارز في بروز حالة الحزن المكنونة فينا إذ إنَّ ترك الناس الفجائي لوتيرة الحياة المتعارفة يحزنها لأنَّه وجود فجائي لغير الملائم في طريقها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ ما لا يعلمه الناس أنَّ حزنهم على أشيائهم المفقودة يؤدي إلى نتيجة خطيرة غير ملتفت لها وهي أنَّ هذا الحزن سيجلب حزناً آخر

غير محتسب وغير متوقع، هو حزن ربما يكون أسوء من صاحبه الحزن الأول، إذ إنَّ نفس الحزن إذا سيطر على عقولنا للوهلة الأولى سيجعل العقل معطل التفكير عن أمور أخرى، هو سيشل الحركة الذهنية والخطوات التعقلية وسيتسبب في اضطراب عام وهذا بدوره سيتسبب في إحداث نتيجتين، الأولى: كثرة الأخطاء بسبب ذلك التعطيلِ الفكري المتحقق بعد الحزن الأول، والثانية: أنَّ الحزن يؤثر في الوجود الذي حولنا فسيجلب نظيره من الموجودات وهذا وإن كان غير خاضعٍ لقوانين واضحة وفلسفة قائمة إلا أنَّه متحقق واقع في الحياة وبشكلٍ مؤكد وما على العين سوى أن تُمعن النظر وتُعمق البصيرة لترى ذلك بوضوح.

[ 41 ]

# أقرب الناس منّا فلسفة أبعدهم عنّا زماناً

إنَّ فلسفة كل جيل متغيرة تبعاً لتاريخ ذلك الجيل وتبعاً لعاداته الحياتية المتنوعة المتأثرة بالأحداث المهمة والأزمات السياسية والاقتصادية والاكتشافات العلمية في فترة وجود ونشوء ذلك الجيل.

والفلسفة بطبيعتها العامة ترسم صورتها ومعالمها الأولية في أذهان فلاسفة كل جيل بحسبه تبعاً لانعكاسات القيم والمفاهيم والأفكار السائدة في زمانهم مع تجريد كل تلك القيم والمفاهيم تجريداً فكرياً بحتاً أحياناً أو نفسياً وفكرياً أحياناً أخرى ضمن إطار عام وهيكلية خاصة تتلاءم مع تفكير ذلك الجيل وذلك الزمن.

إنَّ ما لا يعرفهُ الناس أنَّ الإنسان هو واحد مهما حصلت معه ظروف أو جرت عليه تغيرات، وما اقصدهُ بعبارة أنَّ الإنسان هو واحد أنَّه يبقى هنالك شيء مشترك يجمع الإنسان الأول مع آخر إنسان مهما تباعدت الفواصل الزمنية بينهما فيجمعهم حب الحياة والهروب من الخوف والألم والابتعاد عن الحزن والبحث عن السعادة وحب الاكتشاف والانزعاج من المجهول وحب الذات وإلحاح الشهوة وغيرها كثير، وهي أمور لا تتغير مع الإنسان في أي

زمان ومكان، ولأنَّ هذا الأمر مجهول عند الناس فقد تصوروا أنَّ ما يجدونه اليوم من أفكار وما وجدوا عليه من كانوا قبلهم الأقرب منهم زماناً هو نتاج نهائي مُتطور في العقل البشري ومرحلة أخيرة لآخر تجارب الإنسان مع إرهاصات الحياة لكنهم تناسوا أنَّ أفكار اليوم هي مزيج من أفكار الإنسان الأولى من جهة ومتغيرات واكتشافات وأزمات الإنسان المعاصر من جهة أخرى، لذا فإنَّ الناس اليوم لا ترى احتياجاتها الحقيقية كبشر عقلاء بل ترى احتياجاتها كبشر يعيشون تحت وطأة احتياجات اليوم فقط ولأنها أي الاحتياجات المعاصرة آنية التغير وقريبة من حواسنا بشدة فهي صارت صاحبة التركيز الأكبر من مزيج أفكارنا المعاصرة وهي صاحبة اليد العليا في أذهان فلاسفة اليوم وبالتالي صاغ فلاسفة هذا الجيل فلسفة تصوروا أنها فلسفة نقية خالصة لكنها ليست كذلك أكيداً فهي فلسفة خالية من احتياجات الإنسان العاقل المتحرر عن أغلال الزمان والمكان كثيراً ومملؤة باحتياجات إنسان اليوم، لذا فإنَّ ما يجب على الإنسان فعلهُ هو النظر إلى احتياجاتها من خلال احتياجات الإنسان الأول عندها سيعرفون ما هي فلسفتهم حقاً.

[ 42 ]

# ما لا نعرفهُ عن جلسة التأمل

الإنسان منذ إشراقته اليومية الأولى وفي لحظات الصباح الباكر حين تداعب خيوط الفجر أعماقه تجدهُ بحاجة دائمة إلى جلسة تأمل من نوع خاص تزيل عنهُ مخلفات الليلة الماضية بكل ما تحويه تلك الليلة من ألم وحزن واكتئاب وفرح ومسرة وآمال مُنقطعة وفشل عمل وخيبة أمل وتكهن فاشل واستنتاج في غير محله ونوايا سيئة واستجابة لرغبات نفس أو هروب من قيودها، وكل هذا يقع في كل ساعات الإنسان وعلى طول مسيرته المحدودة في يومه، فالإنسان بحاجة إلى جلسة تأمل خاصة، تساعده على تنظيم الفوضى النفسية في أعماقه، هو بحاجة إلى مراجعة خطواته كلها كبيرها وصغيرها عظيمها ودقيقها بعيدها وقريبها، هو بحاجة إلى هذه المراجعة في مكان خاص وزمان خاص وكيفية خاصة، هو لن يكون شيئاً من دون تلك المراجعة ومن دون ترتيب الرفوف وإعادة القراءة من جديد، وخطأ الناس أنها تفعل هذه الجلسات بشكل متقطع فهي لا تداوم عليها أو تستمر بفعلها طويلاً بل الأعم منهم غير ملتفت لأهميتها مطلقاً وبالتالي فهم لا يفعلونها غالباً وإذا فعلوها فربما هنالك خلل في أدائها من حيث الزمان والمكان والكيفية.

وعلى أية حال فإن ترك الناس لجلسات التأمل والنظر العميق داخلها لأجل انشغالهم بأمور أخرى هي في نظرهم أكثر أهمية من تلك التأملات وهذا الأمر لا يُعذر فيه الناس لأنهم لا يعلمون أن تلك التأملات ضرورية في حفظ التوازن الحياتي وضبط معايير الأمور وجعل العقل يعمل بسلاسة كبيرة وسلامة تامة وبالتالي فإن تركها يعني اضطراب لكل شيء تقريباً وبطريقة غير متوقعة ومن دون سابق إنذار، وعليه فإن ما نعتقد أننا نحصل عليه سيختفي ويزول أما فجائياً أو تدريجياً وسنهدم حينها ما نتصور أننا سنحصل عليه بتركنا لتأملاتنا وعندها سيتركنا النجاح بسهولة ومن دون سبب واضح تقريباً.

لكن التأمل العميق في أمور عالية المستوى وبعيداً عن أمور متدنية القيمة قدر الإمكان سيؤدي إلى الارتفاع بسعادة العقل من خلال تحصيل كثير من الحلول لتلك الأمور الهابطة، إذ إن التأمل في الأمور العالية سيؤدي إلى ارتفاع القيمة التفكيرية للعقل وزيادة التحليل النظري وبالتالي سيرى تلك الأمور الهابطة برؤية جديدة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن نفس عملية الابتعاد عن الأمور الهابطة قدر الإمكان مهما كانت مهمة عند الشخص سيقود إلى سعادة من نوع خاص سببها أن العقل هو موجود وجد فينا لينشغل بالأمور الكبيرة العالية القدر والقيمة وإن إبعادهُ عن وظيفته هو تحجيم لهُ وقتل لوجوده بشدة، قتل يلازمه ألم مرير وتعاسة دائمة.

[ 43 ]

# شعور يُخفي خلفه معرفة كبرى

هناك شعور نشعر به دائماً كما شعر به من كان قبلنا يؤكد لنا أن حياتنا بخطها الطويل تدار بخيوط خفيت عنّا رؤيتها وجهل علينا اكتشافها، والغريب أنَّ الناس تتجاهل ذلك الشعور ولا تعرف قيمة ما تشعر به وقيمة ما يخفيه خلفه من معرفة كبرى، إذ إنَّ الشعور الذي يتولد عند الناس على طول خطها التاريخي والذي مفادهُ أنَّ الناس لا تملك القدرة على التحكم في كثير من تفاصيل حياتها وعدم معرفتها بدايات القوى في الكون وعدم معرفتها نهايات تلك القوى هو شعور حاضر لابد أنْ يأتي للناس قسراً بحسب تجاربها المتنوعة في الحياة وبحسب قدراتها على المعرفة والالتفات، لكنها عموماً تنظر إلى تلك القوى نظرة ناقصة غير كاملة وهذا يحتم على الإنسان أنْ ينتبه بأنَّ تلك القوى لابد من إظهارها للناس إذا عجز الناس عن فهمها أو إذا اعتبروا شعورهم بها شعوراً لا يغير الإدراك والفهم وبالتالي لابد من وجود عقل يحول ذلك الشعور إلى قوة لفظية ناطقة تكون سبباً لفهمِهِ، إذ إنَّ ذلك الشعور متحقق وموجود لكنه غير مؤثر وغير مفهوم عند عامة الناس، ولأنه كذلك فلابد من إجراء عملية تفهيم خارجي لهُ مصدرها ذلك العقل الذي تشبع بذلك الشعور لينقلهُ

إلى عقول أخرى فتحوله إلى معرفة كبرى ما كان لها أنْ تتحقق لو لا وجود ذلك الشعور بنقاوة تامة وقوة عظمى لا يحملها إلا عقل مميز في رؤيته التاريخية للأجيال البشرية المتعاقبة.

[ 44 ]

# السعادة ليست أصيلة فينا

حالة الحزن تأتي للإنسان بلا سابق إنذار أو مقدمات، أحياناً تكون واضحة الأسباب وأحياناً مجهولة غير واضحة السبب، لكن نتيجتها تظهر علينا وتنعكس على أفكارنا وسلوكنا.

وتلك الحالة هي بذاتها شعور ينافي ويضاد السعادة وربما تعود إلى فلسفة الملائم لأفكارنا وأحاسيسنا من حيث وجودها فينا أو عدم وجودها، ولأن تلك الحالة تقابل السعادة فهي بوجودها ترفع كل السعادة وكل مُتعلقاتها وبارتفاعها تتحقق السعادة في أعماقنا، وبلغة المنطق العقلي فهما لا يجتمعان ولا يتواجدان في إنسان واحد وفي آن واحد وإن كنت أرى إمكانية اجتماعهما في إنسان واحد في آن واحد وذلك حين نتصور أنه لا توجد لحظات سعادة نقية أبداً وكل لحظة نتصورها سعادة لابد أن يشوبها ولو مقداراً قليلاً من التعاسة والحزن، إذن فالحزن موجود دائماً وبمقادير متفاوتة وإن الأصل في الشعور عند الناس هو الحزن وما السعادة إلا تغطية لذلك الحزن الملازم عند الناس عموماً، فإذا اختفت تلك الأمور التي نسميها السعادة ظهر الحزن الموجود فينا ابتداءاً والناتج من تعددية تركيبنا كبشر وتعددية العوالم الفكرية والنفسية فيه وتقاطعها كثيراً، وأيضاً

بسبب ابتعادنا عن الأشياء التي يطلبها وجودنا والتي لا يمكن أن ننالها أبداً ما دمنا قد وجدنا في هذا العالم المملوء بتراكيب هائلة، وما دمنا نحتاج هذا العالم بتراكيبه كي نستمر في الحياة، فالحزن موجود فينا أصلاً وابتداءاً ولا معنى لشيء اسمه السعادة سوى في التخلص من احتياجاتنا كبشر، التخلص من كل التراكيب الهائلة لهذا العالم وكذلك إعطاء وجودنا ما يحتاجه حقيقة.

وما علينا أن نعرفهُ أن احتياجات وجودنا تختلف جذرياً عن احتياج أبداننا وأحاسيسنا وأن أفضل طريق لمعرفة احتياجات وجودنا هي أن نعرف احتياجات عقولنا فإن احتياجات عقولنا هي بعينها احتياجات وجودنا فإذا لبّت الناس احتياجات عقولها فعندها ستبدأ تبتعد شيئاً فشيئاً عن احتياجات أبدانها وأحاسيسها وعندها تبدأ بالتخلص من تعاستها والاقتراب كثيراً مما يخفي تلك التعاسة فإذا خُفيت فقد تحققت السعادة، فالسعادة تكمن في فهم فلسفتها والتي تبتني على تأصيل وتجذير الحزن في أعماقنا لا تأصيل السعادة فيها.

[ 45 ]

# هل يمكن أن نفهم فلسفة التاريخ من دون قراءته؟

إن علم دراسة التاريخ من العلوم التي لم تأخذ دورها كثيراً عند الناس من خلال فهم الحياة من حولهم أو فهم الدروس المستخلصة من التجارب التاريخية الكبيرة المارة بهم، ويتفاوت الناس في اهتمامهم وفهمهم للتاريخ عموماً ويتفاوتون أكثر في الانتفاع منه وتطبيقه في حياتهم خصوصاً، وإن أهم الأسباب التي تسببت في ابتعاد الناس عن التاريخ لا تختلف عن أسباب ابتعاد الناس عن كل العلوم تقريباً مع إضافة متعلق مهم يتمثل بتصغير حجم التاريخ وخاصة في المجتمعات التي ترتفع فيها قيمة العلوم التقنية والهندسية على حساب العلوم الإنسانية المهمة في تغيير المسار الفكري للعقل البشري من خلال التجارب المعرفية للتاريخ، مما شجع بالنتيجة على هبوط معدل قراءة التاريخ عموماً تحت وطأة صروح عصر العلم والتكنولوجيا من حيث تعرضه لما يتعرض له أي حقل معرفي ومجال علمي آخر تقني غير علمي أو تكنولوجي من حيث أن تحصيلهُ يحتاج إلى دوافع خاصة جداً فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بالإحاطة بفلسفة الحوادث لدراسته وتحصيله.

وعلى أية حال فكيف يستطيع الناس مساعدة أنفسهم للاستفادة من فلسفة التاريخ والقيام بحل مشاكلهم في عقولهم وفي واقعهم المعاصر اليوم تحديداً؟

وما يمكن أن اقترحه كحل لفهم فلسفة التاريخ لا التاريخ نفسه يتم بخطوتين: الأولى أن نجرد عقولنا من أي ميول علمية والاكتفاء فقط بالتأمل بما وراء الأحداث والتغيرات الآنية التفصيلية في حياتنا اليومية المعاصرة والنظر بعيداً عن الصورة الظاهرية لتلك التفاصيل لكن لننتبه في هذه الخطوة أنهُ يجب أن يكون التأمل منتهياً بنتيجة خفية غامضة فيجب ألا يوجد انكشاف تام للأحداث، فإذا تمّت هذه الخطوة ننتقل إلى الخطوة الثانية وهي التدقيق بالأمور المشتركة والتي تجمع تفاصيل ومتغيرات الحياة الحاضرة، وأهم تلك الأمور هي ما يخص أسباب حياة الناس وأسباب موتهم وبما يستطيع العقل البشري إدراكهُ، فإذا حصل كل هذا بأمانة تامة مع العقل عندها سنعرف ما هي فلسفة التاريخ وما الذي يجب أن يقدمهُ لنا حقاً.

[ 46 ]

# نتمنى أن نحصل على قراءة معرفية مختصرة للكون

تعددت قراءات الإنسان للكون تاريخياً بين قراءات نفسية وروحية غير مستندة إلى جذور منطقية واضحة المعالم، وأخرى فلسفية علمية مستندة إليها كانت هي العلوم التي سادت في زمانها، وقراءات لاحقة لتلك القراءات تمثلت بدفع العقل إلى أقصى درجات التجرد عن الماورائيات والانضباط بالحس إلى أعلى المستويات، وهذه النظرة سادت إلى يومنا هذا وإن أضيفت لها بعد حين قوة الرياضيات المتقدمة لتكون هي الحاكمة والموجهة لتلك الرؤية الفلسفية والتجريبية وفق رؤية صارمة ومتانة شديدة للأشياء والمعقولات، إلا أن التأمل العميق في كل تلك الرؤى الكونية والخطوات التاريخية يوصلنا في النتيجة إلى أن الكون هو موجود مملوء بالغموض ومملوء بالاستفهامات ومملوء بالتعقيدات والتناقضات الظاهرية والأخذ والرد وعدم الوصول إلى شيء محدد بعينه وقبضة ماسكة لكل شيء.

لكن يمكن من بين هذا وذاك أن يقدم العقل البشري قراءة معرفية للكون، قراءة تعتمد على تأسيسات متفق عليها عند العقل البشري بما هو عقل بشري، فالعقل البشري يعتقد من خلال تعاملهِ الحياتي

بوجود أشياء تحكم هذا العالم لا يمكن تخطيها أو تجاوزها لأنها حاكمة بشدة بحيث أن أي محاولة لتجاوزها ستتسبب بردة فعل قاسية عنيفة قد تؤدي إلى إعدام المتجاوز عليها كلياً عن الحياة، ولأن الإنسان غير متحكم بتلك الأشياء تحكماً مطلقاً وهي موجودة ابتداءً منذ وجود عقله المدرك لها فمن الطبيعي أن يكون لتلك القوانين عالم آخر يخصها وهو عالم يجب أن يكون أعلى من عالمنا نحن البشر وأعلى من عالم تلك القوانين إذ لو لم يكن كذلك لما أثر فيهما كما هو واضح، وبالتالي يمكن أن نحصل على قراءة مختصرة لكون مؤلف من ثلاث عوالم فقط عالمنا وعالم الأشياء الحاكمة علينا والعالم المختص بتلك القوانين، ويمكن بعد ذلك أن نضع فلسفة متلائمة مع كل هذا بعيداً عن التفصيلات أو الإفراط في أشياء قد لا تنفع الإنسان حقيقة وإن كانت نافعة لمنهجه البحثي العلمي الأكاديمي إلا أنها منفعة غير مجدية بذاتها، فليس المهم أن نحصل على نظريات معمقة بعيدة عن الإنسان بقدر ما يمكن الاكتفاء بنظرة فلسفية واضحة المعالم قليلة التفاصيل لكنها نافعة للإنسان ومعينة له في وجوده في هذا العالم وهذا هو المهم، إذ ليس مهماً أن نصنع علماً عبقرياً من الكون بل المهم أن نصنع إنساناً من الكون ذلك الكون يختصره عقل فلسفي فذ ونظرة عميقة إلى جوهر الأشياء يتلقى الإنسان خلاصتها لينطلق بعدها إلى مهمة أكبر لا أن يقضي الإنسان عمره في تفاصيلها وجدلياتها مُضيعاً عمره عن الهدف العقلي المطلوب منه كإنسان عاقل بأبعاد متنوعة لا مجرد عقل بحثي أكاديمي يبحث بلا نهاية لأسئلة لم يُطلب منه صراحة البحث فيها بقدر ما طُلب منه صراحة السير إلى نقاط عظيمة في عوالمهِ الإنسانية الداخلية.

[ 47 ]

# في الوجود لا يوجد رابح ولا خاسر

ما لا يعرفه الناس أن الربح والخسارة مفاهيم وضعتها نظرتنا المحدودة الخاصة نحو الأشياء من حولنا والتي هي عرضة لتعاملنا معها بشكل يومي، وغالباً ما تكون تلك الأشياء متغيرة حسب الحالة التي يعيشها الناس وحسب تبدل الظروف وتقلبات الزمان، فما كان خسارة في يوم ما سيصير ربحاً في يوم آخر وكذلك العكس فما كان ربحاً سيكون خسارة وهكذا، إذن فالربح والخسارة يتأثران كثيراً بما يدور حولنا من ظروف ويتبدلان باستمرار بحسب الزمان والمكان، وهذه الفكرة وحدها كافية لتضييق دائرة الربح والخسارة كثيراً في عقولنا وجعلها منعدمة تقريباً في نفوسنا، فليس الربح والخسارة سوى مؤثرات نتأثر بها بشدة بحسب أفكارنا التي نحملها وبحسب الظروف الجارية علينا وغير هذا فليس لهما وجود حقيقي بما للكلمة من معنى إنما الموجود حقيقة هو أفكار في أذهاننا فقط تفرحنا وتؤلمنا بحسب اعتبارات زمانية ومكانية محددة ومضيقة جداً، وحتى على فرض عدم وجود ذلك الاعتبار والمحدودية فسيبقى الربح والخسارة غير متحققين في الوجود أيضاً وليس لهما أي معنى بالفهم المتعارف عند الناس فإن ربح أي شيء يلازمه خسارة

شيء آخر بالفهم الذي يفهمه الناس ويعرفونه، فإننا حين نحصل على الاشياء لابد من تقديم خسارة ابتدائية في سبيل تحصيلها وبالتالي فإن تحقيق الربح سيلازمه خسارة وحتى على فرض عدم وجود الخسارة الابتدائية في سبيل تحصيل ذلك الربح فإن الخسارة ستحصل بشكل ملازم للربح وفي نفس الآن واللحظة وأمثلة ذلك كثيرة لا أحبذ ذكرها لمعذورية فهم الأفكار من خلال الأمثلة فقط، لكن التأمل الواسع للعقل البشري سيقود إلى هذه النتيجة بكل تأكيد فإذا فهمنا هذا سنفهم حينئذٍ أن الألم المتحصل من خسارة أي شيء ليس سوى ألم أفكارنا فقط، لكننا بعد التأمل سوف لن نجد لذلك الألم أي وجود حقيقي، فالربح والخسارة مفهومان يتحققان لو خصرنا نظرتنا للأشياء بالزمان والمكان والظرف والتحسر والألم والفرح والسرور ولكنهما بعد النظر إلى الوجود ككل نظرة واحدة كاملة سنعلم أنهما منعدمان بالمرة وليس لهما وجود إطلاقاً.

[ 48 ]

## ما هو الوجه الآخر للأشياء من حولنا ؟

إن الإنسان يخطئ كثيراً مراراً وتكراراً وإن أخذ العهود على نفسه إلا أنه سيخطئ مجدداً وإن ندم على كل ما صدر منه مع نفسه وما صدر منه مع الناس لكنهُ بالكاد ما إن يحصل معهُ هذا الندم ويستمر عليه لفترة من حياته حتى يعاود ارتكابهُ الخطأ مجدداً وبأسباب واهية لا تستحق أن يخطئ لأجلها بعد أن ندم على أخطائه السابقة، وهذه العملية الدورية لارتكاب الخطأ والندم مهمة في صناعة فلسفة عميقة للوجود مُبتنية على نظرة العقل للأشياء من حولِهِ ومرتكزة على فلسفة الخطأ والصواب واستشعارهما في سلوكنا اليومي، وتلك الفلسفة المرتكزة على نظرة العقل وحده هي بحاجة دائمة إلى ما يحفز ذلك العقل ويثير مكنوناته ويظهر خباياه، والطرق لذلك كثيرة ربما بقدر قوة العقل نفسهُ وإمكانياته الهائلة، فحبنا لأبنائنا وُجِدَ فينا من دون أن نتقصد ذلك ومن دون أن نخطط له فيكون هذا الحب سبباً مهماً في استثارة عقولنا لو هدد أبناءنا شيء أو اضرّ بهم فعلياً شيء آخر كاحتمال توقف حياة أحدهم لأي سبب من الأسباب كالمرض ونحوه أو فقداننا لأسباب القوة التي كانت متاحة لنا في زمان ما وغيرها كثير مما يؤدي إلى تحفيز العقل واستثارته لكشف

حقيقة كبرى في هذا الوجود، حقيقة أن الأشياء من حولنا لها وجه آخر صورتهُ نحن فإذا ظهر وجه الأشياء فإن ظهورها لا يكون إلا فينا، أما إذا ظهرت الأشياء فينا فهذا يعني أن الأشياء من حولنا تغيرت بشكل مُلفت للنظر وهي تطلب منا أن نلتفت لعقولنا، أما إذا ظهر وجهان لهما فقد ظهرت استثارة العقل وظهرت خباياه وندمه على أخطائه وهكذا، فالعملية في تقلب مستمر والعقول الكبيرة لا تكتفي بالنظر لها أو النظر الى وجه الأشياء فقط بل تتوسع إلى ما هو أكبر من ذلك، هي تتوسع إلى القوة الخفية المُقلبة لتلك الوجوه والمحركة لها باستمرار، هي لا تراها لكنها تعلم من خلال هذين الوجهين أنها مؤثرة وهي تنبهنا باستمرار، تنبهنا بأننا يجب أن نعلم أن كل ما يقع معنا وكل ما نتحرك لأجله كل حزن وفرح وكل إنجاز وكل حركة وسكون هي وجه آخر للأشياء من حولنا وعلينا أن نرى عقولنا من خلال تلك الأشياء، ولا يحصل ذلك إلا بتوسط تلك القوى الخفية، نتوسطها ونحن لا نعرف أي شيء عنها إلا اختفاءها عن أنفسنا واختفاءها عن الأشياء من حولنا، وهذا الاختفاء هو السر في جعلها تصنف ضمن القوى الكبرى في هذا الوجود، فإن عظمة الأشياء تكمن في صعوبة اكتشافها ومعرفتها.

[ 49 ]

## الموت بداية كل شيء لم نبدأ به إلى الآن

لا شيء يوقظنا كالموت، فالموت وحده من يوقظنا من كل خطأ ارتكبناه، نحن لا نعرف حجم أخطائنا إلا بوجود شيء أسمه الموت، نحن نتسلى ونضحك ونبني الآمال ونرسم الخطط ونصر على ارتكاب الأخطاء يومياً، نرتكبها بلا هوادة أو خجل، لكننا لا نرى كل هذا، لا نراه أبداً، لا نراه لأنه لا يوجد شيء أسمه موت يهذب لحظات المجون وساعات الضياع ولو كان موجوداً في عقولنا لتوضحت لنا حياتنا ولكشف لنا ما لا نراه من أخطائنا، إن مشكلة الإنسان أنه لم يجرب قوة الموت، هو لا يجربها إلا مرة واحدة ولا يستطيع بعد تلك المرة أن ينقل تلك التجربة العظيمة إلى غيره، إذ إن لازم الموت الصمت المطبق وكتمان أمره مطلقاً.

إن الموت هو أكبر قوة كاشفة لازمت الإنسان لتحفظه من نفسه ولازمته ليعرف من خلالها معنى الحياة وليعرف أن الكون لابد له أن يتحرك متخفياً في حياته الحقيقية، فكل ما نراه هو مجرد رشحات من الحياة ثم يأتي الموت ليكشف لنا قوة الحياة ويكشف لنا ذلك الخفاء الكبير، يكشفه للإنسان بصوت عالٍ وكلام بليغ، وكل هذا بلغة الصمت البشري، يخاطب الإنسان بالابتعاد الممزوج بالتأسي

يخاطبهُ قائلاً اذهب بعيداً أيها الإنسان، إذهب بعيداً في خيالك وآمالك، اذهب واغفل عما دأبت عليه عمراً منذ شبابك حتى ابيض شعر رأسك ولحيتك، إذهب بعيداً أيها المسكين، إذهب وحاول أن تتناسى ما تذوقت طعمه ورأيت كل شيء من خلاله وحماك دهراً وحفظ عقلك من أفكار آبائك المعاندين، إذهب بعيداً أيها الإنسان، إذهب فإنك لن تستطيع أن تتحرك أُنملة واحدة، فأنت عاجز عن الحركة، إذهب فإنك راجع وإن توهمت ذهابك لأنك حتماً ستعود وسيرجعك من لا تجد القدرة على دفعه، ستعود أيها الإنسان وسيرجعك من لم تتوقع يوماً أنه سيرجعك فأنت أيها الإنسان لا تعلم ويبدو أنه كتب عليك أن لا تعلم، فإذا علمت ذلك فحريٌ بك أن تستمتع بلحظات خاصة جداً، حري بك أن تغيّر فلسفة السعادة، عليك أن تعيد كل تلك الصياغات، عليك أن تعيد كتابتها في عقلك فإن إعادة صياغتها هو بداية كل شيء لم تبدأ به إلى الآن، وإن توهمت أنك بدأت به فاعلم أنك لم تبدأ، ولو كنت قد بدأت به لكان الموت غير مخفي عنك وغير مخفي عّنا ولكان كل شيء فيه جميل كجمال ما نتصوره وما نعتقده من الحياة، هو جمال لا وجود لهُ إلا في أوهامنا، تلك الأوهام نفسها هي من أرعبتنا من الموت وباعدتنا عنهُ مسافات شاسعة مع جهلها أنه قريب منا، قريب منا أكثر بكثير مما نتصور.

[ 50 ]

# معرفة لا تظهر إلا بترك بعض من سلوكنا الجمعي

ينحصر تفكيرنا غالباً اتجاه أمر معين بأبعاده المرسومة لهُ سلفاً دون أن نفكر في تجاوزها بأي مقدار من التجاوز، تجاوزاً يجعل الأمور منظوراً لها بمنظار مختلف ويشحن الزمان بشحنة مختلفة تحمل في طيّاتها شيئاً من العلم والمعرفة غير المتوقعة للأشياء، فالناس حين تعيش حدثاً معيناً وسلوكاً عقائدياً ثابتاً دورياً في زمان محدد فربما يكون أقصى استعمالٍ لأدواتها ينحصر بنتاجات العقل المجموعي والتاريخي للأشياء الثابتة دورياً، وبالتالي فإن السلوك العام للناس ليس إلا تجسيداً لذلك النتاج.

لكن قد نفكر بالأمور بطريقة مختلفة من خلال النظر العميق للوجود والكاشف لمعرفة خفية إلا أنَّ حصر تفكيرنا بجزء منهُ سواء كان شخصياً أو حدثياً قد يقود إلى حصر سلوكنا فيه أيضاً بحيث تكون خياراتنا اتجاهه محددة، إذن لماذا لا نوسع تلك الخيارات من خلال توسيع تفكيرنا بالوجود كلهُ بدلاً من حصره بجزء محدد منهُ، وهذا هو السلوك الطبيعي للإنسان الذي يُنتظر منهُ أن يسلكهُ في كل حياتهِ، لكن ما يفعله الناس هو تعطيل ذلك السلوك الطبيعي اتجاه النظر

الى الوجود وحصره بحدث او مناسبة بذاتها، ولو أنهم مزجوا بين تلك النظرة العامة للوجود والتي حافظوا عليها في أوضح الظروف الزمانية مع نظرة الحدث الخاص والمناسبة المعينة لحصلوا على نتاج تفكيري مختلف يتمثل بسلوك مُختلف ربما إلى الآن لم نشاهد له مثالاً واضحاً إلا ما ندر والذي بدوره يقود الى معرفة خُفيت على عامة الناس إدراكها.

[ 51 ]

# فائدة استشعار قوة الزمن

الناس تعيش في وهم لا تستطيع أنْ تتخلص منهُ لأنها ببساطة لا تعرف أنهُ وهم، كل شيء سينتهي فلماذا المنافسة ولماذا الألم ولماذا الحرب ولماذا القتل ولماذا التملك ولماذا الغضب ولماذا الحيازة ولماذا السيطرة ولماذا لابد أن يكون هنالك شيء خاص بنا ولماذا لابد للنصر أن يكون حليفنا ولماذا يجب أن نكون نحن النهايات العليا التي تنتهي إليها الأشياء لماذا كل هذا ؟ هل يُعقل أننا لا نعلم أن هنالك شيء أسمه الزمان والزمان وحده يكفي لتحطيم كل خيال في نفوسنا؟

فهو الترياق الذي يقضي على كل أوهامنا وهو العقل الكوني الذي يفضح كل خداعنا وهو الوجود الذي نحتاجه لفهم التاريخ وهو الصورة الهادفة لفهم الأيام ذات الأحداث الخاصة.

إن كل ما يحتاجه الناس لفهم السلوك الخاص للشخصيات الخاصة هو أن يفهموا الزمان ففي فهم الزمان يمكن أن نتحرك أكثر في أعماق الأحداث ويمكن أن نتكلم أكثر مع الشخصيات التاريخية الظالمة والشخصيات المظلومة، الزمان يهيئ لنا الحديث مع كل هذه الاشياء، فقط علينا أن نستوعب حقيقة مهمة وهي أن الزمان مع

كل أهميته في العلوم الطبيعية والتنظير الفلسفي إلا أن أهم غاية له ربما هي إلغاء قيمة الأشياء وفسح المجال لارتفاع قيمة غيرها لتأخذ دورها معهُ مجدداً، فكل الأشياء نجدها غامضة لكنها مع الزمان سينجلي غموضها وكل الأشياء ذات البريق الأخاذ مع دخول الزمان سيُختبر جدياً صدق بريقها وهكذا، فالزمان قوة قاهرة لعقولنا لأنها ببساطة فوق عقولنا حقيقة واعتباراً ولأنها كذلك فقد صارت قوة الزمان هي خير من يشرح فلسفة التاريخ وخير من يضع النقاط على كلماتِهِ المبهمة لكن كل هذا مشروط باستشعارنا العقلي بالزمان والحذر في تعاملنا المعرفي معهُ لأننا إذا لم نفعل فعندها سيكون كل شيء مقلوباً وسنتفاجأ حينها أن ما انعدمت قيمتهُ مع الزمان صار له كل القيمة وبطريقة لا نتوقعها أحياناً.

[ 52 ]

# السلام يظهر لنا أحياناً بشكل تحذير

السلام منهج نادت به البشرية منذ وجودها بأشكال مختلفة للنداء، تارة نداءً يقدمه فرد لفرد أو نداء فرد لمجموعة أو نداء مجموعة لفرد أو مجموعة لمجموعة وهكذا، وكلها تشترك بمعارضة الأذى والضرر الناتج من العداء والحرب والكراهية بين تلك الأطراف الفردية أو المجتمعية من جهة واحدة أو من جهتين أحياناً وإن تضمنت إحدى تلك الجهات أو كلها أطرافاً مُتعددة في داخلها إلا أنها تشترك بنبذ الكراهية والعداء والضغينة والحقد والانتقام، بنبذ كل هذه الأشياء غير المُحببة للطبيعة الإنسانية.

لكن الناس عموماً لا تستطيع أن تتحكم بمشاعرها على طول الخط الزمني لحياتها المُفعمة بأنواعٍ من الاحتكاكات والمزاحمات المختلفة، فهي تحقد وتكره وتحارَب وتنتقم، لذا فالسلام نادراً ما يقع في حياة البشر بصورته المُنطبقة على معناه بل من الصعب تحصيله بالمعنى المذكور والمبني على النبذ والرفض.

لكن يُمكن جعل أحقادِنا وكراهيتِنا وعدائِنا تخدم السلام وتنفعهُ بطريقة تأملية وذلك من خلال فهمنا أن الكراهية يمكن أن تكون تحذيراً لنا فإذا ظهرت فينا فهي تحذير لغيرنا أنه لابد أن يركن إلى

السلام وإن ظهرت عند غيرنا فهي تحذير لنا بوجوب الركون إلى السلام أيضاً، وكذلك الأمر مع العداء والحرب والحقد والانتقام كلها يمكن أن تكون سلاماً يظهر لنا ذلك السلام بشكل تحذير وما علينا سوى أن نفهمه من زاويتنا بعد استحكام الجانب الفلسفي من وجوده في نفوسنا.

إذن السلام كمفهوم قريب من البشر تطبيقه رغم كل ما تحمله البشرية في مسيرتها الطويلة من مشاكل واضطرابات وإرهاصات مختلفة.

لكن يبقى للسلام ظهوره في كل تلك الصور المشوهة يظهر فيها ليعيد ترتيبها من جديد فتحيا نفوسنا به، تحيا في مواضع لم نتوقع أن يظهر فيها خير فضلاً عن ظهور السلام فيها لكنهُ مع ذلك ظهر.

[ 53 ]

## لتوجيه أفكارنا بالاتجاه الصحيح

كل إنسان يحتاج أن يكون تفكيره تحت سيطرته ولا يتشعب من هنا وهناك وباتجاهات مختلفة غير منضبطة، لأن الفكر إذا تحرك باتجاهات غير مُسيطر عليها ضاعت قدرتهُ وعجز عن تحصيل أي شيء بالنهاية، لذا لابد للإنسان أن يكون متسلحاً بالسيطرة على دوافعه عموماً والسيطرة على مركز تلك الدوافع وهي الأفكار، والناس لا تعرف كيف تُسيطر على أفكارها لتوجهها بالاتجاه الصحيح وغالباً ما يقع ذلك التوجيه نتيجة بواعث من هنا وهناك وليست من خلال سيطرة مُنظمة على الأفكار ولأن هذه البواعث لا تتحقق دائماً فعليه تكون الأفكار غير مُصيبة دائماً.

ومن الأساليب التي يمكن إيجادها للسيطرة على تفكيرنا أسلوب استبدال الأشياء المسيطرة على تفكيرنا بأشياء أخرى يجب أن تكون في تصورنا أكثر أهمية لكننا لا نعرف أهميتها لذلك فتفكيرنا لا ينجذب نحو تلك الأشياء التي لا يراها مهمة في حياته، فلو قام الناس بتبديل ترتيب صور الأشياء في تفكيرهم لتمكنوا من السيطرة على أفكارهم ، ويتم ذلك بجعل الأشياء التعقلية ذات القيمة الأكبر في عقولهم والتقليل من قيمة الأشياء الأخرى، ويتم ذلك بالتفكير

وإطالة التفكير في البحث عن حقيقة البقاء وسر السعادة والحياة والعالم، والتقليل من التفكير في الأمور المُضيقة القصيرة والمختزلة الزمن ذات المنفعة المحدودة.

إن التفكير في الأمور المعقولة والواسعة الأفق يجعلنا أكثر سيطرة على أفكارنا بخلاف التفكير في الأمور الضيقة المحدودة فإنه يجعل تفكيرنا غير مُسيطر عليه وعشوائياً جداً.

[ 54 ]

# دعوة لتصنيف فكري حديث للقوى الكونية

إن القوى في الوجود متنوعة ومتفاوتة بين القوى الطبيعية المتوسطة في الوجود والقوى الكبرى فيه والقوى الضعيفة، وكلها قوى مادية حاكمة على الأجسام ذات الكتلة باختلاف أحجامها، والإنسان بعقله واكتشافاته لم يكتفِ بالتعامل مع هذا النوع من القوى المادية بل تجاوزها إلى قوى لا تُدرك بالمادة وحدها، فهنالك قوى يدركها الناس من خلال آثارها في حياتهم اليومية فيعلمون من خلال عدم تفسير بعض تلك الحوادث تفسيراً مادياً أن هنالك قوى لامادية هي السبب فيما يحصل في تلك الحوادث حولهم، وهذا التفكير متوقع حصوله في العقل البشري بعد عجزه عن تحصيل تفسير مادي مقنع لما يدور حوله.

وعلى أية حال فإن إثبات تلك القوى أو نفيها لا يزال موضع جدل مستمر إلى يومنا هذا فتنوعت البشرية وتفاوتت في ذلك كثيراً، وأرى أنه بغض النظر عن إثبات ذلك ونفيه فإن بعض قوى الكون التي حولنا وإن لم نفهمها ونعجز عن تفسيرها علمياً فإنه من غير الصحيح نفيها مطلقاً، وكذلك من غير الصحيح تصنيفها ضمن التصنيفات غير العلمية فهذا يخالف اللغة التي يجب أن تصنف على أساسها المفاهيم العلمية الرصينة.

وما أراه أنه يمكن أن نوجد تصنيفاً علمياً مرضياً وإن لم نجد له تفسيراً مادياً وهو التصنيف الفلسفي الحديث إن صح التعبير ويكون بأن نوجد حقائق فلسفية حديثة للأشياء وذلك بجعل جميع ما نعرفه من أشياء ومفاهيم وقوى ومؤثرات ونتائج ذات تصنيف فلسفي، فبدلاً من تصنيف ظاهرة معينة على أنها ظاهرة فيزيائية أو كيميائية أو فلكية...ألخ من جهة أو بارسكلوجية أو روحية من جهة أخرى بحسب حدود معرفتها فيمكن تصنيفها ضمن تصنيف فلسفي مستحدث كأن تكون قوة من نوع معين تؤثر في عقولنا أو تؤثر فينا أو تؤثر في الكون والأشياء من حولنا كقوة الدفع وقوة الجذب وقوة التحصيل وقوة المجيء وقوة الذهاب وهكذا، وربما لو سار الإنسان بهذا التصنيف الفلسفي بالتزامن مع النتاج العلمي التجريبي منذ الفترة التي اعتبرت فيها الفلسفة أنها علم قديم غير نافع ومنذ أن سيطرت الرياضيات والتجربة على العلوم الطبيعية ربما سنحصل حينها على علم يُمازج بشكل جاد وعلمي بين النظرة الفلسفية للأشياء وبين العلوم الطبيعية بقوتها الحدية الصارمة الجامدة الخالية من الابعاد العلمية الشاملة، ولقد كانت هنالك دراسات ومحاولات بشكل ومضات مقطعة إلا أنها لا تزال في طور الطفولة إن صح التعبير إذ إنَّ ذلك التمازج لا يمكن تحقيقهُ من دون إحياء الفلسفة وإعادة صياغتها من جديد وبشكل مستقل وتنقيتها من الأفكار التي أدت بها إلى أن تموت في آخر الطريق بعد رحلتها الشاقة الطويلة، وبالتالي سيكون ذلك التصنيف الفلسفي الحديث مع نتائج العلوم الحديثة مجتمعة هو تصنيف فكري حديث بعيد عن التطرف والحدية بين أطرافه المتقاطعة ظاهراً.

[ 55 ]

# كيف نجعل تفكيرنا يُعيد صياغة الأشياء ؟

كثير من الأحيان يندفع الناس اتجاه حالة معينة في الحياة وتلك الحالة تستولي على عقولهم فتسيطر عليها إما دفعياً أو تدريجياً وتبدأ تلك الحالة بالظهور والسيطرة على عقول الناس كلما أسرفوا في الدخول في تفاصيلها، إذ إن الفكر البشري يتعامل مع الإعادة المكررة لحالة معينة على أنها من الحالات ذات الأهمية البالغة عند صاحبها، وهذه التقنية في الفكر البشري إبداعية بعد التأمل فيها إذ إن تكرار إعادة الأشياء يعني أنها مهمة فعدم اعتبارها مهمة يعني أن يضطرب النظام إذ إن فائدتها استمرار بقاء النوع للإنسان نفسه، فالفكر يوجد علاقة بين أهمية الأشياء من خلال تكرارها وبين فائدتها كأسباب لبقاء النوع الإنساني فإذا فهمنا ذلك فهذا يعني أن جزءاً من عمل الفكر يعمل بهذا الأسلوب وحينها سنعلم أن الحياة قد توجه لنا رسائلاً خفية لتجعل فكرنا يعيد صياغة الأشياء على أساس آلية تفكيره، فالتكرار يولد الأهمية عند الفكر كما ذكرنا فإذا صَدَمنا الفكر أثناء التكرار بحيث نجعله لا يوجد علاقة وثيقة بين تكرار بعض الأشياء وأهميتها عندها يتحقق المطلوب، إذ إن عدم وجود هذه الصدمة يعني الاستمرار في تأكيد هذه العلاقة بينهما.

إن هذا الأمر عموماً لا يحصل غالبا بطريقة مخطط لها من قبل الفكر البشري وهو لا يختار لا الزمان ولا المكان ولا نوع الحدث المناسب لهُ، كل هذه الأشياء لا مصدر واضح لها سوى أحداث الحياة عموماً، ولم اقتنع شخصياً بمحاولات تفسير ذلك سواء كان على مستوى العلوم الطبيعية أو غيرها، ولا يبدو أنه يلوح في الأفق تفسير مقنع لهكذا حالة تواجهنا، وقد تكون هكذا حالة غير موجودة أصلاً بحسب وجودها الفعلي وإن كانت موجودة في أفكارنا فقط لكن ما نعلمه أن هنالك الكثير من المعرفة تحصل في حياتنا ليست بسبب تفكيرنا فقط بل من خلال أحداث حياتية لم نكن نعتقد أنها ستحصل أبداً ولم نكن نعتقد أنها ستكون سبباً مهماً فيما يجري حولنا أو سبباً يوجب تغير نظرتنا لما يجري حولنا.

وبالتالي فما على الناس معرفته هو اكتشاف تلك القوة المُختفية وراء ولادة الرسائل الحياتية، فإنها قد تكون سبباً في تحطيم أشياء وسبباً في بناء غيرها ولا يجوز أن يهمل الناس تلك الرسائل لأنهم بإهمالهم لها فإنهم سيحرمون أنفسهم حينها من قوة جبارة أهديت لهم بالمجان لكنهم فرّطوا بها، والمشكلة لا تتوقف هنا بل تتجاوزها إلى عدم معرفة الناس لتلك الرسائل أصلاً، وهم يغفلون أنْ تلك الرسائل ذات هوية واضحة دائماً فهويتها هي إيقاف التكرار والاستمرار وإخلال النظام الذي يتصورونهُ أنه يحفظ نوعهم وهم لا يعلمون أن تلك الرسائل هي من سيحفظ نوعهم لكنهم لا يشعرون.

## [ 56 ]

# كيف نحول الأفكار التقليدية إلى أفكار تجديدية ؟

في عقولنا كثير من الأفكار التي تردنا من مصادر شتى، بعض تلك الأفكار تردنا بلا مقدمات أو إنذار مسبق، ولم يُفهم سبب واضح لورود هذه الأفكار إلى عقولنا بشكلها المفاجئ، فقد تكون تلك الأفكار نتاجاً لعمليات فكرية سريعة أو بطيئة تجري في عقولنا نشعر بحدوثها أحياناً أو لا نشعر، لكننا بالنتيجة نحصل على صورها في عقولنا، فعقول الناس غالباً ما تبحث عن أفكار جديدة وتحاول أن تتجنب الأفكار المتعارفة والتقليدية المطروحة مسبقاً إذ إنها تتجنبها خوفاً من التكرار والإعادة وعدم ذكر الجديد والانحصار على ما لم يرد إلى مسامع الناس لغرض نيل الفتوحات العلمية الجديدة والابتعاد عن التكرار السابق.

وهذا المستوى من التفكير الذي يقوم به الناس في التعامل مع أفكارها عموماً ورفض التقليدية منها سيجعلها تخسر فوائد تلك الأفكار التقليدية وسيضيّع عليها فكرة الاستفادة منها، والطريقة التي نقترحها لقلب الأفكار التقليدية إلى أفكار تجديدية مع إبقائها حية في الوسط العلمي هي أن تبدأ عملية صناعة الأفكار من الأفكار الجديدة

غير المتعلقة بالأفكار التقليدية مطلقاً حيث نكتفي فقط بعرض أفكارنا الجديدة مجردة عن كل شيء وهذه هي الخطوة الأولى، فإذا حصلنا على ما نريد بغض النظر عن الفكر التقليدي المتعارف فإننا نكون حينئذٍ قد قطعنا نصف الطريق نحو التجديد، أما النصف الآخر فيتم بعد الرجوع إلى الأفكار التقليدية، إذ إن الرجوع إليها بعد مرحلة استخراج الأفكار من دونها سيفجر طاقة التجديد إلى أقصاها وهذه هي الخطوة الثانية، إذ إن المزج المرحلي بين الأفكار المجردة عن الأفكار التقليدية من جهة وبين الأفكار التقليدية سيولد التجديد الفعلي شريطه أن يقع ذلك المزج بمراحل متعاقبة لا دفعة واحدة.

وإن هذه العملية كي يقوم بها المفكر فهي بحاجة إلى قوة نفسية عالية، إذ يحتاج العقل إلى مرحلتين رئيسيتين أحدهما معاكسة للأخرى وكل مرحلة منهما يجب أن تكون النفس فيها بأعلى مستوياتها للإحاطة بكل مرحلة وعزلها عزلاً تاماً عن الأخرى، أما التعامل مع الأفكار التجديدية مباشرة ومن دون المرحلة الإرجاعية التعاقبية إلى الأفكار التقليدية فسيحرم المفكر عندها من طاقة معرفية مهمة لن يهبها لهُ التجديد وحده وهي منعدمة في الأفكار التقليدية بطبيعة الحال.

[ 57 ]

# الإعداد الفلسفي لمكان التعلم

الناس عموماً تهتم بالمكان في حياتها، فهي تهتم به إذا كان محلاً لسكناها أو موضعاً لطعامها أو مستقراً لراحتها أو موطئاً لتخفيف أعباء سفرها وكذلك تهتم به إذا كان مكاناً لأخذها العلم وتلقيها المعرفة، وغالباً ما تهتم الناس بذلك المكان اهتماماً واضحاً من حيث توفير وسائل الراحة من سعة المكان ومتانته وكمال الأمور المزودة لطالب العلم، وتحرص تلك المؤسسات على توفير أفضل المناهج والأساتذة لذلك الطالب لغرض الخروج بمحصلة علمية كبيرة منه في نهاية المطاف.

إن المكان الذي يتلقى طلبة العلوم فيه علومهم يحتاج إلى كل ما يحتاجه من مقومات العلم المذكورة إلاّ أن كل ما ذكرناه لا يكفي وحده لتحصيل العلم من وجهته الفلسفية دائماً، إن مكان أخذ العلم من المهم جداً أن يُعد إعداداً محكماً بكافة الأبعاد، إلا أن الإعداد الأكبر والأكثر تطوراً ليس فقط من حيث التقنيات الحديثة ووسائل البحث العلمي بقدر ما يكون الإعداد إعداداً فلسفياً من بُعد آخر يختلف تماماً عن أبعادنا الظاهرية المتعارفة.

إن المكان الأمثل لأخذ العلوم لابد أن يكون مكاناً تربطنا مع

صاحبه علاقة علمية رفيعة المستوى وعلاقة أبوية عميقة الدرجة وهذا ما يجهله الناس غالباً، فالناس تجهل أن دخولها في مكان لأخذ العلم لا تربطها بصاحبه أي علاقة علمية أبوية سيؤثر على تفكيرها كثيراً، فلابد أن يكون المكان عائداً في تصرفه إلى ذلك الطالب أو الأستاذ المعلم أو الأب العلمي يتصرف فيه أي منهما تصرفاً علمياً مطلقاً بلا حدود أو قيود تحدّ من المعرفة التي يريدها كلاهما، إن هذا الأمر على سذاجته الظاهرية عند الناس مهم في تغيير خارطة أفكارنا ومهم في دفع عقولنا إلى الأمام، فالمكان يؤثر فينا عموماً ويؤثر على تفكيرنا في لحظة مهمة من لحظات تحصيل المعرفة والعلم من دون أن نعلم بذلك، فلابد أن يكون مكان أخذ العلم وتلقيه عائداً بتصرفه لطالب العلم أو عائداً بتصرفه لأستاذه القريب منه علمياً وأبوياً فهذا سيسرع طريق أخذ العلم على الأستاذ والتلميذ معاً، إذ إن العلم يرتبط وجودياً بالبُعد النفسي ويخضع في اتباعهِ وتحققهِ واستقرارهِ إلى مزيج من الرؤية العقلية والنفسية في أعماقنا. وهذه الفكرة لأنها مجهولة المعرفة ربما صارت سبباً خفياً في تخلفنا وهبوط أحوالنا العلمية والمعرفية إذا ما قورنت مع النتائج المثالية لها، إذ إن الناس لم تلتفت إلى وجود أبعاد لانهائية في تحصيل المعرفة واكتساب العلوم وتكتفي الناس فقط بالاهتمام بالأسباب الظاهرية للمعرفة بعيداً عن التدقيق في ماورائيات الأشياء والتي لا يمكن معرفتها بسهولة لكن يمكن بالفهم العميق للمعرفة اكتشاف بعض أسرارها الخفية فلسفياً.

[ 58 ]

## عظمة العقول التي تعرف فلسفة الخطأ

هنالك أشياء تظهر لحظياً في حياتنا وتستمر في الظهور حتى تصير جزءاً منها ولا نستطيع في حياتنا الانفكاك عنها مهما أوتينا من قوة وقدرة على ذلك، وتلك الأشياء الموجودة في حياتنا لها فلسفة بسيطة تجعلها مستوطنة في تلك الحياة وتلك الفلسفة مجهولة عند عامة الناس، إن سبب سيطرة تلك الأشياء على حياتنا هو ضعفنا اتجاهها، فضعفنا هو من يجعل تلك الأشياء ذات قوة قاهرة علينا ويجعلها هي التي ترسم صور أفعالنا دائماً من دون أن نعلم نحن بذلك ومن دون أن نعلم أن ضعفنا هو من يُغذيها ويزودها بالقوة باستمرار، إن تلك الأشياء في حقيقتها سوف تتغذى على كل ما فينا، فأعماقنا تغذي كل شيء حولنا هي تغذي حججنا فتحرفها غالباً وتغذي آلامنا فتعمقها وتغذي جدالاتنا فتؤكدها وتغذي حركتنا فتبعدها عن هدفها السامي الذي تتجه نحوه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما في أعماقنا يقطع الغذاء عن كل شيء أخر شاذ في محيطها أيضاً يقطع الغذاء عن الكراهية ويقطع الغذاء ويمنعه عن العداء والحسد واللجاج والاندفاع وعدم ضبط الغريزة، فالحكمة تكمن في ما نمنحه إلى أعماقنا وما نزودها به فكل ما نزودها به

يتغذى على شيء ما من محيطنا ويقطع الغذاء عن شيء فيه أيضاً.

الناس لا تعلم بهذه الحكمة الوجودية وتنشغل بحل المشكلة التي صنعتها مسبقاً، هي تحاول حلها دون جدوى لكنها بالنتيجة لا تُحل، هذه هي فلسفة مشاكلنا، إن جهلنا بتلك الفلسفة ينطوي في أعماقه على أمر آخر وهو جهلنا بروح الخطأ وأن تلك الفلسفة لا يمكن إدراكها لكل عقل لكن يمكن للعقل بعد معرفة ما يتغذى عليه من محيطه معرفة أين سيخطئ ومعرفة لماذا أخطأ ومعرفة كيف أخطأ لو وقع في الخطأ، إن العقول التي لها هذه الإحاطة بما تتغذى عليه أعماقنا وتتعاطاه لها دراية كاملة بفلسفة الخطأ شريطة أن تكون تلك الإحاطة دقيقة إلى أبعد الحدود، فمعرفة ما تتغذى عليه أعماقنا الوجودية ليس أمراً سهلاً كما يتصوره الناس بل إن معرفة العلاقة بين انطباعاتنا الوجودية وبين فلسفة الخطأ لا يتاح معرفته لكل أحد إذا لم نقل أن العقول التي لها تلك الإحاطة بفلسفة الخطأ نادرة الوجود في كل جيل بل هي نادرة على مدى سلسة طويلة من أجيال متعاقبة.

[ 59 ]

# السلوك الإلتهامي مصدرهُ ضعف التحرر

إن العقل البشري لن يتوقف عن الحركة أبداً في تحصيل كل شيء معرفي يحتاجهُ في لحظته هذه أو سيحتاجه في يوم ما ولو احتمالاً، والأمر لا يتوقف ضمن رغبة العقل البشري لامتلاك كل شيء معرفي وعلمي فهذا الأمر متحقق عند كل أحد يمتلك عقلاً تقريباً فعقله سيلتقط كل شيء بقوة كبيرة، سيلتقطه بلا أدنى تردد ثم تُجمع كل تلك الإلتقاطات لتصنع في النهاية فلسفة معينة تنعكس على السلوك. والسلوك بدوره سيكون سلوكاً تملكياً أيضاً، فالسلوك البشري ليس سلوكاً منفكاً عن العقل لا من حيث الرغبة للسيطرة ولا من حيث قوة الامتلاك، فكل سلوكياتنا إلتهامية للأشياء كما أن كل عقولنا التهامية للمعرفة كل ما في الأمر أننا لا نرى إلتهام عقولنا للمعرفة ولا نرى التهام سلوكنا للأشياء.

وهذا الأمر يستمر على طول خط حركة الإنسان الطويلة ولن يتوقف التهام الإنسان للأشياء التي حوله أبداً، فكل شيء يحصل عليه يسعى إلى أن يحصل على آخر وهكذا فلا ينفع معه كثرة الأشياء التي ينالها، وهذا السلوك يتوسع عنده بلا حد أو توقف ما لم يجد

العقل البشري حلاً فعلياً لكل هذا ومن ثم نقل الحل بعدها إلى السلوك كخطوة تتميمية.

والحل الأمثل للعقل البشري يتمثل في تعلمه مفهوماً تحررياً والتمسك به بقوة، فإن المفهوم التحرري سيكون هو نهاية المطاف للحركة الإلتهامية للعقل وهو نهاية السلوك الإلتهامي أيضاً، مع التفاتنا إلى أنَّ ذلك المفهوم التحرري لابد أن يكون مفهوماً كبيراً يملأ النفس والعقل وأنهُ بمجرد وجوده سيجعل كل هذا إلالتهام الكبير متوقفاً ومتعطلاً ولن يصل إلى نتيجة نهائية.

فالسلوك التحرري سلوك رفيع المستوى فيما لو سيطر ذلك المفهوم كلياً على باقي المفاهيم له والمضادة، إذ إن الالتهام المعرفي والسلوكي - كنزعة بشرية - ينشآن من فكرة خاصة وهي اعتقادنا بأن التحرر ضعف ونقص لا تطيقه نفوس الناس ولا علاج له في تصورهم إلا بما يضاده من مفاهيم وسلوك ومنها الإلتهام لكل شيء، هذا هو اعتقاد الناس الخاطئ والذي قادها في النهاية إلى تضعيف التحرر وتحقيره، رغم أنه قوة عظمى لا تضاهيها قوة على مستوى القدرة البشرية، إلا أن جهل الناس وعدم صبرهم وتأثرهم الشديد بالتحصيل الآني السريع قد حرمهم من هذه القوة والتي لا تُمنح إلا لعقول خاصة وفي أزمنة أخص.

[ 60 ]

# جوهر المعرفة

يتصور الناس أنهم قادرون على فهم أي شيء يريدونه باستعمال عقولهم وعلومهم التي نالوها واكتسبوها من أساتذة متخصصين أو كتب محددة فقط، وهذا التصور غير صحيح لأن جل ما تقدمه لنا تلك المعرفة وذلك الفهم هو تصورات أذهاننا أو تصورات أذهان غيرنا لنا من خلال تحصيلنا العلمي الذي نلناه، لكن ما يجهله الناس أن هناك ما يمدنا بجواهر المعرفة وهو غير عقولنا أو عقول غيرنا وإن كانت عقولنا أو عقول غيرنا يمكن أن تتوسط كطريق لإيصال تلك المعرفة لنا إلا أن تلك المعرفة مجهولة للناس عموماً، ويمكن أن أوضح هنا بعض من تلك المعرفة من خلال مراقبة الفهم الذي يحصل في عقولنا اتجاه أشياء كنا نعتقد أننا نفهمها لكننا نتفاجأ أن ذلك الفهم الذي كان عندنا قد تعمق أكثر بكيفية معينة للتعمق من خلال حالة تحفيزية فجائية غير محتسبة الوقوع أو حدثية ذات غاية ابتدائية ليست متفقة مع غايتها النهائية أو لفت نظر متعلق بأمور مهمة للإنسان كتعلقه بحياته أو صحته أو مصدر معيشته أو تسكينه من خوف أو إبعاد عن قلق أو دفع ضرر أو أي شيء له القدرة على الاستيلاء على الفكر، فإن تزامن مفهوم معين مع حادثة أو كيفية

مُحددة ضمن ظرف خاص يدفع بالعقل إلى الأمام ليقف عند حدود المعرفة المعمقة إلى درجة أن المعرفة المُتحصلة بهذه الكيفية التمازجية بين الأفكار وما يتناغم معها تُشعر الإنسان أنه قد لمس جوهر المعرفة في ذلك المفهوم بالذات، وهذا الأسلوب نادراً ما يُتبع باستدلال منطقي أو برهان عقلي، هو دائماً يسلك أسلوباً خاصاً به لإثبات صحته، ربما مَن يسير مِن الناس بهذه الكيفية ويلمسها عن قرب سيفهم حينها دليله الخاص به ويعرف برهانه الثابت له فلا يحتاج بعدها إلى خطوات إضافية لإثباته ولا يستنجد بفلسفة أخرى لدعم حقائقه الفلسفية.

هذا هو جوهر المعرفة الذي لا يمكن فهم أي معرفة إلا بمعرفته، والذي لا يمكن الإحاطة به إلا بعلمنا أن المعرفة في الوجود هي في روحها جوهر المعرفة، كل ما نحتاجه هو أن نجعل عقولنا تتكيف مع الوجود على طبيعتها بلا خوف أو تردد من خسارة الأشياء، فإن الخوف من الخسارة لن يقود بالنهاية إلا إلى ضياع ذلك الجوهر الرفيع الذي لا يُقدر بثمن.

[ 61 ]

# نظرة في فلسفة البحث العلمي التقليدي

نسمع ونرى كثيراً من الناس يقومون أثناء بحثهم العلمي بالاستناد على آراء علمية لم يُوجدوها بأيديهم ولم يدونوا أرقامها وجداولها وتبويباتها بأنفسهم بل اعتمدوا على البيانات والمعطيات التي أُستحصلت من مصادر المعرفة التي حصلوا عليها، وما دفعهم للأخذ بتلك المصادر هو الثقة الكبيرة التي أبدوها لها عقلاً ووجداناً فاستمدوا منها ذلك الكم المعلوماتي الذي يعتمدونه في بحوثهم العلمية واستدلالاتهم.

لكن ما يجهله الناس وما لا يعلمونه هو أن خطوة اعتماد البحث على المعلومات المُسلّم بها يمكن أن تخذلهم وتُدخلهم في مواقف علمية محرجة، والسبب أن تلك المعلومات مهما كانت دقيقة ومعتمدة يمكن أن تُدخلهم في اضطراب معرفي، فالمستعين بها لا يستطيع أن يُحيط بتلك الكمية المعلوماتية من جميع جهاتها، فلن يُحيط بها من جميع جهاتها إلا من اكتشف تلك المعرفة ومن استخرجها بنفسه وحقق فيها لأنه يتفوق على غيره بشعوره بها، وهذا لا يتقاطع مع ظهور الأخطاء المستقبلية فيها باكتشافات من يأتي بعده من العلماء، فإن الأخطاء المفترضة الاكتشاف مستقبلاً هي مجرد شيء تتميمي ولا تعني زيادة الإحاطة لأن تمام الإحاطة

منحصر بواضعها، والخطأ الذي يقع فيه الناس هو الاعتماد على تلك المعلومات واستخراجها ضمن عرضهم العلمي انطلاقاً من فلسفة المعرفة التراكمية، وهذا خطأ يتلبس رداء الصحة ليس من السهل اكتشافه في زماننا الذي سادت فيه تلك المعرفة وصارت هي الحاكمة على بحوثنا العلمية اليوم.

والصحيح هو أن استعمال أي معرفة لابد أن يكون متقناً بدرجة عالية، لذا فالأفضل وإن كان صعب جداً أن يحصل الانطلاق من البدايات الأولى في أي تحصيل معرفي حتى لو كان هنالك بحوثاً مُسطرة في ذلك الحقل العلمي فهي تستعمل للاستفادة والإلهام لكن لا يُعتمد على أي شيء فيها اعتماداً كلياً بحيث يكون معروضاً في البحوث العلمية كحجر أساس مطلق، وإذا اضطر الناس لاستعماله فلابد أن يتوقف الأمر ضمن حدود الاضطرار ولا يتعداه، أما البحث الفعلي الذي يحتاجه الإنسان فهو بحث معتمد على نتائج البحث الذاتي حتى وإن لم نصل إلى نتيجة حالية من ذلك البحث فالصبر أولى وانتظار الحقيقة ذات الحركة الرصينة وإن كانت بطيئة هي أرجح خياراً من التعجيل على الأساس المعتمد مطلقاً على نتائج الآخرين البحثية، فالمعرفة التراكمية كما أنها أنقذت أجيالاً من البشرية علمياً لكنها في نفس الوقت أضرتها، إذ إنها ساهمت في صناعة عقول متصخرة على معارف صار من الصعب في زماننا أن نفكر مجرد تفكير في نقاشها، وليس ذلك إلا بسبب ارتقاء الصورة الفكرية في البحث التقليدي إلى مستويات عالية من القبول العقلي بحيث لا تجد النفس البشرية صورة جديدة لهُ لانعدام الصور المضادة وإزالتها كلياً من الفكر بسبب فلسفتنا التقليدية للبحث العلمي.

[ 62 ]

# تنبيه للنفوس حين تُمارس أي تفكير علمي

تقع الناس أحياناً تحت تأثير أفكار محددة لمجرد أن تلك الأفكار قد ناغمت مكنوناتها النفسية الخفية، وبالتالي فإن وثوقها بتلك الأفكار يوقعها في مشاكل لا يُستهان بها، ومنها إنها ستبني جزءاً من قراراتها على أفكار اتفقت مع غرائزها غير المنضبطة واحتياجاتها غير السوية، ويفوتها الالتفات إلى أن ذلك سيجعلها تتحرك باتجاه تلك الغرائز بلا شعور منها حتى لو كان مصدر تلك الحركة أفكاراً قام عليها البرهان وثبتت صحتها بنوع معين من التجارب، لكن عيبها إنها صارت داعمة لمكنوناتنا النفسية الخفية فهنا وفي هذه النقطة بالذات لا ينفع البرهان ولا يجدي الاستدلال لأنه سيكون غير موثوق به بالمرة، فدخول الغريزة من جهة مصدر الفكرة والمُتلقي لها في آن واحد سيسبب إرباكاً في العملية العلمية برمتها وضبابية في الاستدلالية منها خاصة، لذا من الواجب على الناس ولكي تحافظ على الأجواء العلمية لعقولها يجب ألا تكتفي بالنظر إلى استدلالاتها العلمية فقط ولا تكتفي بالإنصات لتلك الاستدلالات أو قراءتها ولتنظر إلى غرائزها أثناء تعاطيها مع تلك الأفكار، فإذا

كانت قراءتنا مشدودة لها متأثرة بها فهنا يجب أن نقف وأن نتأنى لأن غرائزنا هي جرس الإنذار لنا ويجب ألا نتجاهل إنذارها، فإنذارها لنا حقيقة شديدة التأثير على وجوداتنا العقلية ويترتب على ذلك إعادة النظر والمراجعة لتلك الأفكار.

إن هذا الأسلوب من التعاطي مع الأفكار نافع لنا مستقبلاً فيما لو طبقناه بمراقبة شديدة لمشاعرنا لأنه سيحمينا، هو نافع لنا من خطورة خذلان تلك الأفكار إذ إنها حركت الغرائز فهي لابد أن تكون قد نشأت من غريزة متلبسة بلباس العقل وهي في حقيقتها ليست كذلك، وكذلك فإن هذا الأسلوب لو استعملناه في مطالعاتنا وقراءاتنا فإنهُ سيقدم لنا فوائد جمّة منها أنهُ سيحمينا من سيطرة غرائز غيرنا علينا بصورتها المتخفية بشكل تعقل واستدلال.

وما يجب على الناس أن تفعلهُ بعد هذا الفهم هو أن تتنبه إلى مشاعرها وتراقب تلك المراحل الإنعكاسية في النفس والتي تحتاج إلى خبرة وتدريب للإحاطة بها تمام الإحاطة، وليعلم الناس أن أكثر العروض العلمية خاضع إلى تلك الإنعكاسات إلا ما ندر لصعوبة السيطرة عليها أو التخلص منها، لكن ما يخفف الوطأة أن المتعلم يحمل غرائزاً كتلك التي يحملها المُعلّم، وإن الغرائز لابد أن تتناغم في الانعكاس إن صح التعبير إذ إن عالم الوجود النفسي يمتاز بدقته في عكس تلك الصور بأمانة تامة ولا يمكن أبداً إخفاؤها مهما أوتي فاعلها ومصدرها المولد لها من قوة في طمرها وسترها فلا ينفع معها إلا وجودها الحقيقي، فإذا وجدت فعندها سنعلم صورة العقل المرسوم من قبلها وسنكتشف من خلال تلك الصورة النفسية المنعكسة حقيقة تلك العقول.

لكن مشكلة الناس أنها تتأثر بالاستدلال أكثر من تأثرها بتلك الصور الإنعكاسية، فقد ضعفت عندها قوة الشعور الداخلي، ضعفت إلى درجة أنها صارت موضعاً سهلاً للاختراق بتلك العقول وانطلت عليها أمور كثيرة وهي لا تعلم.



[ 63 ]

# فلسفة فقدان السيطرة على العقل

ليس كل ما يريدهُ الإنسان بعقله يستطيع أن ينجزه أو يقوم به أو يتعامل معه كيفما يريد، فكثير من الناس لا تعلم أنها لا تستطيع أن تتحكم بعقولها ولا تستطيع السيطرة على غاياتها الفكرية، إن الفكر البشري دائماً ما يضع هدفاً أمامه قبل أن يتحرك بقصد وعقل سليم وتتعمق تلك الغاية كلما كان الهدف قوياً ومؤكداً وذا تأثير على حياة ومصلحة ذلك العقل أو صاحبه، وأحياناً يكون الهدف متسامياً في القيم والمبادئ والخصال والفضائل فيكون الإنسان قاصداً لذلك الهدف السامي الذي ينشده، لكن كثيراً ما يفوت الناس فقدانهم السيطرة على عقولهم وهم يلتفتون أحياناً إلى ذلك وأحياناً لا يلتفتون وأحياناً حين يلتفتون لا يلتفتون بتعمق حتى يصير عدم التحكم بالعقل هو تحكماً بعدم التحكم بالعقل، أي أن عدم التحكم يستقوي ويستفحل حتى يصير العقل متحكماً بعدم التحكم وعندها تقاد الفوضى بنظام ويتحرك الخطأ بصواب.

إن خطأ الناس أنها لا تعرف النقطة التي تفقد فيها السيطرة على عقولها وتواجه صعوبة في تحديد تلك النقطة لو أرادت ذلك حقاً، وما يمكن أن نؤسسه هنا أن أُولى خطوات فقدان التحكم بالعقل

هو تبدل الاهتمام، فالناس لا تلاحظ أن تبدل اهتماماتها هو أُولى إشارات فقدانها التحكم بعقولها، وتبدل الاهتمام له أسباب بعضها معروف وبعضها غير معروف، لكن بالنتيجة إن أي تبدل يقع في العقل البشري فهو بداية لعدم التحكم.

ويمكن من هذا أن نؤسس إلى شيء آخر قد يُترك للتفكير التأملي وهو أنه على هذا الاساس هل فعلاً يوجد تحكم بالعقل وعدم التحكم به، أم إن كل شيء هو تحكم بما في ذلك هو عدم التحكم نفسه ؟

وهذا السؤال وإن كان لابد لهُ من أجوبة مختلفة بحسب تفاوت الطبيعة الثقافية للإنسان، إلا أن كل تلك الأجوبة لابد أن تنتهي إلى نقطة واحدة وهي فهم العقل والإحاطة به من جميع جهاته وحيثياته، إذ إن فهم التحكم هو مجرد نتيجة فرعية لفهم العقل نفسهُ، لكن على أية حال فإن ما يُعجز العقل أحياناً لا يُعجز المشاعر الداخلية لنفوسنا، فإن تلك الأدوات (أي المشاعر) هي أداة فعالة في عكس صورة انفعالات التحكم العقلي إذ إنه بمجرد حدوثه سيظهر على تلك المشاعر بلا تخطيط أو علم مسبق سيظهر التحكم العقلي عليها شئنا أم أبينا.

## [ 64 ]

# الوجه الفلسفي لخطاب التحكم الفكري

الناس عموماً تخاطب بعضها بعضاً بخطابات متنوعة، فتقدم لبعضها البعض النصائح والتوجيهات والأوامر والنواهي وغيرها مما يتعلق بتفاصيل الحياة المختلفة، وكثيراً ما يتفاوت الناس في تجاوبهم مع خطابات غيرهم لهم فهم يتقبلون الخطاب تارة ويرفضونه أخرى ويحبونه أحياناً وينزعجون منه أحياناً أخرى، والسر وراء ذلك هو جهلهم بالمفاتيح الحقيقية لصناعة خطاب ذي تأثير عقلي خاص له قدرة على التحكم بالأفكار وإعادة صياغتها من جديد، ذلك التحكم الذي يجب أن يكون تحكماً فعلياً مدروساً بدقة وتلك الدقة إنما تصنعها المعرفة بأسرار تلك الخطابات الخاصة.

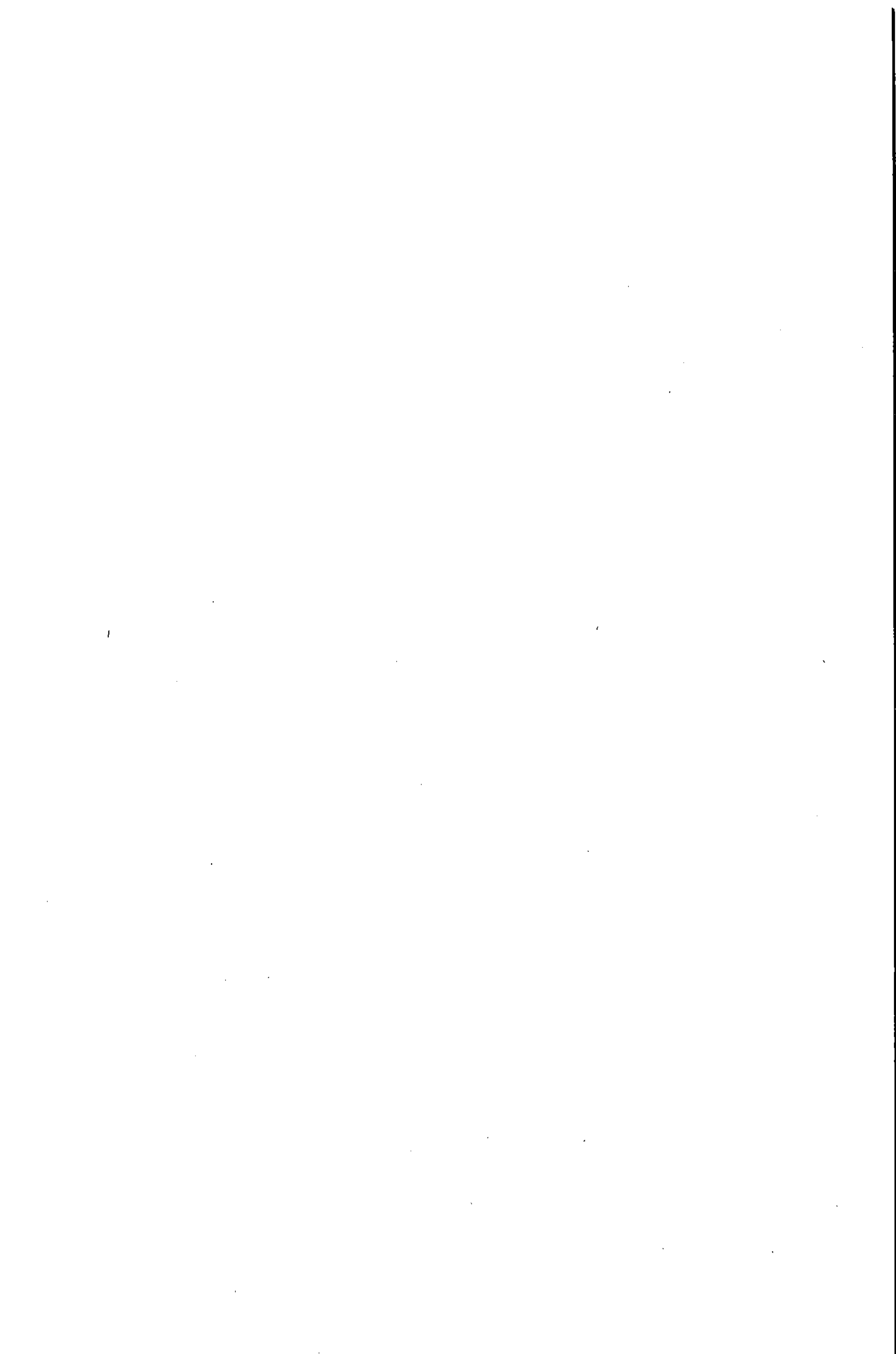
ربما ما يحصل غالباً هو عدم النظر لأهم سر في صناعة هذا الخطاب وهو أن الخطابات المعروضة تخاطب العقول لا الصفات أو النظر إليها نظرة سطحية لا تخلو من النقص المعرفي غالباً، وبذلك سيكون الخطاب الذي يوجهه الناس بعضهم لبعض خطاباً عقيماً معاقاً فهو خطاب للعقول والمشاعر لا خطاب للصفات، ولتجاوز هذه العقبة في الخطابات لابد أن يكون خطاب الناس بعضهم لبعض ناظراً إلى الصفات الحقيقية لا غاض النظر عنها أو

مهملاً لها أو مخترعاً لصفة غير حقيقية في الخطاب أو موسعاً للصفة الحقيقية، فإن كل هذه الأشياء لن تنجح في إيجاد خطاب متكامل من ناحية العرض الفكري وتلمس الحقائق النفسية، إذ إن معرفة الصفة الحقيقية معرفة تامة سيقود في النهاية إلى التحكم الفكري، فالأفكار رغم تعدد مصادرها وتنوعها إلا أنها لا ترقى إلى مستوى صناعة الأفكار عن طريق الصفات الحقيقية، فالصفة الحقيقية هي من ترسم الطبيعة التركيبية للعقل فالعقل لا يتأثر إلا بالحقيقة وحدها، وبالتالي فإن الأفكار ستكون مصنوعة بتلك الصفة دون غيرها فيولد في هذه السحابة العقلية خطاباً متحركاً بحركة تلك الصفة ومُوجّهاً مِن قبلها، وبالتالي ستنتفي الزوائد الكلامية وستتقوض الأفكار الخالية من المعنى وستندثر المقاصد السيئة للنفوس، فإذا صار الأمر كذلك صار المقصود الأولي بالخطاب سامعاً لخطاب خاص به لا يتجاوز إلى غيره فيصنع في داخله حركة من نوع خاص ذات نتائج غاية في الدقة والأمانة.

إن التحكم الفكري يقع باستمرار في الخطاب البشري وما يجب أن يعرفه الناس أن الخطاب لابد أن يكون منظوراً له من جهتين، الأولى: جهة صفاتنا الحقيقية كبشر والتي نحملها فيجب أن ينتبه الناس إلى أن تلك الصفة الحقيقية قد تكون حائلاً دون الاستفادة من الخطاب ومانعاً دون الإحاطة بتفصيلاته والثانية: إن الصفة الحقيقية يجب أن يكون منظوراً لها في لحظات صناعة الخطاب وصياغة أفكاره.

وبقي أن نعلم أن إدراك مؤثرية الصفة الحقيقية هو من أهم الأمور

التي أدت إلى التحكم كثيراً بالأفكار البشرية ليس عن طريق قوتها أو متانتها بل من خلال صناعة الخطاب بطريقة لا يكون للأفكار أهمية كبيرة بقدر ما يكون للصفات الحقيقية الحصة الأعظم لصناعة الخطاب، فيظهر فيه من الأفكار ما تذهل العقول وتشل حركة الذهن المنطقية، إذ إن الذهن سيقف عاجزاً أمام الخطاب المصاغ بالحقيقة.



[ 65 ]

# لغز السلوك البشري
# وإعادة صياغة جهلنا بالمعرفة

لازال فهم السلوك البشري لغزاً يحير العقول لا يمكن ضبط أسراره بدقة، وكذلك لا يمكن أن نخضعه لقانون محدد ومنطق خاص يمكننا بعد إتقان مقدماته اتقان نتائجه، لازال سؤال التغير الفكري الفجائي والاضطراب السلوكي غير المسبوق بإنذار يؤرق الفكر البشري ويُتعب المتخصصين باستمرار، لكن يمكن أن نتعامل مع ذلك الغموض تعاملاً مختلفاً بعيداً عن نيل النتائج المنشودة.

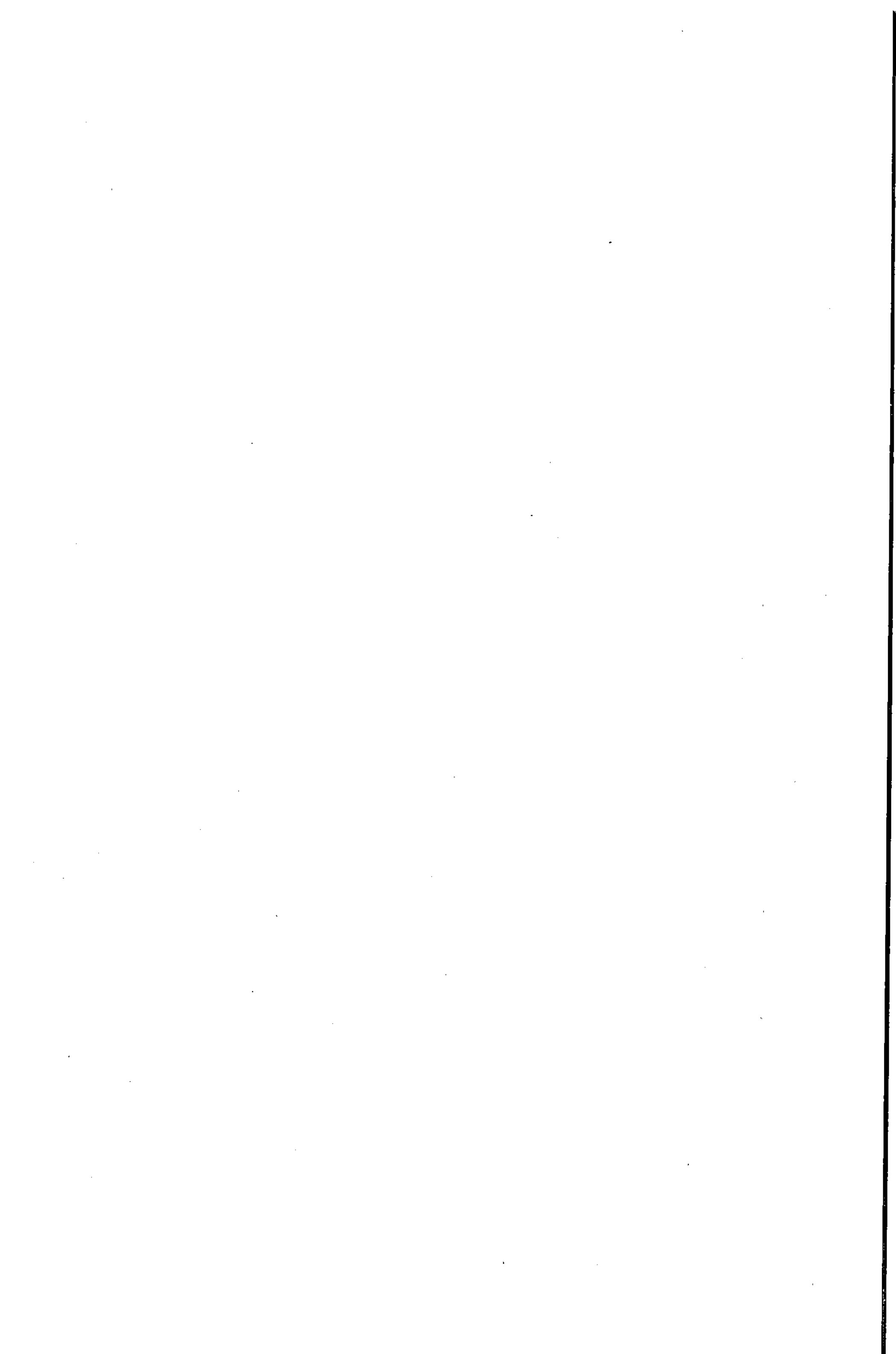
فمن الأمور التي يجب أن نعلمها أن هنالك جمال في ذلك الغموض والإبهام وجماله يكمن في اكتشاف قوة الإنسان العظمى من خلال ذلك الغموض، فتلك القوى لا يمكن ظهورها إلا بعد هذا الإبهام والتكتم المطبق الذي يسيطر على أسئلتنا الكبرى اتجاه نفوسنا قبل أن نوجه تلك الأسئلة اتجاه كوننا الذي نحيا به ونتعامل معه، إن ذلك الغموض سيصنع عند الإنسان طريقاً معبداً نحو الاكتشافات العظمى، وأعظم تلك الاكتشافات هي إدراك حقيقة الضعف المكنون في أعماقنا وإدراك أننا لا نملك أي قوى حقيقية، نحن لا ندرك ذلك أبداً.

إن فوائد لغز السلوك البشري تكمن في حالة العودة إلى نقطة البداية في النفس البشرية بشكل جديد مختلف، نفسٌ بشريةٌ لها قدرة على التكيف مع التغيرات التي طرأت عليها، وأعظم تلك الإنطلاقات والتي لا يعلمها الناس هي الإنطلاقة الحاصلة من النقطة الدنيا الحاصلة بدورها بعد ارتفاع كبير سابق لها.

إن ما لا يعلمه الناس أن تلك الإنطلاقة ما كان لها أن تحصل لو انكشف لنا كل سلوكنا، إذ إن الهبوط المفترض حصولهُ سوف لن يقع لو انكشف لنا ذلك السلوك كشفاً تاماً، فبقاء سلوكنا غامضاً عنّا لهو سبب مهم في حركتنا بالاتجاه الصحيح ثم هو نفسهُ صار سبباً في نزولنا إلى أدنى نقطة، ثم إن نفس ذلك اللغز صار سبباً في انطلاقتنا العظمى وهكذا.

إن جهل الناس جعلها لا تعلم القوة الكامنة في غموضها وسلوكها فصار تواجدها في تلك النقاط الهابطة أمراً قد اعتادت عليه كثيراً وهي لا تعلم أنها مهيئة لانطلاقة كبرى من تلك النقاط الهابطة بالذات، وكذلك لا تعلم أنها بارتفاعها الكبير هي مهيئة لارتفاع أكبر لكنه مشروط بهبوطها أيضاً، الناس لا تعلم بذلك وهي لا تعلم أنها لا تستطيع رفع عدم علمها من خلال عدم علمها بسلوكها فهو بداية كل شيء جميل، كل ما علينا فعله هو أن نحسّن من أداء معرفتنا اتجاه عوالمنا الداخلية عموماً واتجاه المتعلق منها بإنسانيتنا خصوصاً وأن نُعيد قراءة الألغاز وبالأخص العلمية منها قراءة معرفية لا قراءة حلول ونتائج، فإن إعادة قراءتها بهذه الكيفية هو البداية العظمى التي يجهل الناس أهميتها، وهذه البداية هي بداية لا يتصورها الناس أنها مجرد

بداية، فهي تتضمن في أعماقها كل نهاية، لكن تلك النهاية لا نفهمها أبداً ما دام لغز السلوك البشري لا يُنظر له أنه بأحجيته وغموضه يتكلم لنا دائماً بكل الحلول، لكننا لا نسمع.



[ 66 ]

# مكافئة الزمن الكبرى

إن اختفاء صورة في العقل البشري لن يحصل إلا بحلول صورة جديدة بديلة عنه، وغرائز الناس كلها صور في عقولها قوية الانطباع صعبة الإزالة وهي تحل محل أي صورة تقريباً بعد طردها لتلك الصور بقوة وعدم السماح لها بأخذ مكانها مطلقاً، وما يجهله الناس أن تلك الصور لا تنحصر فقط في أذهانهم بل تتعداها إلى الناس بكل أشكالها وصورها، والإنسان البعيد عن الغرائز لن ينج من تأثير احتفاظ الناس بصور غرائزهم في أذهانهم، فهي ستضرهُ وتحطم صورتهُ وهي فوق ذلك سوف تحجم تأثيره في الحياة، والسبب يكمن في أن الناس حين تحتفظ بصور غرائزها ستدفع مُضحية لأجل الاحتفاظ بصورها الثمينة في أذهانها أي صورة ليست سيئة ومن تلك الصور غير السيئة صور شديدة التأثير في حياتها لكنها جاهلة بأهميتها من حيث الإيجاد والاستمرار والتجديد فإذا فقدتها فقد فقدت ما تقود له تلك الصور في النتيجة، وأهم ما تقود إليه معرفة العلاقة بين تدرجات الأشياء، وهذه بدورها ستؤدي إلى عدم معرفة قيمة الأشياء الحاملة للعلم وأهمها العالِم وسينتشر كل هذا بسرعة عالية بين عقول البشر، سينتشر أسرع مما نتصور.

يجب على الناس أن تعلم أن استجابتها لغرائزها لن يذلها هي وحدها فحسب، بل سيهين أهل العلم أيضاً إذا لم نقل أنه سيهين العقل البشري برمته، فالعقل البشري ليس موجوداً مفكراً ومدركاً ومستوعباً للأشياء على كثرتها فحسب، إنما هو موجود متأثر بل شديد التأثر بغيره من العقول لكنه لا يعمل إلا بالنتاج الأول للحس الذي هو قوة لا يُستهان بها في رسم خارطة العقل، لكن تلك القوة رغم مدياتها الواسعة في التحكم إلا أنها تبقى قوة لا تقارن بشيء نسبة إلى قوى التأسيس البشرية الهائلة التأثير، كل ما في الأمر أن العقل البشري سيواجه صعوبة التمييز والفصل بين الحكمة ومؤسِسات النفس ومولداتها، فإن إدراكهما والقبض عليهما ليس بالأمر الهين ولا يدعي ذلك أي أحد، فإن من استطاع القبض عليهما فقد مسك بأسباب كل شيء تقريباً لكن أنى نحصل على هكذا عقل، فالحصول عليه هو مكافأة الزمن الكبرى.

[ 67 ]

# أوديسة الوجود
# وصناعة جزء من المعيار المنطقي

لكل فكرة علمية كانت أو فلسفية أو اجتماعية أو طبيعية وغيرها غاية واحدة تبحث عنها دائماً، وهي إثبات صدق تلك القضية وتجنبها لاحتمال التكذيب قدر الإمكان، ولأن الصدق والكذب من المفاهيم التي وقع فيها جدل كبير بين الناس عموماً والمحققين والفلاسفة والمناطقة خصوصاً صار مسك معيار محدد واضح لصدق الأفكار والقضايا العلمية أمراً شائكاً كون العقول متفاوتة في فهمها ومعيارها للصدق والكذب، إضافة إلى أن إيجاد أي معيار لذلك يحتاج إلى إثبات صدقه أو كذبه فصار نفس المعيار موضعاً للترديد والتشكيك وهكذا، فإن العلوم بتنوعها بين الناس اتخذت لنفسها طريقاً خاصاً بها كل بحسبه في إثبات صدق أفكارها وقضاياها، فبعضها اختار قضايا العقل الأولية والآخر أختار الاستدلال الرياضي وآخر أختار التجربة التي صارت عندهم خير برهان والبعض اختار كل هذا أو بعضه، والجدل في ذلك مستمر إلى يومنا هذا حسب تتبعي ولا اعتقد أنه سينتهي قريباً.

وما أراه أنه يمكن أن نضع معياراً جيداً وإن لم يكن مثالياً أو خالياً

من العيوب يثبت لنا صدق الأفكار وصحتها، وذلك المعيار ناتج من ملاحظة العلاقة بين الزمن ( بمفهومه الحقيقي أو الاعتباري عند المتخصصين) وبين الفكرة، فالفكرة كلما كانت ذات بقاء زماني ممتد من الماضي إلى الحاضر فهي صادقة خلال تلك الفترة وليست مؤكدة الصدق فيما بعدها وهكذا، فالفكرة تأخذ صدقها مادامت لم تُنقض منذ ولادتها إلى زمان معين في عقول مجموعة من البشر فهي صادقة خلال تلك الفترة الزمنية في ظرف هيمنتها وسطوتها، إذ إن الصدق في لغة العقل ليس إلا فكرة تؤكد فكرة أخرى فما دام التأكيد موجوداً فالصدق موجود، لأنه كما قلنا أنه مجرد فكرة مؤكدة لفكرة فإذا زالت الفكرة في زمان ما زال ذلك التأكيد وزال الصدق تبعاً لزوالها لا أكثر ولا أقل، إضافة إلى أن هذا المعيار يسهل على العلم الحركة الابتدائية والانطلاق النسبي إن صح التعبير إضافة إلى مدخلية أبعاد أخرى تناغم هذا المعيار كفلسفة الوجود، وجودنا لفترة محددة في هذه الحياة وأننا سنغادرها بأي لحظة هو اعتبار مهم وفلسفة لابدية أن يكون للإنسان قدرة على مواكبة حياته وعدم انهزامه أمام خياله المسيطر عليه الوهم، ولابدية أن يحفظ الإنسان نفسه من المخاطر التي تحتاج أحياناً إلى تدخل سريع وطارئ، كل هذه الأشياء وغيرها مما يتعلق بفلسفة الوجود تجعلنا أمام فرصة لصناعة جزء من معيار المنطق العقلي على أساس نظرة عامة للوجود تنفع في إعادة كتابة الأوديسة من جديد.

[ 68 ]

## صدمة المعرفة

يتعلم الإنسان النطق في بدايات حياته بحسب الحالة الطبيعية للبشر، ويتدرج في ذلك التعلم حتى يستطيع في النهاية أن يؤلف من خلال كلماته جُملاً تعكس أفكاره التي يحملها بغض النظر عن درجة تلك الأفكار من حيث السعة والضيق والتعقيد أو التركيب والبساطة، واعتبر الفلاسفة أن سبب تميز الإنسان بالنطق أي إخراج الكلمات المفهومة بحسب اللغة المتبناة يعود إلى قوة يزود بها ابتداءً أسموها قوة النطق تمكنه من فتح أبواب المعرفة من خلال تجريد الأشياء التي حوله للوصول إلى جوهرها الحقيقي، وهو بسبب تلك القوة صار إنساناً وصار متكلماً، وبعضهم أطلق على تلك القوة الناطقة اسم القوة العقلية، فهو بسبب تلك القوة العقلية يستطيع أن يفكر وأن يتحدث ويتواصل بألفاظه مع العالم الخارجي المحسوس.

لكن لو دققنا النظر جيداً فإننا بالحقيقة نستبعد أن تلك القوة المزعومة ما كان لنا أن نفترض وجودها لولا مزيج الأفكار الذي وصلنا ويصلنا باستمرار من خلال الألفاظ المنطوقة وغيرها من القنوات وإن كان النطق أهمها والذي أدى بالنتيجة إلى انبثاق تلك الفكرة الفلسفية التي أسميناها القوة الناطقة، وهذا يعني أن تلك القوة تستطيع أن تتجاوز حدود مساحة النطق لتؤدي مهامه الكبيرة

لكن الأمر في حقيقته ليس كذلك فتلك القوة عاجزة بذاتها عن صناعة صدمة المعرفة، إذ إن الفكر إنما وجد من خلال النطق ابتداءً وبالتالي هو عاجز عن تلك الصدمة، وإن تلك الصدمة ما كان لها أن تولد لولا قوة النطق التي يفترض أن تكون قوة عاكسة لمعناها ولا داعي لتوسيعها لتكون فكراً، فقوة النطق هي مجرد قوة نطق لها قدرة على إحداث تلك الصدمة التي يعجز الفكر عن إحداثها بذاته، فقوة النطق تتصف بقوة اللغة وقوة الألفاظ وقوة صناعة الجملة وقوة تسخير المعرفة بشكل قالب يتلاءم معها نسبياً، كل هذه هي مهام النطق والتي يعجز الفكر عن أدائها الذي كما ذكرنا هو ليس سوى وليد الأشياء المنطوقة من خارج الفكر نفسه، أما الحواس الأخرى فهي وإن ساعدت في صناعة الفكر، لكنها ليست كالنطق الذي هو الأقوى في صناعته والأقوى في التعبير عنه في النهاية.

فما يجب على الناس معرفتهُ هو أن الألفاظ وإن كانت لا تمتلك قوة الرغبات وقدرة الإرادة وهي لا ترقى إلى مستوى التحكم الفكري كما هي قدرة العقل المدعوم بالإرادة والمسندة بطاقة البشر الغريزية، إلا أن لها مهمة عظيمة لا يمكن أداؤها إلا بها ولا يمكن استكمال خطواتها إلا بأدائها وهي جودتها أي الألفاظ في صناعة صدمة المعرفة، تلك الصدمة التي يجهل الناس أهميتها الكبرى، فهي موجود عقلي شديد التأثير، شديد التأثر لا يخيب في تحقيق غايته والوصول إلى قراره وهو لا يحتاج في سبيل ذلك سوى إلى قوة اللفظ بما هو لفظ وعندها ستولد تلك الصدمة بهدوء وتُترك هكذا تسير عبر الزمن حتى يتفاجأ الناس بأنها قد احتلت كل حياتهم وصار صوتها مسموعاً وهم لما يشعرون حتى بوجودها فضلاً عن ولادتها.

[ 69 ]

# خدعة استرجاع قيمة المعرفة

من الأمور التي يتصور الناس أن حصولهم عليها هو سيكون نافعاً في الحياة هي استجابتهم إلى رغباتهم النفسية المُستعجلة والمؤقتة في آن واحد، فإن وجود هذه الرغبات يُولد في داخلنا مُتعة ولذة ولأنها تُولد المُتعة ولأنها لا تحتاج إلى مجهود عقلي كبير أو مبادئ عالية صعبة على النفس فإن الناس تتهافت عليها لما فيها من استمتاع وتخلص من ألم مُعين شخصي أو جسدي.

وما لا يعرفه الناس أن كل رغبة نفسية غير مدروسة يطلبونها وينالونها فإنها تُضيع عليهم فرصة الحصول على معرفة وعلم دفين فيما لو استغرق الناس فيها أشد الاستغراق، والأمر لا يتوقف أحياناً على ذلك الاستغراق بل يتعداه إلى حب تلك المُتعة واللذة، فلو حصل هذا الأمر عندها سيقع الناس في مُشكلتين مُتتابعتين، الأولى: رخص قيمة المعرفة والعلم في فكرهم، والثانية: أن يفقدوا المنفعة التي كان يُفترض وجودها في حال أنهم تحملوا قليلاً ألم الجسد والنفس وتحملوا طلب الاستمتاع قليلاً وهذه الأمور قد تكون صعبة النتائج، إلا أن المشكلة الأكبر من هذا تكمن أن فقدان المنفعة الذي يلازم رخص قيمة المعرفة والعلم في العقول ليس

سهلاً استرجاعه خاصة أن الناس حين تمر بصدمة الخسارة المعرفية الفجائية من دون سابق إنذار يضطرب عندها كل شيء معرفي تقريباً ويبدأ التخبط السلوكي ويكون هو المُسيطر على حياتها بعد تلك الصدمة فتضيع فرصة أخرى جديدة وهكذا يستمر الأمر بتضييع فرص الانتفاع من حياتهم وبصورة مُتسارعة، وكان الأجدر بالناس في مثل هذا الموقف هو حل المشكلة منذ البداية أي منذ اللحظة الأولى التي رخص فيها فكرهم قيمة المفاهيم العالية وأعتبرها أموراً يمكن استرجاعها ونيلها بأي وقت، وهذا التفكير الخاطئ هو أحد أهم أسباب ترخيص المفاهيم العالية وبالتالي هو أحد أهم أسباب ضياع الخير بالكامل من حياتنا، فليعلم الناس أنها كلما أخفقت في التعامل مع اسرار حركة المفاهيم العالية في أفكارها اختفى كل شيء جيد من حياتها تقريباً، يختفي ذلك الشيء بشكل مطرد.

إن قيمة المعرفة ليست سوى تلك الأشياء التي نحصل عليها من مصادرها المُتنوعة المُختلفة، لذلك فإن صورتها بعد أخطاء الناس ليست سوى هدم لجميع نقاط التقاء تلك المصادر المُتنوعة، وبالتالي فإن عملية استرجاعها عملية صعبة المنال وليست سهلة كما يتصورها الناس، إذ إنها تتطلب اجتماع كل شيء سابق حتى نحصل على جزء من تلك القيمة المعرفية وهذا أمر ليس بالهين تطبيقه كما يتصور الناس، لذا لا يوجد طريق للحفاظ على قيمة المعرفة كطريق عدم الدخول في خدعة استرجاعها أولاً، ومن خلال المحافظة على قيمة تلك المعرفة بالحذر من خدعة أكبر وهي خدعة لا يعرفها إلا من اضاع حقيقة المعرفة ثانياً.

[ 70 ]

# فائدة صناعة الخطأ بين العقل والوجود

إن الفشل في حياتنا هو جزء مفروض الوقوع علينا لا يمكن أن نتخلص منه أو نفلت من قبضته الفجائية في أي لحظة من لحظات الحياة، لأن الفشل غالباً يأتي من دون إنذار مسبق أو تخطيط يمارسه الشخص للوصول إليه، هو يقع بعد خلل صغير في حياتنا يتطور من دون أن نعلم بتطوره وحركته التصاعدية، وحتى لو التفتنا فإننا نتصور أن المشكلة صغيرة ويمكن السيطرة عليها في أي وقت نريد، وإضافة لما ذكرناه من عدم معرفتنا بالخطأ الصغير غير الملتفت إليه فإنه سيؤكد اختفاء مشاكل كبيرة خلف تلك المشكلة الصغيرة، وبالتالي يزداد الأمر تعقيداً في صرف النظر نحو الاكتفاء بتلك المشكلة الصغيرة وعدم الذهاب بعيداً لعلاج المشاكل الأكبر، فخطورة الفشل لا تكمن في وقوعه بقدر ما تتركز في عدم التفاتنا لتطور ذلك الفشل خلال فترة زمنية طويلة وكذلك في إخفاء الفشل الصغير لمشاكل كبيرة لا نراها.

لذا فإن المتعارف عند الناس أن الفشل ليس مرعباً أو مخوفاً أو بداية النهاية بل على العكس فإن الفشل بداية العلاج وبداية التخلص من كل شيء خاطئ متعلق به، لكن مشكلة الناس أنها لا تفهم أن

الفشل الحقيقي يتمركز في أنهُ يكشف أن نفوسنا مهيئة لإهمال الأخطاء الصغيرة ومهيئة لعدم الالتفات لها، هذه هي المشكلة المهمة التي يجب أن يعلمها الناس ويحذروا منها.

فإذا عرفنا هذا صار واضحاً جواب كيف نعالج الفشل المتكرر في حياتنا فإن الفشل المتكرر هو عبارة عن فكر لا يعرف هيئة الخطأ الصغير ولا يعرف أهمية الخطأ الصغير بل لا يلتفت إلى الخطأ الصغير أصلاً في حياته أو أنه لا يُعيره أي أهمية إذا ما التفت إليه، فإذا حصل هذا حصل تبعاً له وبشكل ملازم جداً الفشل المتكرر في حياتنا لأن الفشل المتكرر ليس سوى أخطاء صغيرة تولد باستمرار وتكبر فتسبب الفشل وهكذا، أما الأخطاء الصغيرة فلكي نلتفت إليها يجب على الناس أن تعرف أمراً مهماً بهذا الشأن وهو أن تعتبر أن المشكلة الصغيرة هي مشكلة عظيمة وكبيرة ولكي نعتبرها كذلك يجب ألا نهمل أمرين، الأول: التفكير العميق المستمر بعقولنا بلا انقطاع وبلا كلل أو ملل لأن تفكيرنا المتكرر بعقولنا وأفعالها وقراراتها سيجعلنا أكثر دقة في معرفة المشاكل الصغيرة، والثاني: إن هنالك فلسفة لأي خطأ مهما كان ذلك الخطأ صغيراً، فإذا سرنا بهاتين الخطوتين فعندها يبدأ الفشل بالانحسار تدريجياً.

لكن يبقى أن نفهم أن فكرة المشكلة الصغيرة تعود إلى أمر أكبر لابد من أخذه بنظر الاعتبار، وهو أن عقول البشر يجب أن تعتاد المشاكل الصغيرة اعتياداً طبيعياً ويتم ذلك من خلال ارتكابها ولو بنسبة بسيطة مع مراقبة العقل للوجود حين فعلها ومراقبة العقل لذاته أثناء ذلك أيضاً، فهذه الأخطاء الصغيرة المرتكبة عمداً هي من أقوى

علاجات الأخطاء الصغيرة شريطة أن تكون بين العقل والوجود حصراً وأن تكون محفوفة بدرجة عالية من الملاحظة وإن كان فعلها بحاجة إلى عقل مميز ولا يجرؤ على فعلها أي أحد، ولو علموا أن فائدتها اعدام تلك الأخطاء لفعلوها بلا تردد لكن ليحذروا أن فعلها من دون ذلك العقل هو مجازفة كبرى.

[ 71 ]

# حين نفقد الخيار نعلم حينئذ أنها فلسفة عليا

الناس تريد كل شيء في حياتها يجري وفقاً للأسلوب الذي تختاره هي ووفقاً للمقدمات التي تضعها هي، وهي تترقب النتائج التي هيّأت بنفسها مقدماتها سلفاً، وهذا الأمر وإن كان مشروعاً ومباحاً فعله للناس لأنه من الطبيعي أن تُوفر المقدمات لأجل النتائج إلا أنه خطأ فادح وجريمة حقيقية بحق أنفسهم يرتكبونها بلا دراية أو معرفة مسبقة، فالناس حين تترقب النتائج في حياتها للأفعال التي تؤديها وتنتظرها فإنها تحطم تفكيرها وتسبب في تعطيله وشل حركته، إذ إن الفكر يبقى تحت سيطرة النتائج وتحت وطأة انتظارها بالطريقة المرسومة مسبقاً من قبله والمعدة سلفاً لأجل حصولها وجعلها في قبضة اليد، فإذا تحققت تلك النتائج زادت قناعاته وترسخت أفكاره.

إن انتظار النتائج هو أسلوب مهم في تحقيقها وتحصيلها وإذا لم تتحقق تلك النتائج المرجوة صار الأمر صعباً عليه ثقلهُ مراً تجرعه، إن الكون وبما يحويه من متغيرات هائلة لا يمكن لعقولنا حصرها فإنها تقود في النهاية إلى عدم حتمية الخيار وعدم قطعية النتائج المرجوة، وهذا الأمر مع حصوله وتحققه فأنه يؤدي إلى فتح عين

العقل ويزيل اللثام عن قوانين الوجود الخفية ويعود الفضل في ذلك الاكتشاف إلى فقداننا لحتمية الخيار وعدم حصول النتائج المخطط لها مسبقاً في تفكيرنا، الناس لا تريد عدم تحقيق النتائج وهذا خطأ، فالنتائج مطلوبة ابتداءً لكنها ليست كذلك ختاماً ونهايةً، فإن تركها في النهاية مع عدم تحققها هو طريق مثالي لكشف تلك القوانين المختفية في هذا الكون الفسيح، إذ إن تلك القوانين لا تريد فكراً ضيقاً مستقلاً بل هي تكشف نفسها أمام الفكر المتحرر من قوة وسطوة النتائج ومتحرر من غرور الاختيار الذي نتوهم أننا نمتلكه.

ولا ننسى أن فقداننا الخيار هو خيار وإن توهمنا أن ذلك الفقدان عاجز عن قبض نتائج أفكارنا القريبة، إلا أنه في حقيقته يمتلك خياراً له سيطرة على الظرف فيحقق نتائجاً لم يستطع العقل إدراكها مسبقاً فضلاً عن رسم معالمها، فيتفاجأ الإنسان أن الفلسفة العليا لعقلِهِ كانت تتحرك باتجاه تطلب منها أن يكون فقدان الخيار خطوة ضرورية للسير فيه إلى النهاية، كل ما في الأمر أنه لم يكن يعلم أن عقله كان منفصلاً عنه على طول الطريق وهو لا يعلم.

[ 72 ]

# كيف تقترب عقولنا من المثالية ؟

الوجود هو كل شيء حولنا شعرنا به أم لم نشعر لمسناه أم لم نلمسه، فهو قوانين الطبيعة التي اكتشفتها وتكتشفها العلوم القديمة والحديثة، وهو الإنسان بكل عوالمه وأبعاده المحسوسة وغير المحسوسة، وتفكيرنا يمثل جزءاً مهماً من ذلك الوجود ومشاعرنا كذلك وتنفسنا شهيقاً وزفيراً هو كله وجود ويقظتنا ومنامنا هما وجود، وأخطاء الناس وصوابهم وحسناتهم ومساوئهم وكذبهم وصدقهم ولهوهم وجديتهم كل هذا وجود متحقق ثبوته في حياتنا برمتها التي بدورها وجود أيضاً.

لكن من بين كل تلك الأشياء التي تمثل جزءاً من الوجود يبقى للعقل جزءاً مميزاً ولأفكارنا وجوداً مؤثراً، والعقل هو كل ما نحمله في أعماقنا عن أنفسنا وعن الموجودات الأخرى أو بعبارة أكثر دقة هو حيز افتراضي فرض نفسه وفرض سعته وفرض قدرته وقد فرض كل هذا لنفسه بنفسه، ومن ضمن ما فرضه هو اجتماع كل الوجود فيه، لذلك صار هو جزء الوجود الأكثر تميزاً والأقوى تأثيراً، وقد يكون هذا الفهم عن العقل معلوماً لطبقة من الناس لكن ما لا يعلمه الناس

أن هنالك صراعاً مستمراً شديداً بين أجزاء الوجود في تفكيرنا فكل جزء من الوجود يريد أن يسيطر على المنطقة الفكرية التي نمتلكها، وهذا الأمر يعيشه الناس في كل لحظة من لحظات حياتهم علموا بذلك أم لم يعلموا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما يجب على الناس معرفته أن سيطرة بعض الوجود على تفكيرنا يجعلنا نسير وفقاً لذلك الوجود المسيطر بغض النظر عن مكانته وصورته أو صدقه وكذبه كل هذا لا يكون مهماً فسلوكنا يتبع ما سيطر على منطقة أفكارنا، لكن أحياناً هذا القانون يتعرقل ولو قليلاً فما سيطر على فكرنا وما شغلنا أو يشغلنا لفترة محددة لا يستطيع أن يسيطر على غايته أي الفكر أو يعجزه عن الوصول إلى هدفه وهذا أمر غير واضح التفسير كثيراً لكنه موجود ومتحقق في عقولنا، وما يمكن فهمه هنا أن اجتماع الوجود في تفكيرنا يؤدي بنا إلى أننا سنختار الأشياء والخيارات التي تسيطر على تفكيرنا وفقاً للقانون المذكور لكن حقيقة الأمر ليست كذلك إذ إننا لا نعرف أن تلك الحالة هي المسيطرة على تفكيرنا، وما على الناس معرفته هو أن تتصرف مع ما يقع معها في حياتها بسلاسة وهدوء لأن ما يقع معها هو الحالة الطبيعية لصورة عقولها وفقاً لهذه الفلسفة وهو ليس كذلك بعد إهمال الناس لفهم هذا الجزء المهم من هذه الفلسفة العميقة.

إن العقل الإنساني وجود لا يعمل تحت الإرادة البشرية فهو المولد لها والناس لا تملك إرادتها ولا تملك عقولها، إن كل ما تملكه هو جزء من قدرة استعمالها لمعرفتها لكن مشكلة الناس أنها تتصور امتلاكها لكل قدرتها وبالتالي امتلاكها للعقل، وهذه النظرة الخاطئة جعلت الناس تتصرف مع كل ما تحمله عقولها تصرفاً

بحسب اختياراتها وبالتالي لن تصل إلى غاياتها ومراداتها، ولو تصرفت وفقاً لإرادات عقولها وظهور أجزاء الوجود فيها لصارت أفعالنا تقترب كثيراً من المثالية وإن ظهرت بعض الأخطاء إلا أنها أخطاء كان لابد من وقوعها.



[ 73 ]

# الكراهية في المجتمع تبدأ من فشل الإنسان مع أبويه

يحتك الأبناء مع والديهم كثيراً في إرهاصات الحياة المختلفة احتكاكاً يكون سلبياً في أحيان كثيرة بسبب التفاوت العمري واختلاف الثقافة بين الأجيال وتقاطع الخوف والاحترام وتباين جهة المحبة بين الأبوة والبنوة وإلقاءات ظل زمان كل منهما على صاحبه، كل هذه وغيرها أسباب أولية لوقوع الاحتكاكات السلبية بين الآباء والأبناء، وهذه الاحتكاكات تترك نتائج كبيرة بينهما (أي الآباء والأبناء) وربما تكون معتدلة المشاعر من جهة الأب وحادة المشاعر من جهة الأبناء بسبب اختلاف جهة المحبة عندهما كما ذكرنا، وتراكم هذه الاحتكاكات لفترات طويلة بينهما قد تُسبب تطوراً قاسياً لافتاً للنظر في المشاعر السلبية من جهة الابن اتجاه والديه وخاصة بين الأبناء (الذكور) ووالدهم ويزداد الطين بلة إذا كان الأب يساعد على ذلك.

فيبدأ الإبن يكره والديه أحدهما أو كليهما، وهذا الأمر وإن كان مرفوضاً عند كل ذي عقل وممقوت عند أهل العلم خاصة فإن ما لا يعلمه أولئك الأبناء أن كرههم لوالديهم سيسبب بالمقابل كره الناس

لهم من دون علم الناس بأنهم يكرهون والديهم، فكتمان كراهية الأبناء لآبائهم وجعلها مدفونة في الأعماق لا ينفع أبداً في إخفائها فإن الناس ستكره أولئك الأبناء حتماً حتى مع عدم علمهم بتلك الكراهية المدفونة في أعماقهم (أي الأبناء) إذ إن النفس التي كرهت من كان سبباً قريباً في وجودها بهذه الحياة وأحسن إليها في كل حياتها وبكل شيء تقريباً (أقصد الآباء) ثم يواجههُ الأبناء بالكراهية فكيف حالهم مع من لم يفعل لهم أي إحسان وهم عموم الناس فأكيداً سيقابلونهم بكراهية بعد دخولهم في المجتمع، إذ إن نفوسهم صارت مهيئة للكراهية بشكل كامل تقريباً بعد كرههم آبائهم الذين لا يحتمل أن يكون الكره أجراً لعطائهم الطويل أو على أقل تقدير مهيئة لعدم تقدير الإحسان عموماً وبالمقابل فإن الناس لا تواجههم إلا بالكراهية كرد فعل طبيعي اتجاههم تحركه فلسفة الوجود والعقل والمشاعر.

وتستطيع حينئذ أن تتخيل حالة مجتمع كهذا لا يُحركهُ إلا سلوك محفوف بالكراهية التي كان أحد أهم أسبابها أمراً غير ملتفت إليه عند الناس غالباً، مخفي ومدفون في النفوس يحصل في حياتنا بشكل مستمر ونحن لا نعيرهُ أي أهمية تُذكر، إذ إن كراهية الابن لأبيه ليست جريمة حتى عند التشريعات القانونية البشرية لكنها جريمة كبرى في عالم الأخلاق والسلوك الإنساني ويكفي أنها كذلك تسببها في صناعة مجتمع مملوء بالتشنجات والكراهية لا تحركه إلا لغة المصلحة وتوجههُ سياط الخوف، ولم يلتفت الناس أن كل ذلك يختفي وراءه أمر عظيم مستور وهو كره الأبناء لآبائهم وعدم الإحسان لهم، وهذا التنبيه للإنسان ليس تنبيهاً استهلاكياً أو تكرارياً

مملاً بقدر ما هو تنبيه إنقاذي ليس غرضه فقط إعادة صياغة الأخلاق داخل الأسرة الواحدة ثم المجتمع بقدر ما يكون غرضه فتح العقل على إعادة التوثيق بين أشياء متناثرة لم يتوقع العقل أنها بتجميعها ستضع حلاً لأحجية كبيرة اجتماعية طالما أرقتنا بآثارها.

[ 74 ]

## الخط التاريخي مع العمق العقلي وصفة جيدة لفهم الميتافيزيقا

الاعتقاد بأمور ميتافيزيقية يواجه مشاكل متعددة الوجوه باستمرار كل جيل بحسبه، لكن الملفت للنظر أن استمرار تلك المشاكل واستمرار الاعتقادات الميتافيزيقية على طول الخط التاريخي يلهمنا فكرة مهمة مفادها أن أسباب الماورائيات ما كان لها أن تتواجد في كل جيل لولا وجود قوة فعلية تختفي خلفها، وإن المشاكل اتجاهها تخفي خلفها عمق العقل البشري واحتياجه باستمرار إلى ما يساعده على السير بهدوء في أعماقه الفسيحة، ولا يوجد سبيل لتحقيق ذلك أفضل من فكر عرف أسرار العقل وتجاوز حدود التقليد الفكري المتداول في زمانه وعبر إلى حدود أوسع من حدود الثقافة الاستدلالية المتعارفة في زمانه بمشاكلها الفلسفية المعلقة والخالية من الحلول الفعلية المريحة للعقل المجرد عن التدافعات اللاعلمية، ذلك العقل يستطيع أن يُفهِم الناس مشكلة عدم مقدرتها على الاستفادة من عمقها الفكري الموهوب لهم ابتداءً.

لكن لا نتوقع أن تتجاوز الأفكار في إرشادها لعقول الناس النظرة الكلية للزمان، وعليه يجب أن يمتلك ذلك العقل المميز تلك النظرة

الكلية للزمان وللأجيال بالنسبة لعلاقتها مع الزمان عموماً، فإن ما يجهله الناس هو كيفية الاستفادة من النظرة الكلية للخط التاريخي وعلاقته بالأجيال السابقة والحاضرة، فإذا تحققت هذه النظرة استطاع العقل البشري الاستفادة من عمقه العلمي وقدرته المذهلة، وعندها سينظر الناس إلى الميتافيزيقا وتجاوز حدود المادة بنظرة مختلفة، إذ إن تحديد نظرتهم يعود بحقيقته إلى عدم تسخير عمقهم العقلي تسخيراً نافعاً معطاءاً والذي لا يمكن تسخيره إلا بإدخال الخط التاريخي لتعاقب الأجيال كأمر مهم في نظرتنا للماورائيات، فعندها سنعرف ما هو العمق العقلي حقيقة وسنعرف ما هي الميتافيزيقا.

وكل محاولة يقوم بها الناس من أهل العلم لن تكون ذات جدوى أو قوة إلا بإدخال الخط التاريخي في صناعة نظرة بعيدة وعميقة لخفايا عقولنا، إذ إن فهم القوى الخفية في المادة وما حولها وفهم الميتافيزيقا متعسران جداً من دون إدخال الخط التاريخي ولا أبالغ إذا قلت أن فهمهما منحصر بالخط التاريخي انحصاراً علمياً مضيقاً.

إن استشعار الخط التاريخي ليس أمراً تحصيلياً يقع ضمن منطقة تعليمية تدارسية، بقدر ما هو حضور للزمان إلى منطقة العقل الإنساني حضوراً قسريّاً لا يمكن التخلص منه بإرادة واختيار واضحين، بل الأمر يتجاوز القدرة الطبيعية البشرية على ذلك، ولأن الأمر لا يسير إلا بهذه الكيفية لذلك فإن فهم الميتافيزيقا لا يُتاح تاريخياً إلى أي أحد ولا يفتح أبوابه لأي كان، لذلك صار حالات نادرة على مدى الأجيال بصورته الكاملة وشكله التام.

[ 75 ]

# أسلوب مقترح
# لصياغة استدلال معرفي خاص

في البراهين التي تستعمل في المُحاججات العلمية غالباً ما يتم صناعة الاستدلال وفق الإثباتات الخاصة بكل علم، إذ إن العلوم وكما هو واضح تحتاج إلى برهان واستدلال خاص بها للتمايز الواقع بين تلك العلوم ووجود المميز بينهما ذاتياً، ويحتاج الاستدلال أيضاً إلى خط برهاني عام يشترك مع باقي العلوم في تفصيل لا مجال لعرضه.

إن هذه الاستدلالات تتخذ صور مختلفة بعضها نظري بحت وأخرى تجريبي بحت وغيرها هي مزيج بين الاثنين، هذا هو الأسلوب العام بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة لسير البحوث العلمية، وهذه الصور من الاستدلالات على تنوعها واختلافها أحياناً حتى تقاطعها في نقاط محددة أنتجت نتائج جيدة على طول المسيرة العلمية للعلوم، وبعض تلك النتائج هي حقاً رائعة لو دققنا في تفاصيلها، لكن ما يلفت النظر أن تلك الاستدلالات على متانتها وتجذرها تبقى ضمن منطقة الفحص والنقاش والتحقيق المستمر بحيث لا تجد استدلالاً أو برهاناً ثابتاً بشكل مطلق غالباً، وكأن

اللاحتمية في النتائج هي الحالة الحتمية في العلوم وبالأخص إذا كان من يقودها هو فلسفة العلم بكل ما فيه من تطلعات وكل ما يحويه في أعماقه من آلام.

وعلى أية حال فإن هذه التحديات لا تمنع العقل من المحاولة المتكررة لفتح أفق أوسع للإنسان المهتم بالاستدلالات، وما اقترحهُ من أسلوب لجعل استدلالاتنا أقوى وأكثر متانة هو السير بعدة خطوات مهمة يمكن اختصارها بما يلي، الأولى: نفي الأمور الثابتة سابقاً والتي ثبت عدم صدقها عند المستدل، والثانية: تثبيت القضايا العلمية البديلة وهذا هو الخط العام الواضح للناس عموماً، لكن ما يحتاج إلى شيء من التفصيل في هذه الخطوة هو أنه لابد من إخفاء تلك القضية العلمية المثبتة إخفاءً جزئياً، لأن ذلك الإخفاء يجعل الفكر يتساءل عن كيفيتها وكيفية هيئتها وصورتها من دون إظهار تفاصيل لتلك الكيفية، فإذا حصل هذا الإبهام والغموض الممزوج بين وجود الإثبات العلمي وجوداً تاماً مع إخفاء صورته وهيئته التفصيلية ننتقل إلى الخطوة الثالثة والأخيرة: وهي جعل ذلك الإثبات العلمي المختفي الصورة يصير بنفسه تفسيراً رغم غموضه لأمور تقع في حياة الناس باستمرار وهم لا يعرفون ما هو تفسيرها فعلاً، فيكون تفسير المخفي للظاهر هو ظهوراً له وهو خير برهان على صدقه ووجوده.

## [ 76 ]

# الصخور تخفي خلفها ماءً دافقاً فلا تتعجل الرحيل

دأب الناس على الاهتمام بشؤونهم الحياتية اليومية في المأكل والمشرب والمسكن والمأمن والمتعة النفسية والجسدية، وهذا الاهتمام يسبب بمرور الوقت تغير نظرتهم إلى الحياة التي يتعاملون معها أو تعامل معها قبلهم آباؤهم وأجدادهم، فانحصرت نتائج تلك النظرة على ما لا يعلمه الناس إلا علمهم المتحصل بحواسهم وتعاملاتهم المباشرة البعيدة عن التأمل العميق في الأشياء المحيطة بهم إلا من خلال أفراد بحالات نادرة تظهر وتختفي على طول الخط الزمني للمسيرة البشرية، تحاول أن تجعل الناس يذهبون بعيداً قليلاً أو كثيراً مما عندهم أو ما يمتلكونه أو يشعرون بوجودهم به أو يتحسسونه بوجدانهم أو يؤلمهم وجوده وفقدانه، وهذه المحاولة من أولئك الأفراد القلائل ليست محاولة زائدة أو متطفلة على الخط البشري أو هي حركات إضافية تولدت من ردة فعل من بعض الأفراد على البعض الآخر، هي ليست كذلك بل هي محاولات صادقة للارتقاء بالعقل الإنساني وتقويم للأفكار والسلوك، ومن أهم تلك المحاولات الجبارة التي تظهر للإنسان باستمرار هي محاولة

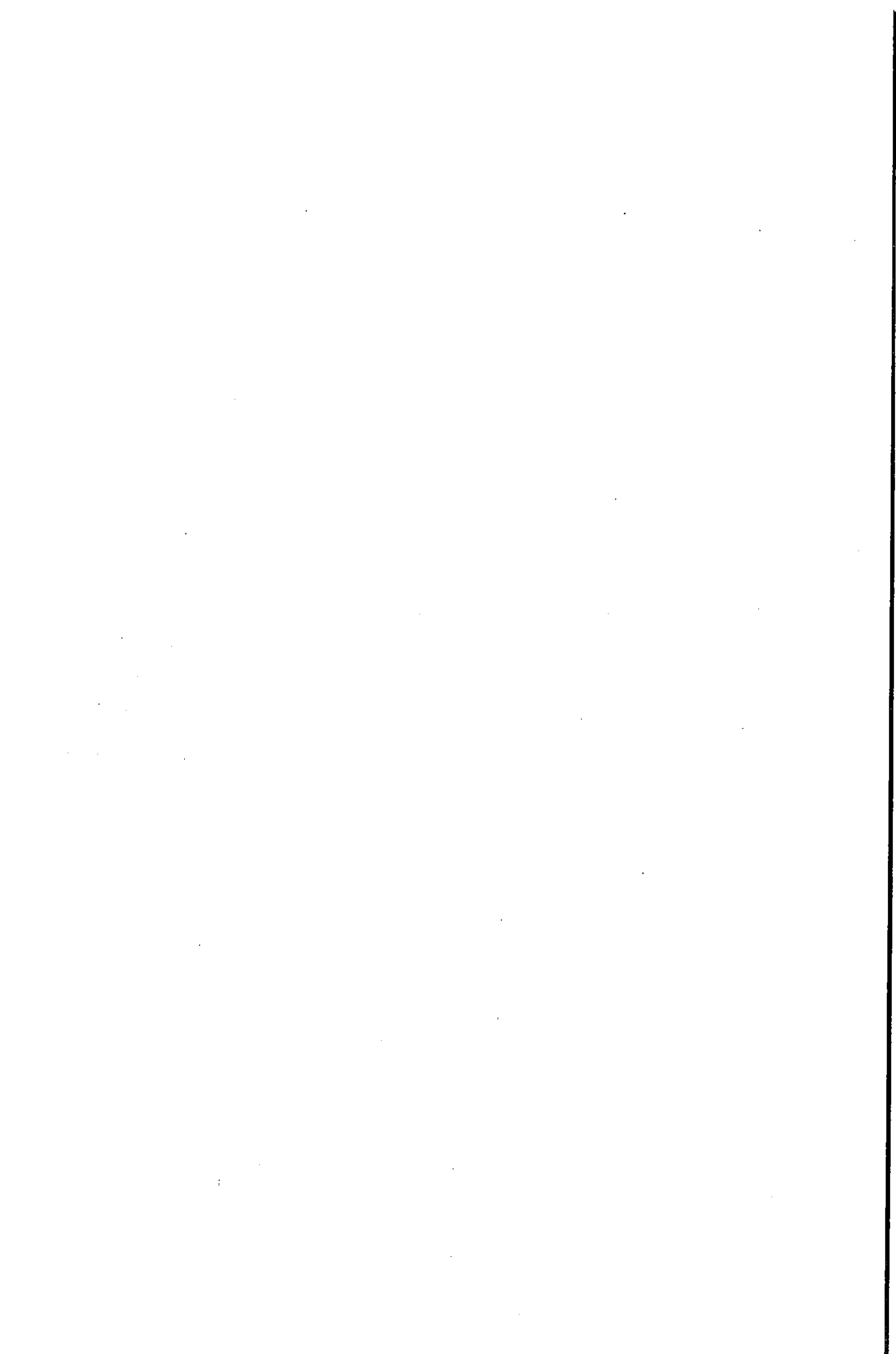
الكشف عن أمور خُفي عن الناس معرفتها رغم وجودها المستمر في حياتهم، لكنها خُفيت عنهم هويتها وزويت عنهم حقيقتها لكنها لا تخفى على عقل الإنسان الذي لم ينفك عن بذل الجهد في البحث عن وسائل معرفتها، فوضع وسائل متعددة ومختلفة في الفضل والقيمة.

إن أفضل وسيلة وضعها العقل الإنساني لجعل الناس تكتشف تلك الأمور الخفية هو النظر إلى أمور عجز الناس عن التحكم فيها رغم أنها تمس حياتهم باستمرار، كأسباب بقائهم في الحياة رغم كثرة المتغيرات من حولهم والمؤدية إلى احتمالية مفارقتهم لهذه الحياة بأي لحظة وإمكانية تعرضهم لأي حدث يسبب موتهم الفجائي وعلى المدى البعيد هذا من جهة، ومن جهة أخرى وقوع الموت للناس باستمرار بسابق إنذار تدرجي أو بدون سابق له، وكل هذا وغيره مما يعجز الناس عن التحكم به لا جذباً ولا دفعاً وإن بدا للناس أحياناً القدرة على ذلك لكنها قدرة خادعة، إن هذا العجز عن التحكم في حياتنا وموتنا أو التحكم في أسباب ذلك أو معرفة كل الاسرار التي تحيط بها يجعلنا نكتشف ما لا يمكن اكتشافهُ ونعلم بما لا يمكن العلم به ويجعلنا نشعر بقوة العالم الذي يحيط بنا.

وبالتالي فإن حياتنا وموتنا وفلسفتهما العميقة في عقولنا وعدم القدرة على معرفة كل الاسرار حولهما يجعلاننا أقوى قدرة على الاكتشاف، إذن فالمفتاح يكمن في تدبر الاقفال المغلقة لحياتنا وموتنا تدبراً عميقاً وعدم الهروب من الصخور المعرفية التي تواجهنا في محاولة فتح تلك الاقفال الغليظة يؤهلنا لصياغة استدلالات

رفيعة المستوى، وتلك الإستدلالات ليست وليدة قوة ذاتية في عقولنا بل هي وليدة توسيع الفكر بسبب توسيع متعلق تفكيره، والحياة والموت من أوسع المتعلقات واصعبها والتي تؤدي إلى تفجير تلك القدرة الاستدلالية في العقل تفجيراً غير مسبوق يؤدي بالنتيجة إلى توسيع القدرة على اكتشاف ما يصعب اكتشافه ومعرفة ما خُفي معرفته.

مشكلة الناس أنها لا تعلم أن عدم معرفتها بالأسرار المتعلقة بهذه الأمور الكبيرة سيكون مفتاحاً لبسط مائدة الاكتشاف، لكنها تتراجع بمجرد حصول تلك الانغلاقات الفكرية والمعرفية الكبيرة، ولو صبرت قليلاً لتفاجأت من قوة الحصيلة المعرفية المتدفقة من تلك الأمور المغلقة، فليتعلم الناس هذه الحكمة وليحتفظوا بهذه المعرفة، أن الصخور تخفي خلفها ماءً دافقاً فلا تتعجل الرحيل.



[ 77 ]

## بعض أحكام القيم العليا

القيم العليا هي تلك المفاهيم التي ارتفعت وتعالت على غيرها، فصارت ذات تأثير مختلف في مظهره وقيمته على عقول عموم الناس يفهم الإنسان تفاصيلها ويتفاوت الناس في قراءة أبعادها والوصول إلى عمقها، لكنهم يشتركون في احترامها عموماً وإن عارضوها في فترات ومواقف من حياتهم فذلك بسبب تقاطعها مع مصالحهم وفشلهم في تغليبها على تلك المصالح لا أكثر وإلا فاحترام تلك القيم موجود أساساً حتى عند أعتى الناس طغياناً وأشدهم ظلماً، فهؤلاء مثلاً يتمسكون بالأمين لهم ويتمسكون كذلك بالمضحي من أجلهم والعالِم الذي يخدمهم والبطل الذي يفدي نفسه في سبيلهم، إذن فهم يحترمون هذه القيم ويمقتون أضدادها لكنهم يحترمونها ما دامت لهم ولأجلهم ويكرهونها ما دامت تخالفهم وتتقاطع مع مصالحهم.

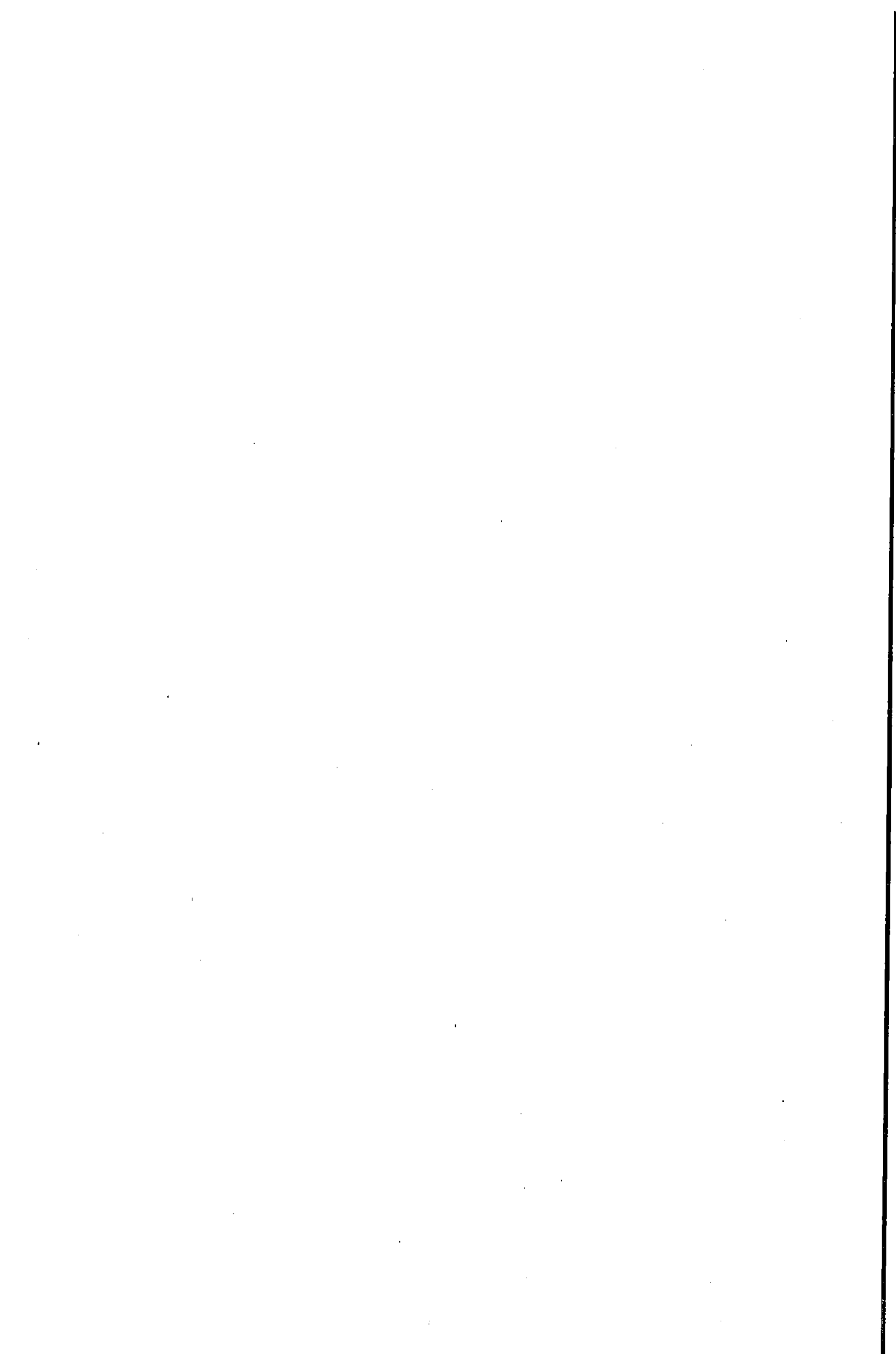
فالقيم العليا إذن هي مفاهيم ذاتية القوة متجذرة البرهان في أعماق الوجود الإنساني، ولأن تلك القيم لها هذه القوة الذاتية فهي تتميز بقوانين صارمة شديدة الدقة، فهي لا تكتفي فقط بأن من يخالفها ستتحطم حياته ولو بعد حين أو أن من يستهين بها سيهان إهانة

شديدة ومن يضعفها سيضعف ومن يحاربها سيسقط أشد ما سقطة إذا كان ذهنه قد وسع مفهوم السقوط ليدركه، هي لا تكتفي بكل هذا، بل تتعداه إلى أنها لا تقبل أبداً أن تكون أحد طرفي الاختيار فيتعامل معها الناس بالرغبة فمتى ما أرادوها ذهبوا إليها واختاروها ومتى ما كانت إرادتهم بخلافها تركوها، هي لا تقبل بهذا أيضاً بل وأشد من ذلك، فهي لا تقبل أن تتواجد في مكان واحد مع غيرها أياً كان ذلك المكان في الوجود الإنساني، فهي لا تريد المكان إلا لها وبمجرد وجود شيء آخر معها فإنها ستغادر المكان مباشرة وبلا أدنى تردد، هي تفعل ذلك وهي محقة فيما تفعله، هي تفعل ذلك واللوم كل اللوم على ذلك العقل الذي قبِل أن ينزل معها شيئاً آخر في نفس المكان.

وأحكام القيم العليا لا ينتهي هنا فهي لا تكتفي بمغادرة ذلك المكان فقط بل تغادره مع معاقبة صاحبه على جناية إنزال شيء آخر معها، فهي السيدة وهي الآمرة والناهية وما على العقل إلا التماشي مع وجودها وكل شيء يخالف ذلك معها فهو خيانة صريحة لها وعدم تقدير لمكانتها المتعالية، فما يجب على الناس معرفتهُ واتباعه هو اكتشاف تلك المفاهيم في أعماقهم وحفظ مكانتها لديهم وعدم إشراك غيرها معها سواء كان ذلك الغير مفهوماً يخالفها ويضادها أو إنساناً يحمل ذلك المفهوم، فسيكون هذا - لو وقع - خطأً فادحاً ليس من السهولة إصلاحه وسيتحمل صاحبه عاقبة ما يفعل ولا يغرّهُ تأخر الزمان أو يوهمه ثبات الحال.

فإن تلك القيم ليست منفعلة بمكان ولا بزمان ولا بعدد ولا بكثرة

ولا بعلو ولا بدنو ولا بغنى ولا بفقر ولا بعلم ولا بجهل، فهي تتمدد بوجودها ذاتياً وتتحرك بكيفيتها علمياً فلا عالَم الناس قادر على حدها ولا أفعالهم تستطيع رسم هويتها، هي تتحرك بعالمها ولها أحكامها التي لا يكفي فقط تعلمها بل يجب استشعارها وإن كان تعلمها هو لا يتم إلا باستشعارها، واستشعارها لا يمكن تحصيله لأنه ليس إلا ومضة وجودية يجب ألا يتأخر الإنسان في التقاطها لأنها نادراً ما تعود.



[ 78 ]

# من نتائج المعنى اللحظي للحياة والموت

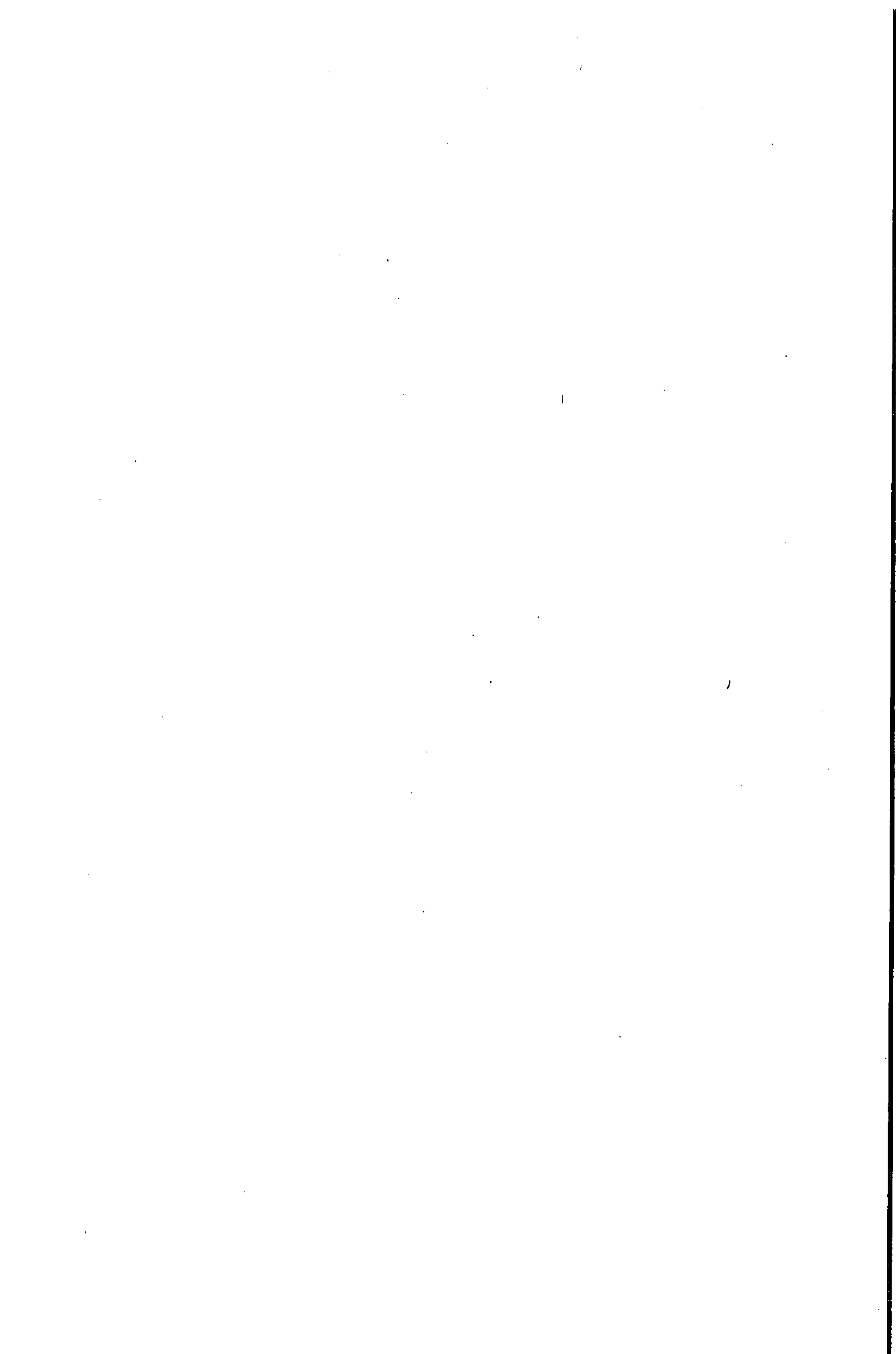
تعامل الناس مع مفهومي الحياة والموت تعاملاً مستمراً دائماً لا يتوقف عند زمن ولا يتعرقل بلحظة، فهما دائما الحضور معنا يتخذان التوقع والتدرج أسلوباً لنتقبلهما أحياناً وأخِرى لا يحتاجان إلى ذلك الأسلوب، وما يعلمه الناس وما يشعرون به هو الصورة المفهومة للموت والحياة المتعارفة عند أغلبهم بغض النظر عن ثقافاتهم أو أعمارهم أو مستوى وعمق إدراكهم، فالجميع تقريباً يفهم موت شخص ويفهم ما يقابلهُ من حياة شخص عموماً أو ما يقابلهُ من ولادة إنسان في لحظات الولادة الاعتيادية بين أبناء النوع الإنساني أو الحيواني، فصار هذا الفهم للحياة والموت والاكتفاء به سبباً مهماً في تجاوز أمور كثيرة وعدم اعتنائهم بالمفاهيم الأخرى للموت والحياة، إذ إن ولادة شخص بمعنى منح الحياة المتعارفة له وموت شخص بمعنى مفارقة تلك الحياة المتعارفة عنه هو ما يهم الناس دائماً.

لكن ما يجب أن يعلمه الناس هو أن هذه الحياة وذلك الموت ليسا سوى هزّة عنيفة للعقل البشري ليعرف من خلالهما وجود هذين الأمرين العظيمين في مسيرته كإنسان، فهما يخفيان خلفهما أنواعاً من

الموت وأنواعاً من الحياة، فسلوكنا يموت ويحيى وعلاقاتنا تموت وتحيا وقوتنا تموت وتحيا وهكذا، فإن الموت والحياة وجودان يأخذان منّا كل العمر بل يمكن القول أن اعمارنا ليست إلا حياة أو موت بمقاطع مفصلية منها، ولا أبالغ إذا قلت أن الموت والحياة يتحققان لحظياً وبشكل مذهل، فقط الإنسان بحاجة إلى بصيرة ثاقبة ليرى ذلك بوضوح وتتبين عنده الأمور بدقة، وهذا الموت اللحظي يمكن أن نستشعره بالنظر العميق إلى أفكارنا، فالحقيقة أن ما يموت ويحيى هي أفكارنا وكل شيء آخر هو مجرد متعلق بها ونتيجة لها لا أكثر، فحين تحيا أفكارنا تبدأ الحياة تدب إلى كل ما يحيط بنا وحين تموت أفكارنا تبدأ الحياة تُسلب تدريجياً عما حولنا، وإن أهم معنى لحياة أفكارنا هو أن (نفكر بحياة) وكذلك فأن أهم معنى لموتها هو أن (نفكر بموت) فإن أي عملية قتل تصدر من أفكارنا هي تفكير بموت، فإعدام عالِم عن إيصال علمه تفكير بموت وأعانته تفكير بحياة، والغضب تفكير بموت لأنه يسبب إعداماً للعلاقات، والحلم تفكير بحياة والجبن تفكير بموت والشجاعة تفكير بحياة وهكذا.

فالتفكير بموت هو كل حالة إعدام للأشياء التي حولنا والتفكير بحياة هو كل حالة قضاء على ذلك العدم في المعاني، فإذا عرف الناس ذلك وجب عليهم إحياء أفكارهم لا إعدامها ولا يكون ذلك إلا بجوهر العقل ذي المدى البعيد، فكلما كان ذلك الجوهر نقياً عن المداخلات والشوائب صار قوة للحياة وكلما ابتعد عن نقاوته صار أقرب إلى الموت، وما يجب على الناس معرفته أن نقاء ذلك الجوهر لا يتم إلا بعزله عن كل شيء إلا ذاته أو ما يحاكي ذاته فقط.

فإن عزل جوهر العقل يجعل النقاء متحققاً فيه بدرجة رائعة، فإذا صار جوهر العقل نقياً فعندها لن يموت أبداً ويبقى في حياة دائمة، لكن ليتذكر الناس أن كل نقاء ممكن أن يصيبه اللوث إلا نقاء التحمل السلوكي والرؤية المعرفية الواضحة لتفاعلات الأشياء ونتائجها، فإن حصولهما يجعل الجوهر نقياً وغير قابل لأي إصابة مطلقاً.



[ 79 ]

# إيقاظ الحالة المعرفية وإعادة صياغة المشكلة

أحياناً تحيى الناس في موضع يُفترض أن يكون سبباً لموتها في صورته المنطقية، وتموت في موضع يفترض أن يكون سبباً لحياتها بنفس الصورة، والأول خاص بعلاقة العقل مع الوجود والانعكاس المتبادل بينهما والحياة في موضع افتراض الموت منطقياً سببهُ قوة العقل على إحداث الحياة وتجديدها مترفعاً عن المحيط والموضع الخاص بها، وهذا يحصل بشكل نادر عند الناس وفي حالات خاصة، أما الموت في موضع يُفترض أن يكون سبباً لحياتها وهذا يحصل كثيراً مع الناس، فالناس تختار السعادة في كل أشكال الحياة وصورها وتسعى لذلك كثيراً، ودائماً ما تعتبر أن أي معرقل يعرقل السعادة هو في الحقيقة مشكلة يجب التخلص منها بإيجاد الحل المناسب لها، والناس تهتم بحلول مشاكلها وغالباً ما يكون تحصيل الحل هو الغاية القصوى للناس حتى لو تطلب الأمر ما تطلب سعياً لتحصيل ذلك الحل.

لكن الناس لا تعلم أن الحل الذي تطلبه بشغف سيكون بنفسه مشكلة في لحظة معينة، إذ إن الناس حين تحاول أن تجد حلولاً

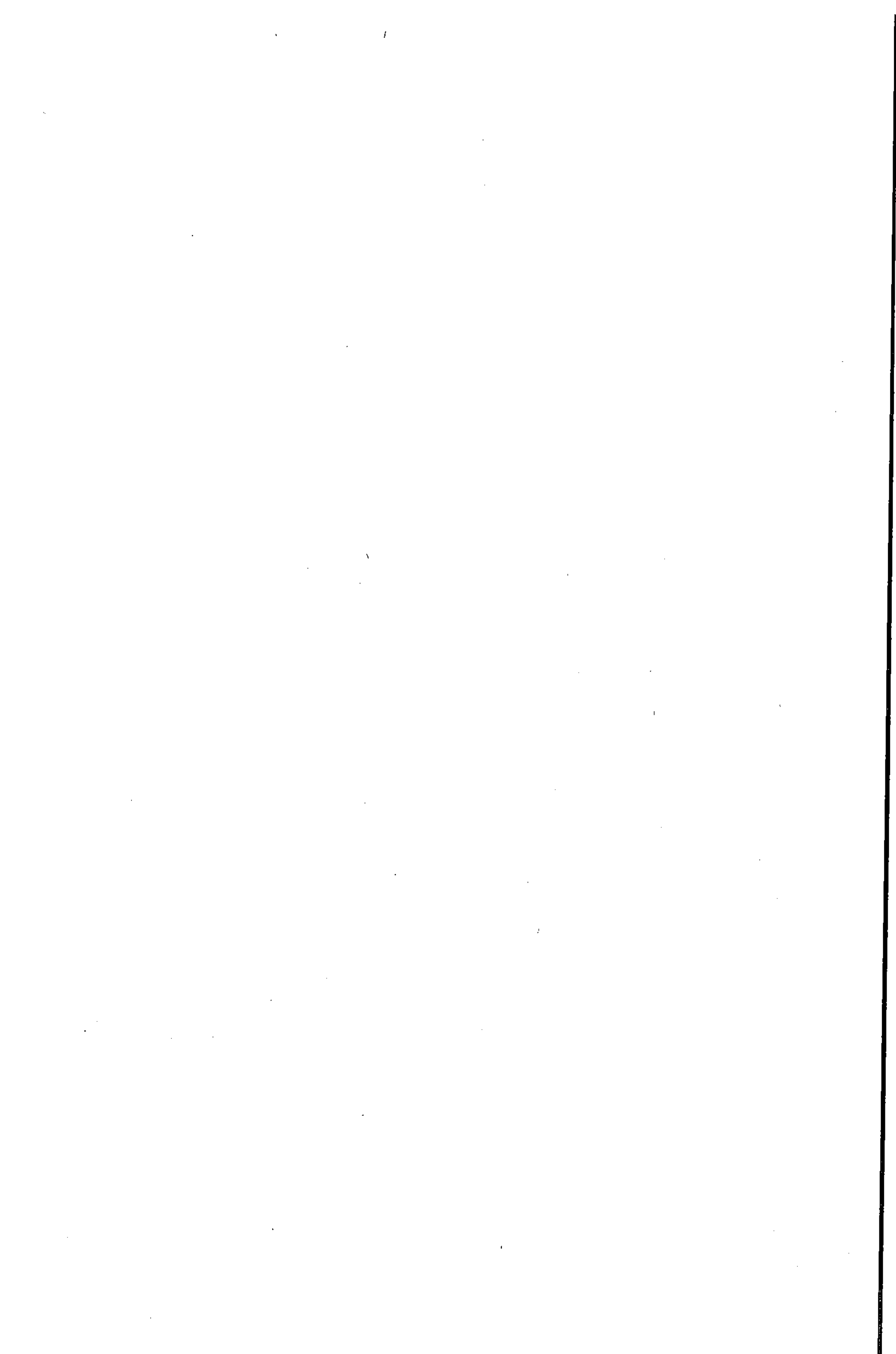
لمشاكلها فإن نظرها سينحصر جلّه على أصل المشكلة، والحل سيدور حولها ومحور تلك المشكلة سيكون هو الأساس الذي تستند إليه الحلول، فالحل ليس سوى دفع للمشكلة وهذا الدفع لا يضمن لنا أنه سيكون خالياً ونقياً من العيوب فقد تكون نفس عملية الدفع قد حوت في داخلها مشاكل كثيرة وليست مشكلة واحدة، وتلك المشاكل قد تراها الناس وقد لا تراها وأحياناً ترى بعضها ولا ترى بعضها الآخر.

إن الناس متدرجة من حيث كونها ضحية لحلول مشاكلها، فبعضها بارزة الوضوح بأن حلّها الذي سعت جاهدة لنيله صار مشكلة، وأخرى مختفية لا تكتشف ذلك إلا بعد فترة ليست بالقصيرة، لكن ولأن الحلول تولد في حقيقتها من مشاكل ابتداءً وهي تسعى أن تحل تلك المشاكل، فهي بهذه الفلسفة قد وضعت حجر الاساس لصناعة المشكلة أكيداً، وإن بدت لها خلاف ذلك بأنها أولدت حلاً نهائياً، لكن هي في حقيقتها ليست كذلك، وكذلك لابد للناس أن تعلم أنه كلما كان الحل ضرورياً صار احتمال أن تكون مشاكلهُ أقل عدداً وأضيق فرصة، لأن مع رفع الضرورة تهون كثير من الأمور مع صعوباتها وكلما كان الحل غير ضروري صار احتمال أن تكون مشاكلهُ أكبر واعقد.

لكن يمكن توسيع هذه الفلسفة إلى فلسفة أكبر، وهي فلسفة تعتمد على إعادة النظر إلى المشكلة، فهل هنالك مشكلة حقاً في هذا الوجود أم أن المشكلة ليس لها وجود أصلاً، وإن ما نعتبره مشكلة لا يكون كذلك بعد النظر العميق.

ربما كان أحد أسباب توسيع هذه الفلسفة ونشوئها هو أن الإنسان يفتقد للحل الخالص النقي، لأن كل حل هو في جوهره مشكلة، وبالتالي فما المشكلة إلا أفكاراً لا تتلاءم معنا ولا تنفك أنها تزعجنا باستمرار وبمجرد تغيير تلك الأفكار عند الناس يضعف ذلك الشيء الذي أسمه المشكلة، أما البحث عن حلٍ لها مع اعتبار أن الحل هو الغاية أو أن الحلول في جوهرها مشاكل فلا يرفع تلك المشكلة ولا يؤدي إلى صناعة شيء في النهاية.

لكن مع نظر العقل الإنساني إلى عمق الأمور والتقاط ما يمكن التقاطه منها لصناعة بناء معرفي ضخم متجذر الثبات يصيغهُ العقل بروية لينتج بالنتيجة رؤية غير مفككة للأشياء ابتداءً من العقل إلى السلوك والمحيط والمعوقات وما تؤدي إليه من نتائج، فإن تلك الفلسفة ستكون هي المنقذ في إيقاظ حالة معرفية في أعماقه تؤكد له أن المشكلة ليس لها وجود بما يعنيه ذلك الوجود من معنى في عالم الحقيقة العقلية.



[ 80 ]

# ما نخسره في ردودنا

تختار الناس في احتكاكاتها الحياتية أساليباً متنوعة للرد على خصومهم والمعارضين لأفكارهم، فبعض الردود مؤدب وطيب لكنه مملوء بالأشياء المؤلمة، وبعضها عنيف وغاية في القسوة، وبعضها يختار التجاهل والإهمال كأقسى أسلوب للرد انطلاقاً من أن فلسفة التجاهل هي إلغاء للوجود الإنساني ووجود الذات لا يُقدر عند صاحبها بثمن، وكل هذه الأساليب يتنوع الناس في استعمالها حسب موقف ونوع الخصم وهيئة المعارضة والخصومة، وكذلك بحسب أدب وخُلق وثقافة الناطق بها، وربما لا يُلام متخذوها في حينها لإيجاد العذر لأنفسهم، فالأعذار وسيلة الغاية وأداة الحجة.

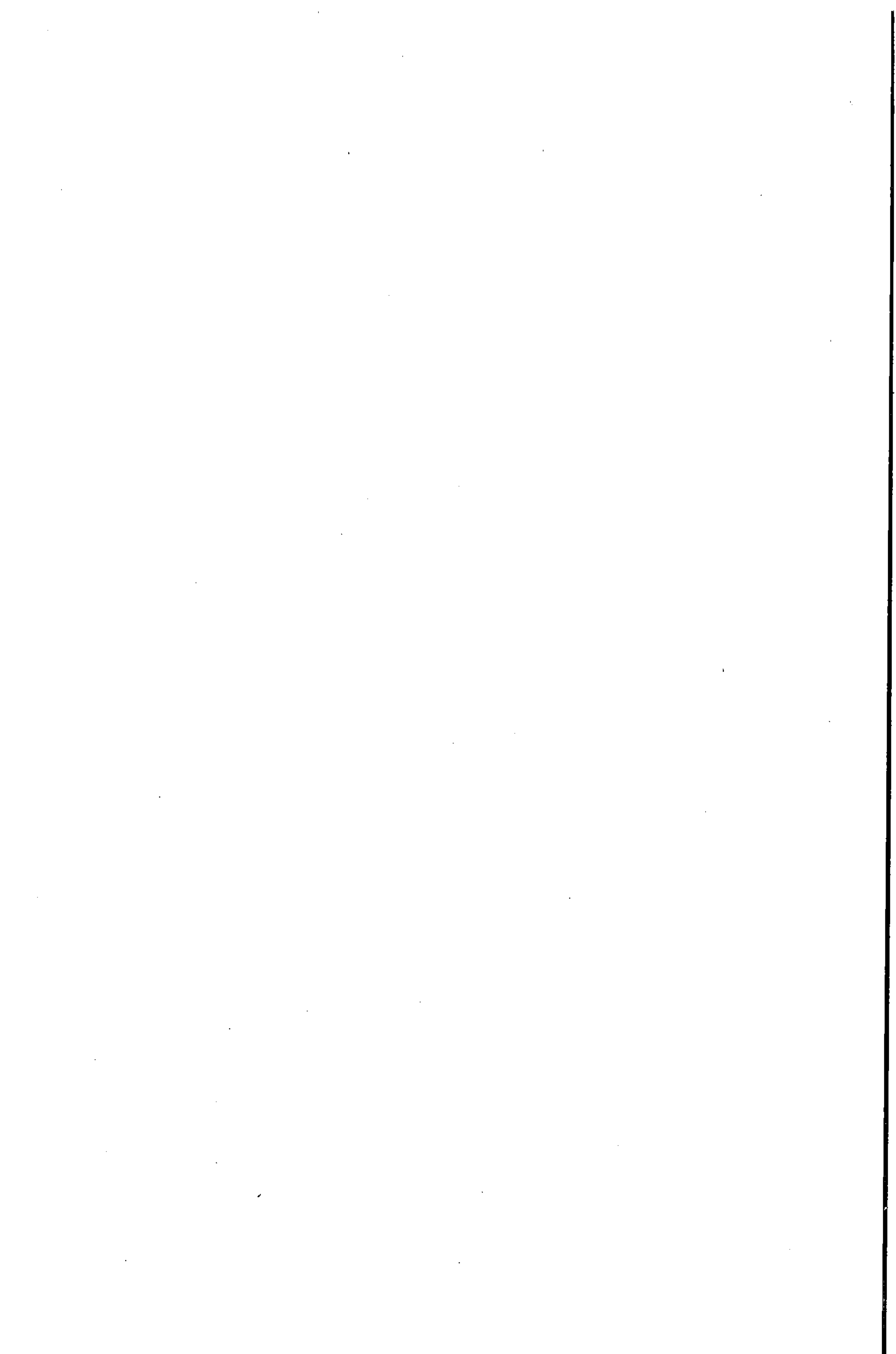
لكن ما يغفل عنه الناس أن كل أشكال الردود المذكورة بمراتبها التدرجية من الشدة إلى الضعف تُخسر الإنسان أمرين عظيمين لا يعوضهما أقوى الردود على خصوم الناس المفترضة مهما كان حجم ذلك الرد أو شدة قسوته، وأولى الأشياء التي تخسرها الناس هي أنفسهم بانهزامهم أمامها، وكذلك تخسر الحب الذي هو أعظم قوى الوجود بكرهها للخصم أو على أقل تقدير تحاملها عليه، تخسر كل ذلك مهما كان ردها صاعقاً وشديداً، فهي بخسرانها نفسها والانهزام

أمامها قد فوتت على نفسها فرصة الانتصار على النفس، وأي انتصار أعظم من مسك الإنسان زمام نفسه لحظة الغليان والغضب مع القدرة على الرد بالألفاظ أو الرد بأقسى من اللفظ وأعني التجاهل الانتقامي المشحون بالكراهية هذا من جهة خسران الناس لأنفسهم، أما من جهة كرهها للخصم المتجاوز بالأقوال أو الأفعال فهو خسارة عظمى وضياع عقلي كبير.

إن الكراهية بمجرد وجودها وتحققها سيلازمها نتيجتين سيئتين أحدهما آنية سريعة والأخرى مستقبلية بطيئة، أما الآنية فإنها تتسبب ببروز أقسى الأقوال والأفعال من صاحبها، والمستقبلية فإنها ستُسبب الخسارة الأكيدة لصاحبها، فحامل الكراهية لن ينتصر أبداً لأن الكراهية لا تنتمي إلى الوجود وهي غريبة عنهُ، والوجود بدوره يعاملها كتحقق غريب لحظي له عمر متفاوت بحسب مكوثه عند حامله، والأفضل بعد معرفة هذا ترك الرد بكل أشكاله بشرط ألا يكون ترك الرد بقصد التجاهل الانتقامي المحفوف بالكراهية والتحقير للخصم، لأنه سيكون أقسى الردود وأشدها ابتعاداً عن الإنسانية وخاصة مع الإنسان الحامل للصفات الطيبة بعضها أو جلها، ويجب على الإنسان أن يستبدل ردّهُ بالحب وأن يترك الرد على صاحب التجاوز من دون إشعاره بالإهمال والتحقير لأنه إنسان، والنظر لتجاوزه أنهُ مجرد تنبيه لا أكثر، وليكن تجاوزه بداية مشرقة لعقولنا وانطلاقاً لمراجعة أخطائنا، فلنشكر من تجاوز علينا بشكر صادق لأنه علّمنا أننا أخطأنا خطأً استحققنا عليه التنبيه، فحتى لو جزمنا بسوء من نتصور أنه يستحق منا رداً قاسياً فيجب ألا ينصرف نظر الإنسان إليه لأن صرف نظره إليه هو تحطيم لفكره

وتحجيم لقدرته العقلية، ومن الخطأ أن يكون العقل منشغلاً بالناس أو محاولته لصناعة وإتقان فن الرد، فإن ذلك الإتقان على فرض تحققه لا يُعد ربحاً أبداً أمام انشغال العقل وتشتته.

إن المرحلة العظمى في فن الرد هي تحرير العقل مطلقاً من الرد، وهي مرحلة ليست مجرد ألفاظ وكلام عابر بقدر ما هي قوة هائلة لن ينالها الإنسان بالادعاء ولن يكتسبها بتجربة بسيطة عابرة، فإنها خلاصة لمزيج من أنواع متعددة من الفلسفات تتولد في العقل الإنساني في مرحلة عمرية خاصة وبظروف خاصة ثم تُترك لفترة ليست بالقصيرة قد تستغرق منه عمراً بطوله ليصل الإنسان في نهايتها إلى نتيجة عظمى، وهي تحرير العقل مطلقاً من الرد وليس تحرير اللسان فقط أو تحرير السلوك، وهي مرحلة لا تتأتى بطريق مختصرة، فليس لها سوى طريق تجرع المرارة وارتشاف الصبر وامتطاء الصعاب، ولا يوجد طريق غيره أبداً.



[ 81 ]

# رأس خيط التحكم المعرفي بالموت والحياة

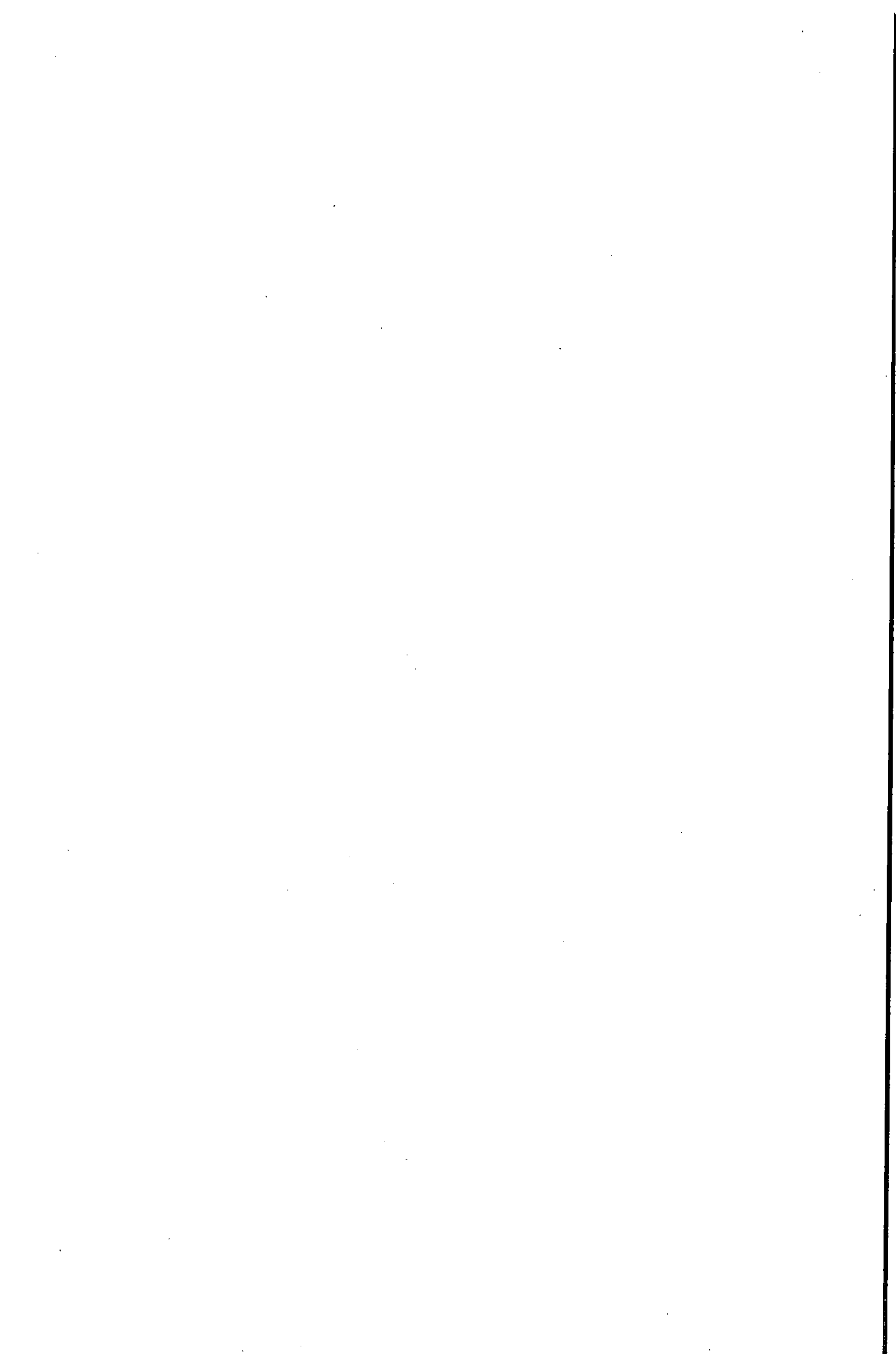
حقيقة الموت والحياة من الأمـور التي تعايشت مع الناس وأخذت حيزاً مهماً من تفكيرها، فحاولوا دفع الجانب المظلم منها واستجلاب الجانب المشرق فيها بشتى الطرق وأفضل الأساليب وأعقدها، وأسباب اهتمامها هذا كثيرة ربما أهمها الفكرة المُخيفة التي تلازم الموت واقترانه بصورة العدم والزوال عن هذه الحياة، والتي تعايش الإنسان معها فأحبها وأستأنس بها وإن كانت لم تُلَبِّ كل رغباته إلا أنها أقل سوءاً من الموت في نظره واعتقاده، وقد استعمل الإنسان عقله كأداة جبارة للتحكم بالموت والحياة ومعرفة أسرارهما، لكنه لم يستطع بحدود عقله المتاحة له حالياً معرفة القليل القليل من تلك الأسرار والتي بدورها قد تفاجئ الإنسان بالانهيار اللحظي فيتبخر من يده ما كان يعتقد أنه قد وقع على حقيقته وسيطرة على سره فيرجع القهقري ويعود إلى نقطة البداية ليبدأ من جديد، وهكذا هي قصة الإنسان مع قضية الموت والحياة يصارع لأجلها ولازال يصارع إلى يومنا هذا من أجل معرفة اسرارها والإحاطة بتفاصيل خاصة بالتحكم بها والسيطرة عليها معرفياً، فهل يمكن للإنسان السيطرة معرفياً على الموت والحياة ؟

إن حقيقة الموت والحياة تواجه صعوبة في ضبطها فأسبابها على سعتها تكاد تكون غير محصورة كأسباب للوفيات، وضدها بعد رفعها تكون أسباباً لاستمرار الحياة الموهوبة ابتداءً والتي لها سرها الخاص أيضاً، إذن فأسباب الحياة والموت لا تعد ولا تحصى ولا يمكن حصرها أبداً، لأنها بسعة الإنسان بكل عوالمه وتضارب الأجزاء الهائلة لتلك العوالم فيما بينها، إن فهم عجز الإنسان عن معرفة أسباب الموت ومعرفة اضدادها من أسباب استمرار الحياة تفتح لنا أفقاً واسعاً لاكتشاف رأس خيط صغير لكيفية التحكم المعرفي بالموت والحياة، وذلك من خلال إفهام العقل أنه لا يمكن إحكام السيطرة المعرفية على الحياة والموت بالقدرة المحدودة للعقل البشري وهذه البداية في إفهام العقل هي نفسها البداية في ذلك التحكم المعرفي بالموت والحياة، إذ إن فكرة الحياة والموت تحتاج إلى إنسان ذي عقل تجاوز حدود التفكير فيهما، تجاوزهما إلى أفق أوسع من الهروب من الموت وتطويل فترة الحياة، إذ إن فلسفة الحياة والموت تخفي خلفها سراً كبيراً أعمق مما يتصور الإنسان، فالحياة والموت ملازمان للوجود وأن التحكم بهما ومحاولة التلاعب بهما تلاعب بضرورة وجودية وهذا أمر غير صحيح يجب أن يتجنبه الإنسان تجنباً مطلقاً.

إن هذا الفهم يفتح لنا منفذاً إلى بُعد آخر غير بُعد العقل البشري وغير بُعد قدراتنا، إذ إن لهما بُعداً آخرا عظيما خفي علينا مطلقاً، فالخفاء هو مفتاح الموت والخياة وهما كشف لهُ، لذا يمكن القول أنه يمكن التحكم بالموت والحياة بنظرة فلسفية مجردة عن أي مداخلات أو جدليات علمية، وتلك النظرة مبتنية على فهم الخفاء

بالموت والخفاء في أصل الحياة واستمرارها، فالسر إذن يكمن في أن الخفاء لابد من وجوده في عقولنا وأن يكون حاضراً عندنا دائماً وحضوره بأن نعتقد جازمين أن خفاء الموت عن عقولنا لهو سبب مهم في السيطرة عليه والتحكم به، وكذلك فإن قبول الناس لحضور الموت في أي لحظة سبباً مهماً للتحكم فيه أيضاً، وكلما كان الخفاء قوياً في العقول وقبول العقول لحضوره على أساس خفائه صار التحكم به أوسع، والتحكم به ليس سوى نتائج لا نراها ولا نعلمها لكنها موجودة في عقولنا ومتحققة في ذاتنا.

كل ما نحتاجه هو ذلك الخيط المعرفي لإحكام السيطرة، لكن أنى للإنسان أن يمسك ذلك الخيط المعرفي الذي يقضي الإنسان عمراً بطوله في سبيل تحصيله أو قد يحصل عليه في لحظة عمرية غير محتسبة.



[ 82 ]

# تعاستنا سببها استنفاد حصتنا من السعادة

إن السعادة شيء يغطي أسباب تعاستنا المتجذرة فينا ابتداءً وبزواله تظهر تلك التعاسة المتحققة مسبقاً، وما لا يعلمه الناس أن ما نسميه السعادة ليس أمراً مُتاحاً لنا الأخذ منهُ متى ما نريد وكيفما نشاء، فإن لكل إنسان في هذه الحياة نفس المقدار من حصة السعادة ابتداءً، وهذا واضح إذ إن كل إنسان لا يوجد في لحظات ولادته الأولى ما يميزه عن غيره، وما هذه الأشياء التي يراها الناس إلا وهماً وخداعاً كبيراً كأن يولد هذا الإنسان وفي فمه ملعقة من ذهب أو أن يولد غيره وهو ليس كذلك، فكل هذا لا يؤثر في أن الإنسان حين يولد وبأي ظرف أو كيفية أو زمان أو مكان فإن له نفس الفرصة والحصة من السعادة، ويكفي لذلك أن نسترجع في ذاكرتنا تبدل أحوال الملوك والرعية فينقلب الملك تعيساً وينقلب الفلاح سعيداً وهكذا هي الحياة.

فالناس متساوون في حصتهم من السعادة فإذا عرفنا ذلك سنفهم لماذا يتفاوت الناس في السعادة والتعاسة، فبعد أن عرفنا أن السعادة ليست أصيلة فينا وأنها هي مجرد غطاء لحزننا ولا يكون ذلك الغطاء

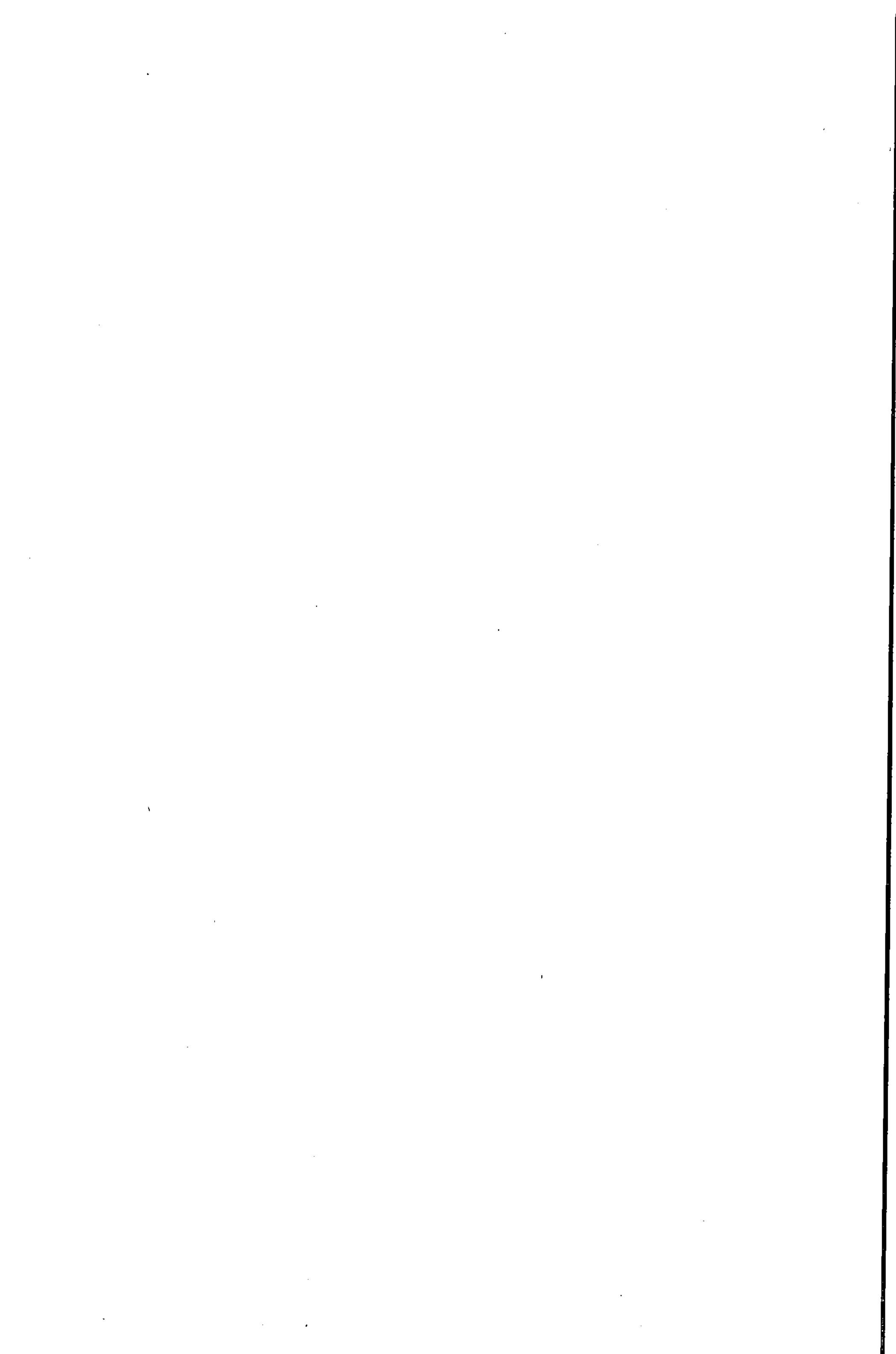
محكماً إلا بتحقيق ما يطلبهُ وجودنا والذي لا نعرفه إلا من خلال عقولنا وحقيقة طلباتَ عقولنا، فإذا أدركنا هذا وعرفناه صار واضحاً لنا أن السعادة تحتاج أن تُراعى بدقة كي تبقى دائماً قادرة على أن تُغطي حدود تعاستنا، فإذا استنفدناها كلها صارت التعاسة بلا غطاء وبالتالي برزت لنا وسيطرت علينا.

ولكي لا يقع هذا المحذور في حياتنا، فيجب علينا أن نحافظ على مقدار حصتنا من السعادة ويجب ألا نستنفدها ونضيعها من هنا وهناك ونبددها بلا عقل ولا معرفة، ولأن هذا المقدار من السعادة مجهول لنا وغير معروف عندنا فيجب علينا تجنب أمور مهمة تجنباً دقيقاً لأجل تحصيل ذلك، منها إنزال السعادة في عقولنا بمنزلة المتعة فنستمتع بأمور ونتصور أنها سعادة فهذا يسرع كثيراً من استنفاد حصتنا منها، فالمتعة هي عدوة السعادة الأولى فكلما زادت تلك المتعة زاد استنفاد السعادة كثيراً وبشكل مُطرد مع الاستمتاع، ومنها ألا نطلب السعادة كهدف وغاية ملحة وضيقة، لأن طلبها يُسارع في استنفادها كثيراً، ومنها أن نعلم أن السعادة لا يمكن حصولها أبداً في حياتنا بمختلف أشكالها وألوانها لأن الحزن هو المتجذر فينا دون غيره ولأن تحقيق السعادة في عالم مركب ومتقاطع تكاد تكون نتيجة مستحيلة.

وما يزيد من تعقيد حصولها قيامنا بأفعال لا نعلم أنها تسارع جداً في امتصاص واستنفاد السعادة كحصة لنا، لا نعرف قدرها وحجمها ولا نملك مقياساً خاصاً بها لاستشعار نقصانها فينا ولا نعرف أن هنالك أعمالاً نقوم بها مملوءة بالمتعة لكنها توصل إلى الصفر في

مقياس السعادة بطرفة عين توصل الإنسان الذي لم يفهم أن هنالك وجوداً تاماً لا يتحرك أبداً إلا بمعرفة مقدار الحزن في جوهره، والذي يلازمه بدوره معرفة حصة السعادة الحاكمة عليه والقابضة على أطرافه بقوة.

فلتحذر الناس من جهلها بقيمة الحزن في أعماقها، وليحذروا من الجهل بمقدار السعادة ونوعها التي يمكنها أن تسيطر على ذلك الحزن، فإن جهلها بهذا النوع من المعرفة سيؤدي إلى استنفاد قيمة السعادة وحصتها، فتقود في النهاية إلى الوصول إلى الحقيقة الصعبة لكل إنسان، تلك الحقيقة التي لا يجد الإنسان فيها سوى الحزن وجوداً ولا يتحقق فيها سوى التعاسة ظهوراً.



[ 83 ]

# من الذي يصنع الحصة الأعظم من مفاهيمنا ؟

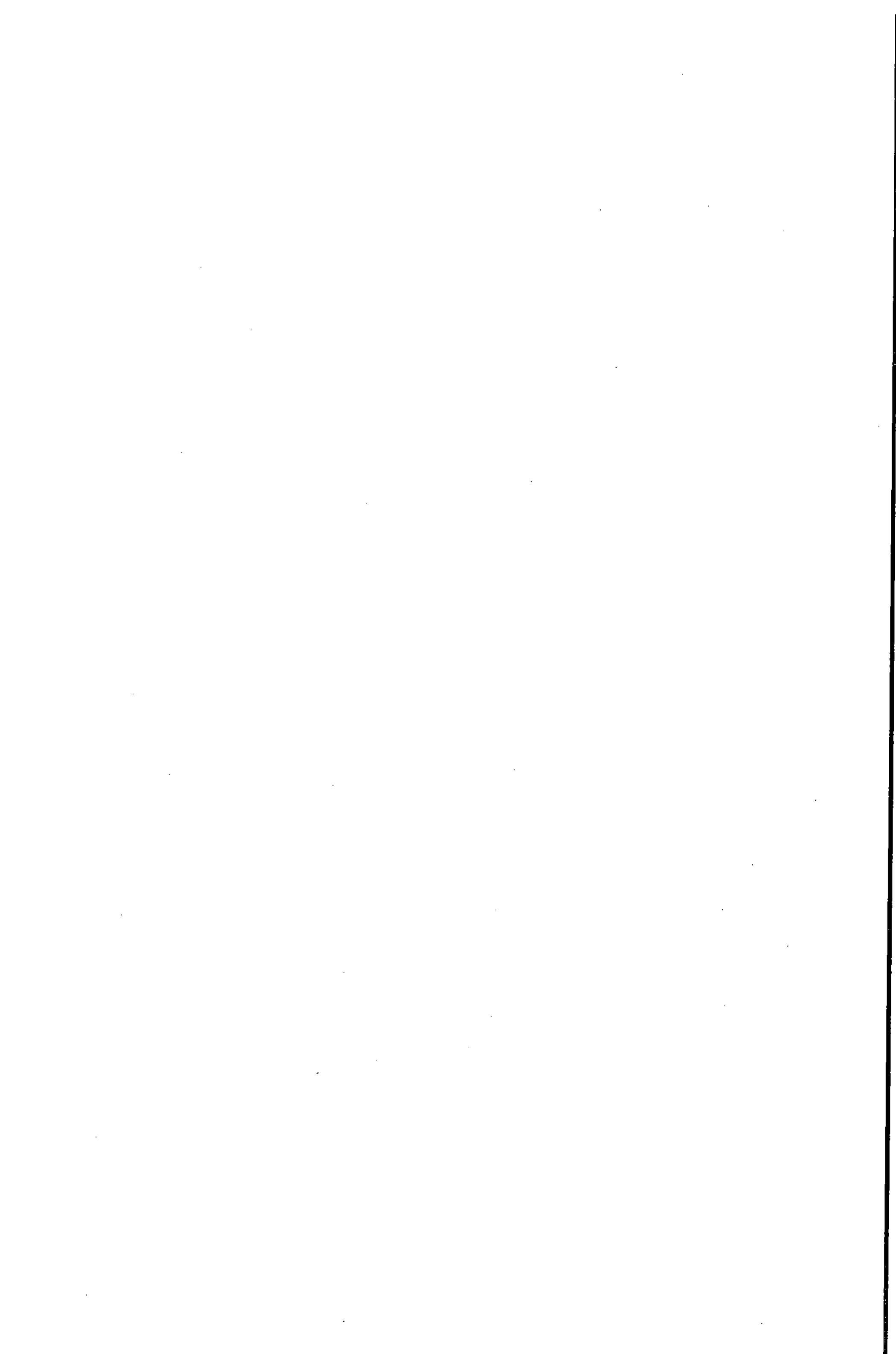
إن المفاهيم تُصنع بطرق مختلفة في عقول الناس، فبعضها يُلتقط من تفاصيل الحياة بشكل مستمر وبعضها يجد له محلاً في الذهن عن طريق فكرة أُستمع لها من شخصية مؤثرة فكرياً أو قراءة في كتاب له شهرة واسعة، وكل هذه الأشياء وغيرها تؤثر في صناعة المفاهيم التي نمتلكها والتي نجدها مترسخة عندنا وذات قناعات ثابتة في نفوسنا، إن هذه الأشياء متفاوتة من حيث درجة التأثير، فبعضها قليل التأثير بسبب ضعف طبيعته العلمية وبعضها ليس كذلك وهكذا.

وما لا يعلمه الناس أن المفاهيم المتولدة في عقولنا والمترسخة في نفوسنا وإن كانت متفاوتة شدةً وضعفاً بحسب مصدر تولدها إلا أنه يبقى لتلك المصادر قدراً محدوداً من التأثير ومساحة ضيقة من الفعل مهما كانت قوتها مقارنةً مع قوة خفية مؤثرة في صناعة الحصة الأعظم من مفاهيمنا والنصيب الأوفر من تعقلاتنا إنها قوة آبائنا وتأثيرها علينا، وآباؤنا هم الأشخاص الذين وجدنا أنهم هم السبب القريب لوجودنا في هذه الحياة وهم السبب القريب لبقائنا واستمراريتنا فيها في فترة ضعفنا وهم غالباً أول الأسباب لبداية

تعلمنا بأي شكل من أشكال التعلم، ونحن إضافة لكل ما ذكرناه فإننا نرتبط مع آبائنا ارتباطاً وراثياً متيناً متجذراً إلى أعماق مليارات الخلايا في أدمغتنا وأعضائنا بحسب تأكيدات علم الوراثة والهندسة الجينية، إذن فنحن نحمل صور آبائنا (الأب والأم وامتداداتهم) شئنا أم أبينا وهم (أي الآباء) لهم الحصة الأعظم والنصيب الأوفر على صناعة مفاهيمنا حتى وإن بدت لنا خلاف ذلك وأننا نسلك طريقاً وهم يسلكون طريقاً آخراً، مع كل هذا يبقى النصيب الأوفر والحصة الأعظم لمفاهيمنا سببها آباؤنا، نعم قد تُهذب أو تختفي تلك (المفاهيم الآبائية ) إن صح التعبير لكن هذا لا يعني أن نسبتها قليلة في عقولنا وحتى لو فقدنا جزءاً كبيراً منها فإنه سيبقى الجزء المهم موجوداً دائماً وسيعمل باستمرار في صناعة قرارات مهمة في حياتنا من دون أن نشعر أن تلك القرارات تمازجت فيها مفاهيم ذات جذور مختلفة بعضها مصدره تعليمنا وبعضها ليس كذلك.

لكن ما على الناس معرفتهُ أن آباءهم قد شاركوا معهم في قراراتهم بمفاهيمهم التي صنعوها، فإذا كان آباؤنا ليسوا بالمستوى المطلوب فعلينا حينئذٍ أن نحذر من أفكارنا ومفاهيمنا وأن نؤكد تدقيقنا عليها ومراجعتها باستمرار، فأفكارنا حقيقةً ليست سوى أفكار آبائنا لكننا لا نعلم أنها كذلك، وهذا الجهل مع بقاءه سيؤدي إلى نتائج خطيرة، إذ إن اغلب تعليمنا الذي حصلنا عليه خلال فترة حياتنا يحتاج إلى قوة إضافية فوق قوته العلمية، تلك القوة تمكنه من صناعة اتزان معرفي مع قوته العلمية ويحتاج إلى قوة إضافية أعلى من قوته الإضافية الأولى وهكذا يجب أن تتزايد تلك القوة كلما كان الأمر متجذراً أكثر في اعماق العقل.

وعليه فعلى الناس أن تعمق جذورها التعليمية ذات الطابع المعرفي العالي عسى أن يكون لذلك التعميق أثراً اتزانياً مع القوة العلمية الأبوية المتواجدة ابتداءً عندهم، فإن فقدان الناس لذلك الاتزان هو سبب خفي لفشلهم المعرفي والسلوكي والعملي في الحياة لكنهم لا يعلمون.



[ 84 ]

# اللانظام وقوة الإبداع

إن حالة الانضباط والالتزام من الحالات التي يتعلمها الإنسان منذ بداياته الأولى، فهو يتلقى تعليماً مهماً في هذا الجانب ويتعمق هذا التعليم عنده بعد دخوله إلى مؤسسة قاتلة للإبداع بمعنى الكلمة، إن تلك المؤسسات المعروفة لدينا اليوم بهوياتها المختلفة هي مؤسسات تُكثف حالة النظام وتعمقها وتزيد من كمية الخوف والقلق إزاء أي مخالفة للنظام حتى يصل الأمر إلى المبالغة في الانضباط والالتزام بالنظام إلى مستوى لا يكتفى معهُ الالتزام بالنظام فقط، بل يجب أن يكون الإنسان ملتزماً بطريقة مثالية ببرامجه وقوانينه وأي مخالفة للمثالية في ذلك النظام فهو بمثابة مخالفة للنظام نفسه، ويستمر الإنسان بهذا المستوى من التلقي والتدريب المستمر على النظام إلى سنين متفاوتة من حياته فيتقولب تفكيره بعد تلك السنين على كيفية معينة الصورة حتى يرى أن أي حالة مخالفة لذلك النظام الذي تلقاه هو خطأ فادح وجريمة كبرى.

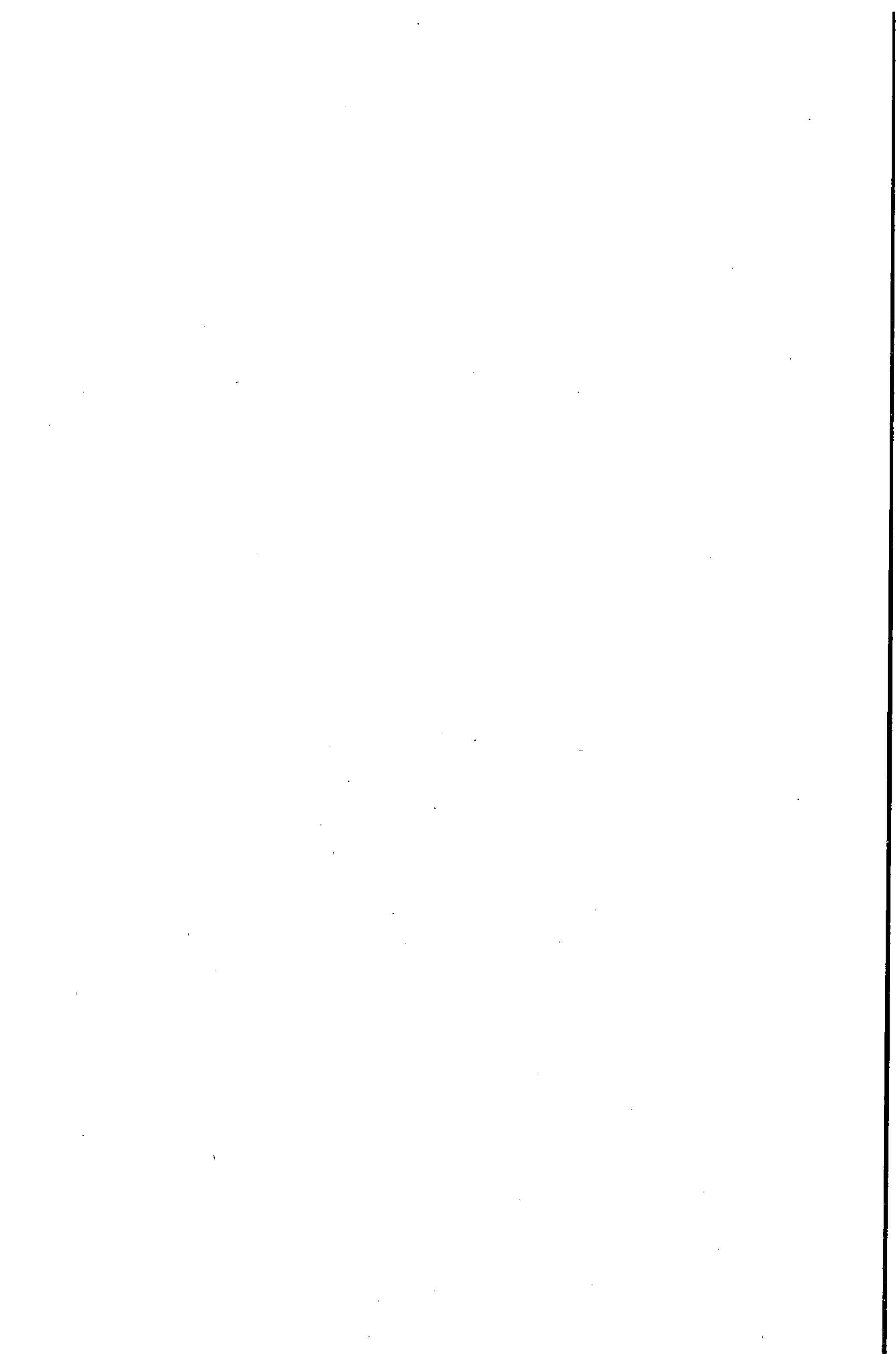
إن الإنسان يجب عليه أن يتعود النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة، فما نراه أنه نظام وانضباط فهو بالحقيقة مسطرة قياس هائلة الصرامة وضعها شخص واحد أو أشخاص يحملون عقلاً محدداً ورؤية معينة

اتجاه أشياء وفلسفات تبنوها واعتقدوا بها وأرادوا بعد ذلك توسيعها إلى غيرهم، فإذا كان النظام هكذا صار وائداً لكل إبداع يمكن أن يولد في العقل البشري ومقيداً لأي حالة نفوذ إلى ما وراء الأشياء والمعقولات، أما إذا كان النظام هو عبارة عن حالة من السلوك الإنساني ذات الأبعاد غير المقيدة للفكر والإبداع كحالات النظام المتفق مع البناء الإنساني والنظام المتفق مع الذوق السلوكي فهو غير ضار أكيداً.

لذا فإنه يمكن القول أن حالة النظام بالصورة المؤدية إلى صناعة المسطرة العلمية القاسية هي حالة خطرة ويجب استبدالها بحالة اللانظام لحدوده وقيوده إذا كان قصد الإنسان النفوذ إلى مسافة أبعد من البعد الفكري التقليدي، وإذا أراد الإنسان صناعة الإبداع فربما يجب عليه وفي لحظات فكرية معينة إيقاف التزامه وانضباطه بالنظام، وإذا كان هذا الأمر مستحيلاً عليه أو بعيد المنال عن تحقيقه في الوقت الراهن فلا يمنع ذلك من إيقافه على مستوى التعقل المؤقت الدوري، لكن مع الأخذ بنظر الاعتبار أن ذلك التعقل لابد أن يكون مدعوماً بخيال يتجاوز كل حدود النظام والانضباط العلمي.

إن الإبداع ليس سوى تجاوزاً لحدود المعرفة الاعتيادية، وهذا التجاوز لن يتحقق مادام هنالك نظام يرسم المعرفة ويحدد معالمها الصورية، إن عقل الإنسان الذي يعمل بأسرار كبيرة لن ينفع معهُ إجباره على نوع محدد من كيفيات تلقي المعرفة، لأن تلك الأنظمة العقلية ستجعل كل شيء في عالمها الداخلي والخارجي يتحرك وفقاً لذلك النظام الصارم.

إن هذه الأنظمة الصارمة غير القابلة للتداخل الإبداعي هي السبب الخفي الذي جعل الحياة صارمة وشديدة على الناس، فإن صرامة الأنظمة التي استعملوها مع العقل قد صنع جيلاً صارماً في حقيقته العقلية وشديداً في حياته الواقعية.



[ 85 ]

# قبائح أعمالنا سبب لإحياء الماضي السيء في عقولنا

قبائح الأعمال من الأمور التي تُحاصر الناس في كل زمان ومكان، فهي تطاردهم أينما حلوا وارتحلوا أو بعدوا أو قربوا، وما ذلك إلا لأنها متجذرة في الأعماق الداخلية للناس ليس بصفتها رذائل وخطايا كما تصنفها بعض التوجهات الفكرية فحسب لكن بصفتها متطلبات ورغبات غير منضبطة وغير مسيطر عليها للنفس البشرية فهي (أي الأعمال القبيحة) متغيرة تبعاً لأفكار وفلسفات الإنسان، فالأعمال القبيحة ليست أشياءً حُسم أمرها سلفاً وتم الاتفاق على معالمها ابتداءً ولو كانت كذلك لما وقع هذا الاختلاف الواسع بين أفراد النوع البشري ولما حصل هذا التنافر والتقاتل على طول الخط التاريخي لمسيرتها ولوجدنا الناس في وضع مختلف كثيراً، لكن لا ندري هل سيكون وضعهم أفضل أم أسوء مما هم عليه الآن؟ فالأمر بصورته التنظيرية ليس بالضرورة أن يكون متفقاً مع نتائجه بعد التطبيق.

إذن فقبائح الأعمال هي تطبيق لأفكارنا وفلسفاتنا اتجاه التنوع الحياتي المختلف تارة والمتشابه أخرى، ولأن أفكارنا مختلفة

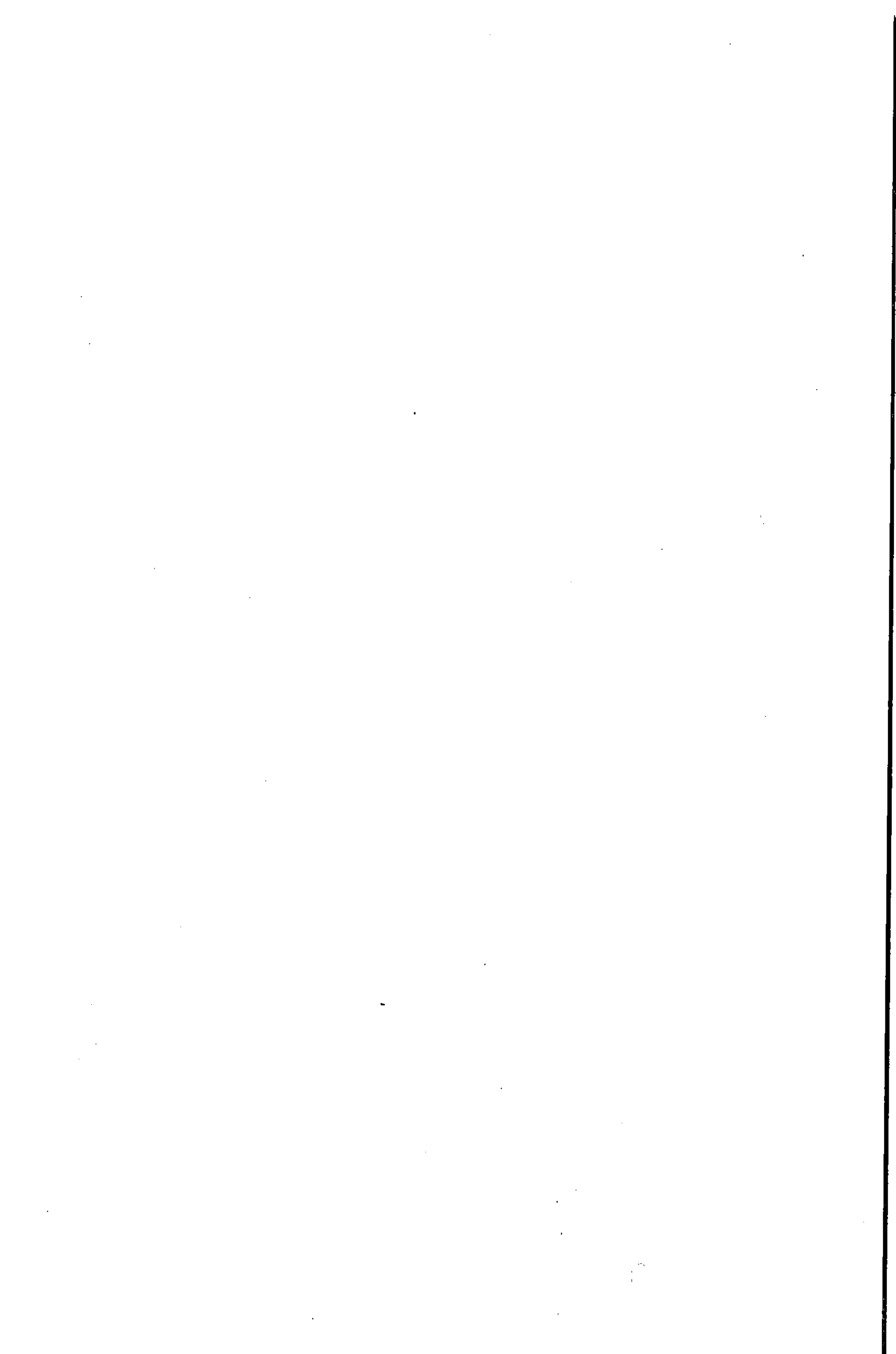
والتنوع الحياتي ليس على وتيرة واحدة دائماً صارت تلك القبائح ليست قبائحاً عند عقل بشري معين وهي كذلك عند آخر، وعلى كل هذه الصور المتنوعة فإن للقبائح قوانينها الخاصة الثابتة مهما تغيرت الفلسفات والأفكار في تحديدها ورسم معالمها، فهي تبقى ذات تأثير واحد تقريباً عند الناس الذين حسموا مسبقاً القبائح في تفكيرهم بالكيفية التي اقتنعوا بها وأقروها، إذ إن تلك القوانين لا تحتاج كي تعمل إلى التعامل مع حقيقة الأشياء بل يكفي لعملها قناعة العقل بها أو قناعته بمعنى أدق بتصنيفها، فهكذا قوانين إنما تتعامل مع قناعات العقول لا مع تحقق الأشياء واقعاً.

إن القبائح تؤدي بعد ارتكابها من قبل الناس إلى تحجر فكري كبير ورجوع قهقري في الأفكار بحيث أن العقل الذي هو قوة انفتاحية بطبيعته سينغلق بعد ارتكابه لها بشكل كامل أو شبه كامل، ربما يكون أحد أسباب ذلك هو محاولة التبرير والعناد التي تعقب ارتكاب تلك الأعمال، فيكون العقل محكوماً عليه مسبقاً بتلك النوازع النفسية ومقهوراً تحت توجهات تلك القبائح الافتراضية.

وأهم أشكال التحجر الفكري التي ترافق وتزامن ارتكاب الأعمال القبيحة هو التمسك بالمفاهيم القديمة مع رفض التجديد، فهذه أهم نتائج ارتكاب تلك الأعمال تمسكاً عنيداً بغض النظر عن أحقيته أو صحته، والتمسك بأفكار الماضين والذي هو اشارة ملفته للنظر تعقب ارتكاب الأفعال القبيحة قد يكون سببهُ التبرير المفتعل بأن تلك الأفعال كانت ترتكب بشكل طبيعي عند كبار القوم وأن الآباء والأجداد لم يجدوا حرجاً في قبولها وفعلها، وما يجب

على الناس معرفته أن ارتكابهم للأعمال القبيحة سيقود إلى نتيجة خطيرة مفادها إحياء تراث مات واندثر منذ فترات زمنية طويلة، وإن إحياء ذلك التراث المندثر جاء بسبب تلك الأفعال القبيحة، كما إنهم يجب أن يعلموا أنهم لو تحسروا على تراث مات وأندثر فعليهم أن يراجعوا أنفسهم، لأن تحسرهم هذا علامة مؤكدة على ارتكابهم لتلك الأفعال القبيحة، فإن مرتكب الأعمال القبيحة يؤدي إلى تغيير خارطة تفكيره ذاتياً وبطريقة لاشعورية منه باتجاه الماضي، فيبدأ ذلك الفكر يستذكر أموراً باتت مندثرة وزائلة فيُعاد تهييجها في أعماق عقله المشتت غير المسيطر عليه، فإن الأعمال كلماً ازدادت قبحاً زاد معها انعدام قدرة السيطرة على العقل فضلاً عن القدرة على فهم أسراره الكبرى، فهذا الأمر لن يحصل أبداً ما دامت الأعمال القبيحة هي الحاكمة على السلوك.

لذا يجب على الناس أن تتحرك بحركتين مهمتين، أحدهما: معرفية تتمثل في إتعاب النفس لرسم حدود تعريفية صحيحة لقبح الأعمال، والثانية: فعلية تظهر بتطبيق تلك الحدود التعريفية والانضباط الشديد مع النفس في تطبيقها، فلو حصل الأمر بهذا المستوى حصل معه اكتمال الصورة العقلية، وعندها سيموت الماضي بجزئه السيء تدريجياً في العقل الإنساني موتاً أبدياً لا رجعة فيه، فالماضي لن يحيا في عقولنا إلا بقبائح أعمالنا.



[ 86 ]

# هل أنستنا العلوم الحديثة إنسانيتنا ؟

الخيال العلمي وإن صار بعضه حقيقة في زماننا فهو لا يمثل انتصاراً ساحقاً للنوع البشري، فإن ما يحرك مشاعرنا الإنسانية كثيراً ويرقرق دمعة كبيرة في عيوننا ليس فهمنا لنظرية طبيعية معينة بكل تفاصيلها التحليلية والرياضية، بقدر ما تحركنا الصورة الإنسانية الممزوجة بين طيات تلك النظرية، فإن العقل البشري وإن كان يستفيد من اكتشاف الأبعاد الجديدة للأشياء لكنه مع ذلك لا يحرك مشاعره فهم فلسفة الزمان والمكان مثلاً أو دراسة التواصل الواقع مع عالم ثلاثي الأبعاد من خلال عالم خماسي الأبعاد أو غيره من الأمور المثيرة والغريبة في العوالم الكمية المتناهية في الصغر، بقدر ما يحركه أن يشاهد الابن قد بلغ سن الشيخوخة بينما لا يزال الأب شاباً مفعماً جسدهُ بالحيوية وعقله مملوءاً بالقيمة الإنسانية المحترمة (كما في بعض تقريبات النظرية النسبية)، إن هذه الصورة وحدها هي التي تحرك مشاعرنا الإنسانية وتثير عقولنا في هكذا مجال علمي.

إذن فالإنسانية حاكمة علينا نحن البشر حتى في نظرياتنا العلمية التي هي خلاصة عقولنا ومسيرتنا الاستكشافية الطويلة، لكننا لا نعلم ماذا نريد وماذا يجب أن نعرف، ولا ندري أن الحل الذي

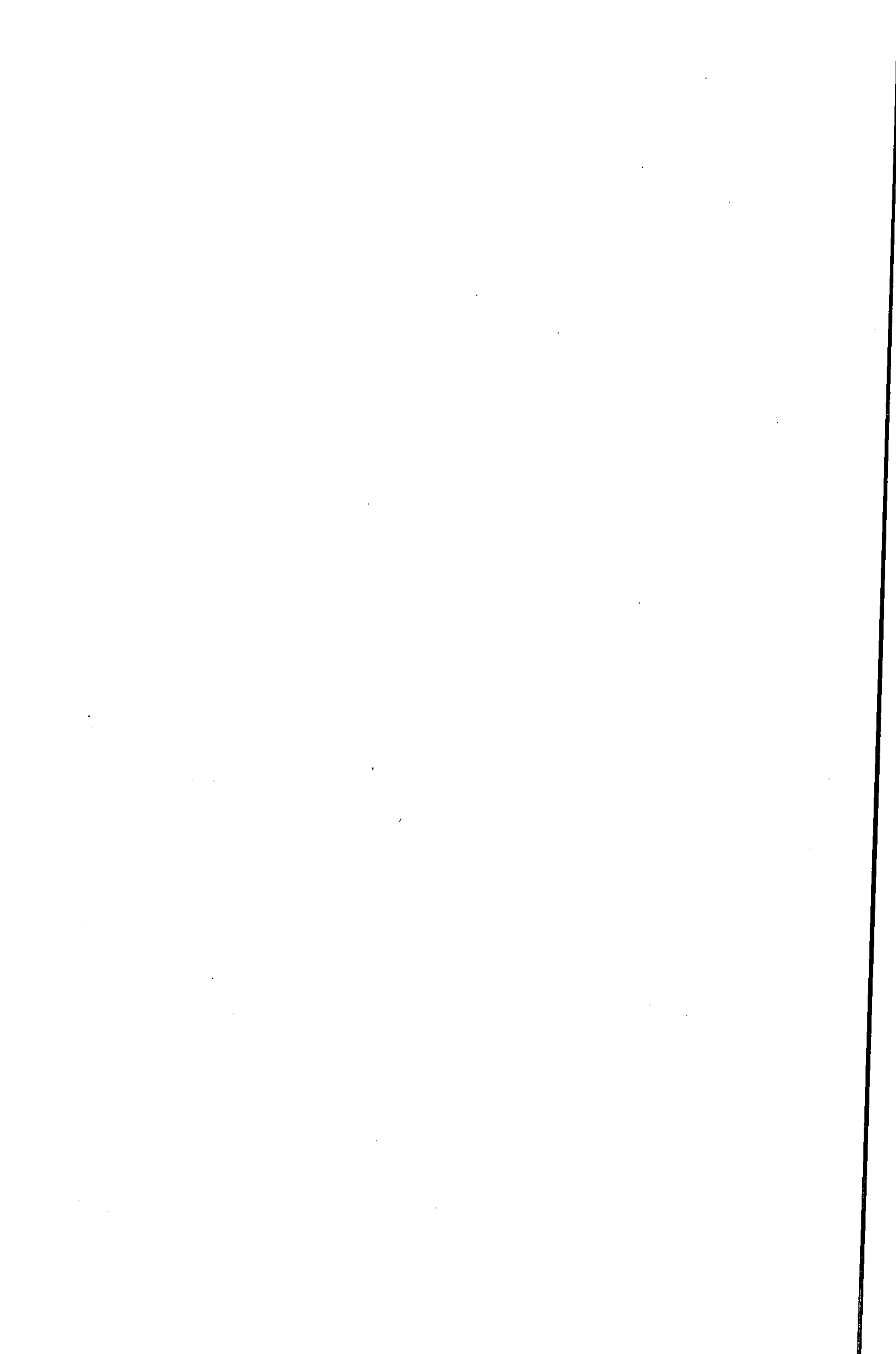
ننشدهُ بلهفة ليس في الفضاء البعيد أو الثقب الأسود إنما الحل تحت أقدامنا لكننا لا نراه، إن عدم رؤيتنا للمفاهيم والقيم القريبة من وجودنا ومن عقولنا تكمن أهم أسبابه في الضوء الخاطف للأبصار والبريق اللامع لعلوم اليوم المعاصرة التي قدمت للناس أجوبة مهمة لأسئلة كبيرة، لكنها كانت تأخذ منا مقابل تلك الحلول ما هو أعظم منها، فهي منحتنا التفكير العميق لكنها أخذت منّا التعقل العميق، ومنحتنا العبقرية لكنها أخذت منّا الحكمة، ومنحتنا التدقيق والتحقيق بالدليل العلمي، لكنها أخذت منّا الصدق في التحقيق والسلوك، ومنحتنا صورة مبهرة للإنسانية لكنها أخذت منّا جوهر تلك الإنسانية وروحها السامية.

نعم العلوم الحديثة أعطتنا ومنحتنا الكثير لكنها أخذت الأكثر والأعظم وهذا الأمر لا يعلمه الناس، لا يعلمونهُ لأنهم يعجزون عن فهم كل ما يتعلق أو يحيط بتلك العلوم ويقفون بانبهار أمام تعقيدات ورموز وألغاز المعادلات الرياضية والتأسيسات العلمية، يقفون بعجز وتقديس وتعظيم لأولئك الناس الذين كتبوا كل هذا وأسسوه وهذا أمر جيد، فهم يستحقون درجة من درجات الاحترام تدين به البشرية لهم لكنه يجب أن يكون موزوناً ومنضبطاً، لأن عدم انضباطه يسبب للناس عدم أتزان نفسي بين تلك العلوم وبين إنسانيتها، فلابد أن تتنبه الناس إلى ضرورة إحياء إنسانيتها بكافة الأبعاد، وأهم تلك الأبعاد هو تحجيم تلك العلوم في عقولها لتحيا إنسانيتها والانضباط المعرفي في التعاطي معها.

فالإنسان ليس كائناً عقلياً مجرداً وليس هو آلة لإنتاج الصياغات

الرياضية المعقدة باستمرار لتكون هي أعظم إنجازاته في حياته، إن الإنسان في حقيقته هو كتلة صادقة من المشاعر يجب أن يحافظ عليها بأقصى ما يستطيع من المحافظة وبأقصى ما يطوله من الحكمة، وهذه ليست مهمة أفراد قلائل بل هي مهمة جيل كامل.

فيجب أن تعلم الناس أن تلك العلوم الحديثة تنطوي في داخلها على فراغات كبيرة وتفتقد في كثير من الأحيان لوضوح فلسفة المنهج، وهي لا تملك حصانة متينة أمام فلسفة العلم لكن الناس لا تعلم بكل هذا، فإن كل ما تُجيده الناس هو الانبهار غير المبرر، وهم لا يعلمون أن ذلك الانبهار قد أنسانا إنسانيتنا، ويكفي للقارئ أن يراجع المواقف اللاإنسانية لبعض رموز تلك العلوم ليقف مندهشاً كيف لفكر خلاق بذلك المستوى أن يفشل في أبسط القضايا الإنسانية الدقيقة، لكن كيف ستعرف الناس تلك النفوس التي أخفقت إنسانياً وهم لما يعرفوا أنفسهم بعد.



[ 87 ]

## ماذا إذا تغيرت حياتنا فجأة ؟

الناس تميل إلى الاستقرار والثبات في الحياة، وتميل إلى أن تكون التغيرات في الحياة غير فجائية لما في المفاجأة من قوة الصدمة عموماً، وتزداد تلك القوة إذا كانت مؤلمة بشكل خاص للناس وجارحة لمشاعرها، وحتى على فرض عدم وجود المفاجأة وبقاء التغيّر، فإن التغيّر التدريجي لا تميل إليه الناس عموماً، إذ إن ثبات الأشياء الجيدة هو أحد أهم طموحات الناس وأهدافها، وأحد أهم الغايات في حياتها هو السعي لتكثير تلك الأمور الجيدة والمحافظة على ما أحرزته منها، والجهد في سبيل تحقيق ذلك لا يراه الناس جهداً مزعجاً أو متعباً بل هو بذاته متعة وسعادة، كل هذه الأشياء بظهورها وخفائها ومرارتها وسعادتها تعكس فلسفة الناس اتجاه التغيرات في حياتها.

لكن مع كل هذه الحسابات التي تحسبها عقول الناس والتخطيط الذي ترسمهُ للمحافظة على تلك الأمور الجيدة، تتفاجأ الناس بين الحين والآخر بحصول تراجع في حياتها، ذلك التراجع يقع بلا سابق إنذار وبلا مقدمات، وإن تلك التغيرات تبدأ بالحصول تدريجياً وتبدأ حينها حياة الناس بالهبوط شيئاً فشيئاً بأي شكل من أشكال النزول

والهبوط، ذلك الهبوط يخيف الناس ويقلقها، لكن ما على الناس فعلهُ بعد تراجع حياتها فجأة أو طروء تغيرات مزعجة ومقلقة عليها هو استبدال أشكال الثقافة التي تتعاطى معها حياتها اليومية كنوع الكتب التي تقرأها أو نوع الأخبار التي تتابعها، علينا استبدال كل ذلك فهي سبب مهم في تغيير حياتنا من دون أن نشعر، بل أوسع من ذلك، وليس غريباً أن تستبدل الناس حتى نوع الأعمال الصحيحة التي تمارس بعضاً منها، فإن تلك الأعمال وإن كانت كلها لها صورة العفة والطهارة والكرامة لكنها متفاوتة في تأثيرها على فاعلها بطريقة غامضة لا يمكن ضبطها بقانون علمي واضح.

[ 88 ]

# ما يخيفنا هو سبب نجاتنا

علينا ألا نخاف من تقلبات الحياة التي نعيشها وإن بدت لنا أنها محكومة من قبل البشر أصحاب السلطة والجاه ومقصورة تحت وطأة الأمراض والحروب، إلا أنها ليست كذلك حقيقةً ولو كانت كذلك لما تبدد الخوف من نفوسنا بعد مدة من اعتصارها به واضطرابها بسببه، إذ إن مجرد النظر بعيداً إلى أفق أوسع وأمل بعيد سيجعلنا نعلم أن هنالك شيئاً آخراً يتحكم في الأمور غير ذلك الذي يخيفنا، يتحكم فيها بدرجة واسعة، ولو كانت الأمور كلها بيد الناس بكل ما يحملونه من شرور وعُقد نفسية لما هُزم أولئك الأشرار في التاريخ، ولمات جميع الناس بسبب الأمراض والحروب.

لكن الناس مع ذلك بقوا واستمروا في البقاء رغم أن الحسابات النظرية للفكر البشري توعد الإنسان بوجوب انهيار جميع الحضارات وانقراض الجنس البشري بالكامل وزوال كل متعلقاته، إن الأمراض والحروب والعقد النفسية للناس ليست سوى نتائج طبيعية لوجودنا في هذه الحياة المركبة من أمور كثيرة مع تعقيدات السلوك وتعقيدات النفس البشرية، والناس والكائنات بتنوعها وإن كانت ضحية لها إلا أن الإنسان بفكره استطاع تحجيمها وتضييق آثارها، لكن ما يجب

علينا معرفتهُ أن تلك الأمراض والحروب وشرور الناس والخوف والقلق كانت أقوى من الفكر نفسه، لأن الفكر مهما أوتي من قدرات إلا أنه في النهاية سيبقى عاجزاً أمام تلك التحديات الهائلة، إذ إن شرور الناس والأمراض والحروب تجعل الإنسان يتخلى عن تفكيره المحدود لا إرادياً، لأنه يعلم أن ذلك التحدي أكبر من الفكر نفسه.

لكن ما يجب على الناس معرفته أنه إذا حصل عنده هذا الأمر الكبير ظهرت قوى أخرى في الإنسان فصارت هي المنقذة لهُ، منقذة له ليس بالطريقة الاعتيادية للإنقاذ بل بطرق تُعتبر ابتكارية للعقل البشري، فهي لا تستعمل فلسفة السبب والنتيجة بقدر ما تستعمل فلسفة الوجود وغاياته وأهدافه كحلول جذرية لتلك المشاكل الكبرى، وما كان لتلك الحلول أن تكون موجودة لولا الخوف الذي تولد فينا ووجد في أعماقنا فصار هو سبب نجاتنا، لكننا لم نكن نعلم بقيمة ذلك الخوف وما يستبطنه في أعماقه من قوة النجاة.

إن ذلك الخوف الذي تعرض له الإنسان وإن كان في التصور الأولي للعقل يمثل نتيجة سيئة بالنسبة له، إلا أن الخوف في حقيقته يمثل صورة أخرى تختلف عنه في الأعماق الإنسانية، فالخوف ليس سوى حالة استنجادية تؤدي إلى صناعة السكون الداخلي الاضطراري، ربما تكون هنالك بعض التفسيرات الفسلجية الخاصة بآلية عمل الدماغ البشري إلا أنه يبقى تفسيراً بحاجة إلى أساس فلسفي يَتكئ عليه، لأن تعامل الإنسان معه بهذا المستوى الضيق من دونه هو تطبيق له وتحجيم للمعرفة بطريقة غير مرضية.

إن العقل حين يمر بحالة الخوف لا يتعامل الوجود معه إلا

بكيفية تتجاوز حالة الفزع إلى أبعد منه، فمشكلة الناس أنها لا تسمح للوجود بالاستمرار في حركته نحو أعماق الخوف العقلي، وبالتالي لن تفلت من أسبابه لأن أسبابه ستكون مميتة حينئذ، وما يجب على الناس فعله في هكذا حالة هو أن يعلموا أن الخوف يستبطن في داخله النجاة، فقط على الناس أن تترك الوجود يسري مع خوفها ولا تعارضه بالالتفات إلى أسبابه، فإذا فعلت فعندها تكون النجاة قريبة منها، لكن هذا الأمر لن يحصل إلا بعد فهم هذه الفلسفة ومن دونها فإن الخوف غالباً ما يقود إلى تحطيم كل سبيل محتمل للنجاة، يحطمه بلا رحمة منه أبداً.

[ 89 ]

# كلما ارتفعت الأشياء
# قلت نسبة الشك فيها

الأشياء من حولنا تختلف في تأثيرها علينا، فبعضها يؤثر علينا لدرجة أننا نشعر أن الحياة من دونه تكاد أن تكون مستحيلة، وبعضها يؤثر علينا بدرجة أقل وهكذا، وهذا التأثير وإن كنا ندركه بعقولنا ونتلمسه بتأملاتنا ألا أن ذلك الإدراك لا يكون مرضياً لوحده أحياناً، فإن الاكتفاء بالتأثير مجرد التأثير لا يكفي، إذ إن بعض تلك الأشياء من حولنا تؤثر في تفكيرنا وفي تحديد جهة تفكيرنا من دون أن نشعر بذلك، فإن جهة التفكير قد تكون واضحة أحياناً للعقل الإنساني وهي ليست كذلك في كثير من الأحيان، فالإنسان لا يستطيع أن يميز إلا ما ندر أن هنالك أشياءً من حوله تثير عنده قوة الشك وتحفز تلك الأشياء تلك القوة باستمرار، وبالمقابل توجد أشياء من حوله أيضاً تحفز عنده قوة الحقيقة الخالية من الشك.

ويجب أن يعرف الناس أن تمييز تلك الأشياء ليس أمراً ميسوراً بالمرة ويجب أن يعرفوا أيضاً أن الأمر لا يحصل بتأمل بسيط لمعرفة تلك الأشياء وقيمتها التأثيرية من ناحية الحقيقة والشك، بل هو بحاجة إلى دراية عالية وخبرة واسعة بمفهومي الحقيقة والشك، هذا

من جهة، وبالأشياء التي من حولنا من جهة أخرى، عندها نستطيع أن نميز بين تلك الأشياء، لكن مع ذلك يمكن التأسيس بشكل عام أن الأشياء مهما كانت صورتها وطبيعتها فهي ترتبط بعلاقة وثيقة مع الفكر، وكلما كانت تلك الأشياء مبتعدة ومرتفعة عن الفكر صارت غير مرصودة ومستهدفة من قبل قوة الشك، إذ إن تلك القوة إنما تحتاج إلى دائرة الفكر حتى تتولد وحتى تستطيع أن تؤثر فينا تأثيراً كبيراً، لكن إذا حصل العكس من خلال إبعاد الأشياء عن تلك الدائرة فإننا لن نحصل على الشك أبداً ولن نحصل سوى على حقيقة خالية من الشك، إذ إن ما يعتمد عليه الفكر سيكون حينئذ غير موجود.

إن الناس لا تريد أن تبحث أسباب حصول الشك اللحظي عندها، هي تشك فيما تريد أن تشك فيه وترفع الشك بالكامل عما لا تريده، هذا وإن كان سلوكاً خاطئاً وظالماً من قبلهم، إلا أن هنالك حقيقة كبرى تختفي خلف ذلك السلوك المجحف من قبل الناس أنفسهم، وهي أن شك الناس اتجاه الأشياء يعني أن تلك الأشياء لم ترتفع إلى مستوى لا يطالها الشك فيه وهذه حقيقة أكيدة، فالأشياء لن يطالها الشك كلما ارتفعت عن الفكر ومنظومته، وما يحصل من شك اتجاه الأشياء المرتفعة ليس شكاً أبداً، إنما هي انفعالات نفسية تتوسط الشك وتتوسل به لتحصيل غايات محددة ومقصودة.

وما على الناس معرفته هو أن ترقى بعقولها إلى مستوى اكتشاف تلك الأمور العالية لتستطيع بعدها تمييز الأشياء بدقة، وارتقاء العقول اتجاه تمييز الشك يحصل بمعرفة ضده وهو العلم بالأشياء واليقين فيها، فإن الإنسان الذي يكثر استعماله لقوة العلم واليقين يستطيع أن

يُميز الشك من غيره بسهولة، كل ما يحتاجه الإنسان هو أن يتعاطى مع العلم في أعماقه بكيفية خاصة اتجاه كل شيء حوله، أما الشك فيجب على الإنسان رفعه من عقله تماماً، فالشك لا وجود له إلا في حالة فقدان العلم من الوجود فإن انفصالهما هو الشك، فارتفاع الأشياء يعني ارتفاع الترابط بين العقل والوجود وعندها سيظهر ذلك الشيء الذي نسميه الشك.

لذا فإن ما على الإنسان معرفته أن العوالم العقلية العليا خالية من الشك مطلقاً، ولا يوجد فيها سوى العلم وجوداً واليقين بقاءً.

[ 90 ]

## متى يكون الموت أفضل خيار يقدمه الوجود لنا ؟

كيف يتسنى للإنسان أن يشعل الحروب ويرسم ويخطط وهو مقهور تحت قبضة الزمن، ألا يرى أن كل شيء يمضي ولا يبقى له وجود، ألا يرى أن أعمارنا التي قضيناها إلى لحظة كتابة هذه الأسطر لم تكن ذات معنى وليست ذات شأن، كم حرقنا من طاقاتنا الفكرية والروحية على أشياء وتحسرنا على غيرها، لكن الآن وبعد مدة ليست بالقصيرة صارت معدومة القيمة.

متى يعرف الإنسان ومتى يتعلم أن هنالك فلسفة لا ترحم الموتى والنائمين، تلك الفلسفة أسمها فلسفة الزمن وقاهرية الزمن، ولأن الإنسان غالباً لن يستيقظ حتى لو قرأ عشرات من هذه الكلمات التي يكتبها الإنسان نفسه، فالأفضل له أن يموت فلعل الموت يوقظهُ، فإذا عرف الناس هذه الفلسفة سيعرفون لماذا يموت البعض ولماذا يستمر في الحياة البعض الآخر، فليس الموت سوى أفضل خيار لأفكارنا وسلوكنا يقدمه الوجود لنا.

إن الوجود هو أفكارنا ببساطة إذ إننا لا نمتلك سوى أفكارنا اتجاه أنفسنا واتجاه الأشياء، والموت هو نهاية لكل نشاطاتنا وفعالياتنا،

والموت والوجود وإن بديا للناس أنهما متعاكسان ومتقابلان إلا أنهما ليسا كذلك حقيقةً، فالوجود الذي هو ليس سوى أفكارنا سيتحرك في لحظة معينة باتجاه مخالف لحركته المعتادة على طول الحياة، وهذه الحركة الجديدة هي ما نسميه الموت الذي هو ليس سوى أفكارنا، والتي هي بدورها ليست سوى الوجود.

فالموت هو تغيير في اتجاه تفكيرنا تغييراً يسبب حالة من تغير شكل الوجود وصورته، ولكن ما يجب علينا معرفته أن تلك اللحظة التي يقرر فيها الفكر تغيير اتجاههُ ستكون هنالك لحظة ذات ارتباط وثيق وشديد بالزمن وفلسفة الزمن، إذ إن نظرة عقولنا اتجاه الزمن هي من سيتحرك اتجاه التفكير ليختار صورة الوجود الجديدة الموافقة له، وعليه سيظهر لنا ما نسميه الموت أو الاستمرار في الحياة.

فالناس لا تعلم أن الوجود يقدم لنا دائماً أفضل الخيارات لكننا نرفضها ونختار غيرها، الناس تلتقط خياراتها وفقاً لرغباتها ووفقاً لاحتكاكاتها مع العقول الأخرى، فصارت عقولها مشغولة مشتتة بين تلك الرغبات والأفكار التي هي ليست أفكارها ولا رغباتها لكنها رغبات غيرهم وأفكار غيرهم، والتي هي بدورها ليست كذلك إنما هي توافقات ظهرت في لحظات زمنية ظرفية خاصة يفتقد الإنسان المعرفة في مناسبتها للوجود فعممتها العقول لكل الوجود ووسعتها لكل الظروف، والموت من الأمور التي تعامل معها الإنسان ليس بعقله ولا بخيار الوجود له بل تعامل معها بعقل لا يملكه ووجود لا يفهمه، تعامل مع الموت كسبب للخسارة ونسي أن الوجود لا يوجد فيه خسارة، وتعامل مع الموت كعدم ونسي أن الوجود ليس عدماً

ولا يوجد شيء اسمه العدم، وتعامل مع الموت أنه النهاية ونسي أن الوجود ليس فيه نهاية، وتعامل مع الموت على أنه خوف من المجهول ونسي أن الوجود كله معلوم للعقول وما يمنع معرفته هو موت تلك العقول وتحطمها.

فالموت خيار جميل يُقدمه الوجود لنا فقط علينا أن نسير مع حركة الوجود ونجعل عقولنا متفقة مع عقله، عندها سيكون الموت أفضل خيار سيقدمه الوجود لنا، كل ما في الأمر أن مجرد أي تغير صغير خاص لحركة عقلية في اعماقنا ستجعل الوجود يقدم لنا أجمل هداياه التي لا يعرف الإنسان جمالها إلا بتذوقها.



[ 91 ]

# موارد الحقيقة هي عينها موارد النصر

النصر هدف منشود يطلبهُ الجميع، يؤثر في نفوسنا ويحركنا نحو المستقبل، يجعل أحاسيسنا مرهفة أحياناً وشرسة أحياناً أخرى، هو يعلمنا كيف نحب ويعلمنا كيف نتعامل مع الآخرين، هو يعلمنا كل شيء تقريباً، كل هذا موجود في النصر، موجود في أعماقهِ التي لا نراها هو يلهمنا أن نكون أقوياء ويحركنا نحو قوتنا من دون أن نعلم ما هي وكيف هي لكنه في النهاية يحركنا، لكن ما لا يعلمه الناس أن ذلك الشيء الذي نسميه النصر وإن كان متوفراً فينا ومتحققاً في أعماقنا إلا أنهُ ليس مفهوماً عندنا بأساليبهِ وابتكاراتهِ و مهاراتهِ، هو شيء يحتاج أن يُفهم عن قرب، يحتاج أن نتلمس عن قرب فلسفته الداخلية.

فالنصر ليس شيئاً يمكن تحقيقه بعقولنا وقدراتنا العقلية والجسدية، وهو ليس شيئاً متحركاً في وجودنا بلا غاية أو هدف، إن النصر ليس إلا حقيقة توجد في حياتنا قد توجد بلا مقدمة أو إنذار أو حركة، هو شيء يلهمنا قوة الإبداع من خلال قربهِ من الحقيقة، فالنصر ليس سوى قوة تعايشنا مع الحقيقة، وكلما كانت تلك الحقيقة مؤثرة في أعماقنا وعاصرة لعقولنا وضاغطة على

مشاعرنا فإنها ستكون أكثر مؤثرية في جلب ذلك الشيء الذي اسمه النصر وتحقيق قدرته الهائلة التي هي قوة النصر، فالنصر قريب منا قريب جداً لدرجة أننا لا نراه، مشكلتنا اتجاهه أننا لا نعرف أن مورد الحقيقة التي نعيشها يومياً ونتجنبها هي عينها مورد النصر لكننا لا نراها، وبعد معرفتنا بهذا حان الآن الوقت لنعرف أن الحقيقة لا يمكن ظهورها في العقل بسلاسة كما يتصور الناس، بل هي تظهر بلحظات خاصة ربما أهم تلك اللحظات لا يمكن لمسها ولا يمكن أن نشعر بها إلا بعد تذوق الخسارة، فلا يمكن أن نلمس الحقيقة الجالبة للنصر إلا بتحقق الخسارة، فالخسارة هي بداية لمس الحقيقة وهي بداية لظهورها بشكل جلي في أعماق الأسرار العقلية، إلا أن الخسارة ليست متاحة للإنسان دائماً لينطلق منها لصناعة الحقيقة في أعماق عقله، كما أن تثقيف الناس لالتقاط الحقيقة عن طريق الخسارة هو أمر غير لائق فكرياً، لذلك يمكن ابتكار أسلوب لتحقيق ذلك وبالتالي إبداع الحقيقة المؤدية إلى النصر وهو صناعة الخسارة عقلياً بدلاً من انتظار تحققها الخارجي.

إن الخسارة لا يمكن صناعتها في أعماق العقل جزافاً بل هي بحاجة إلى زيادة فرصة عدم الرضا عن الذات وعدم القناعة بحدود الانجازات فيما لو قورنت تلك الذات مع غيرها الأكثر ارتقاءً أو الانجازات الاضخم وجوداً والأغزر ثباتاً في تاريخ الإنسانية الطويل، عندها سيعلم الإنسان حجم خسارته الهائلة وضآلة انجازاته المحدودة، كل هذا سيحصل بعد أن يهتم الإنسان بإنسانيته وأن ترتفع قيمتها في نفسه وأن يعرف أن لا شيء يستحق أن يعيش الإنسان من أجله سوى وجوده الذي يجتمع فيها كل شيء فإذا حصل

هذا، حصل معه ذلك النصر المرتقب، الذي هو بدوره يختلف أيضاً كما الحقيقة والخسارة يختلفان.

فالنصر ليس هو الغلبة التي تنشدها الناس، إنما النصر هو المحافظة على الحقيقة نقية وثابتة في أعماق العقل، فليس كل غلبة هي نصر لكن كل نصر هو غلبة، لأن الذي لا يحتفظ بالحقيقة في أعماقه هو غير منتصر أبداً وإن كان غالباً بعكس المنتصر يحفظ اسرار عقله فإنه سيغلب ولو بعد حين، فما على الإنسان سوى أن ينشد وجوده وأن يتحدث بحقيقته وألا ينتظر النصر من غير وجوده، فوجوده لو عرفه ودقق ببصيرته فيه عندها لن يتذوق طعم الخسارة أبداً.

[ 92 ]

# التعلم بلا حواس

إن من الأمور المخفية في حياتنا هو إدراك أمر مهم لابد لنا من تعلمهِ وفهمهِ جيداً، ذلك الأمر متعلق بقدرة حواسنا على التقاط الأشياء كمرحلة أولية للتعلم والإدراك، أو امكانية فهم وإدراك الأشياء من حولنا من دون هذه المرحلة الأولية في الالتقاط التي أسموها الحواس، من الطبيعي أن علماء المنطق سيجيبون بالنفي بأن تلك الإلتقاطات الحسية ضرورية وهي لابد منها لفهم الأشياء وإدراكها ومن دونها سيكون من المتعذر بل المستحيل حصول إدراك ولو أولي للأشياء من حولنا، إذ كيف سنتخيل شكل المعرفة وقد ذُكرت في بحوث مطبوعة أننا لا يمكن أن نتخيل أفكار إنسان بلا حواس، وكيف تبدو عليه تلك الأفكار بتفصيل ليس هنا محله.

لكن ما أود إثارتهُ هنا أن الإنسان يمكن أن يتعلم بلا حواس ولا داعي للالتزام بالمقولة المنقولة (من فقد حساً فقد علماً)، فإن أقصى ما يفعلهُ الحس هو تزويد فكرنا بالمعلومات الابتدائية الأولية لا أكثر ولا أقل، أما الباقي فتتولاه قوى أخرى مختلفة عن قوى الحس بكيفيتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نفس تلك الحواس إذا اختفت بعضها أو كلها فإنها ستمنع العقل من التقاط علم حسي من

جهة تلك الحاسة المفقودة، وهذا أمر لو نظرنا له للوهلة الأولى لوجدناه أمراً سيئاً، لكننا لو دققنا النظر جيداً فيه فإننا سنجده أمراً جيداً وذا منفعة مهمة، إذ إن انسداد باب العلم الحسي لحاسة معينة قد أتاح الفرصة لنا بفتح باب آخر للعلم أعمق وأعلى من العلم المتحصل من تلك الحاسة، وهو لا يعتمد على الحواس مطلقاً، وهذا العلم لا يمكن الحصول عليه إلا بخطوة التخلي عن الحواس، وهذا الأمر وإن ظهرت غرابته للناس إلا أنها تستعمله باستمرار وهي لا تعلم، بل أنها لا تستطيع أن تستغني عن (العلم بلا حواس) أبداً.

إن أي تفكير عقلي يتضمن بداخله علماً بلا حواس، وكثير من العلوم التي مارسها العقل البشري تضمنت علماً مجرداً عن الحواس كبعض التفريعات الرياضية العالية، وهذا التضمين الجزئي في العلوم وإن كان بعيداً عن جوهر وحقيقة العلم بلا حواس لأنه ينطلق من الحس أصلاً وإن أظهر تجرداً مطلقاً أحياناً إلا أنه في حقيقته ليس كذلك أبداً، إن العلم بلا حواس هو العلم الذي لا يظهر إلا حين يُفقد الحس ويختفي وجوده مطلقاً، فهو علم يتغذى على عدم الحس، أما مع وجود الحس فلا يظهر هكذا علم أبداً، إلا أنه يظهر بعد زواله وكلما تعمق زواله ازدادت فرصة ظهور ذلك العلم، وهذا الزوال يقع كثيراً مع الناس وإن كانت لا تلتفت لذلك، فهي لا تنتفع من هذا النوع من العلم، فكل إنسان وفي كل لحظة هو يعلم بحواسه بعض الأشياء وفي نفس تلك اللحظة لا يعلم أشياء أخرى.

والعلم الذي تنشغل به الناس هو العلم الذي يأتي عن طريق حواسها، فهذا هو ما يهمها من العلم ولا تلتفت إلى أن هنالك علماً

آخراً موجوداً منشأه عدم قدرة حواسها على إدراك ما حولها من الأشياء أو ضعفها أو عجزها عن إدراكه مطلقاً، فعند هذه اللحظة بالذات يبدأ ذلك العلم بالظهور والبروز، إذ إن أرضه تخضر وأزهاره تتفتح كلما أنقطع عنه ما يعيقه وزال منه ما يقيده.

فالعلم بلا حواس في حقيقته هو سيطرة على الحواس، تلك السيطرة ستكون اشبه بالمانع المفتعل الذي يصنعه العقل لمنع الحواس، وبالتالي اخراج العلم المدفون خلفها، إن التعلم بلا حواس هو قوة جبارة مختفية خلف جدار صلد التماسك شديد القوة اسمه الحواس، ومعول هدم ذلك الجدار هو العقل نفسه وقدراته اللامتناهية في السيطرة على كل ما يرتبط به.

لكن ليعلم الناس أن العلم بلا حواس بحاجة إلى أمرين، الأول ألا نشك به، والثاني أن ننميه ونطورهُ بسلوك حسّي ولا حسّي يتزامنان في آن واحد، مصدرهما السلوك ومنقيهما العقل.

[ 93 ]

# البحث عن السعادة

السعادة هدف منشود يطلبهُ كل موجود حي عاقل بطريقة أو بأخرى، ربما نفهم أحياناً بعض تلك الطرق وغالباً لا نفهمها، والسعادة رغم أنها شعور يتولد في أعماقنا فيقرن غالباً بالارتياح والسكون والطمأنينة ومتخلصاً من الألم ودافعاً له، لكنها ليست كذلك فهي مختلفة ومتفاوتة بدرجة من الدرجات من إنسان إلى آخر، فالبعض يراها متجسدة في المال وبعضها في الشهرة وبعضها بتطبيق المعتقد وبعضها في السيطرة والتسلط وهكذا، لكن في الحقيقة هي غير موجودة في كل ما ذكرناه ولا يمكن أن تكون موجودة فيها، لأن هذه الموجودات ليست إلا أشياء وظيفتها محددة وغايتها مضيقة برفع الألم النفسي أو الجسدي، والسعادة ليست رفعاً للألم بقدر ما هي رؤية جديدة له.

فإن كل ما يحصل عليه الإنسان في كل حياته لن يجعلهُ سعيداً كسعادة إعادة النظر إلى الألم وتغير خارطة أفكارنا نحوه وغيره من الهم أو الحزن أو الصعوبة أو الضغط النفسي والاجتماعي، فالسعادة كل السعادة تكمن في تغيير تلك الخارطة العقلية لما نراه ألماً في الأشياء من حولنا، ثم أن تغيير خارطة العقل لأجل فهم الألم ليس

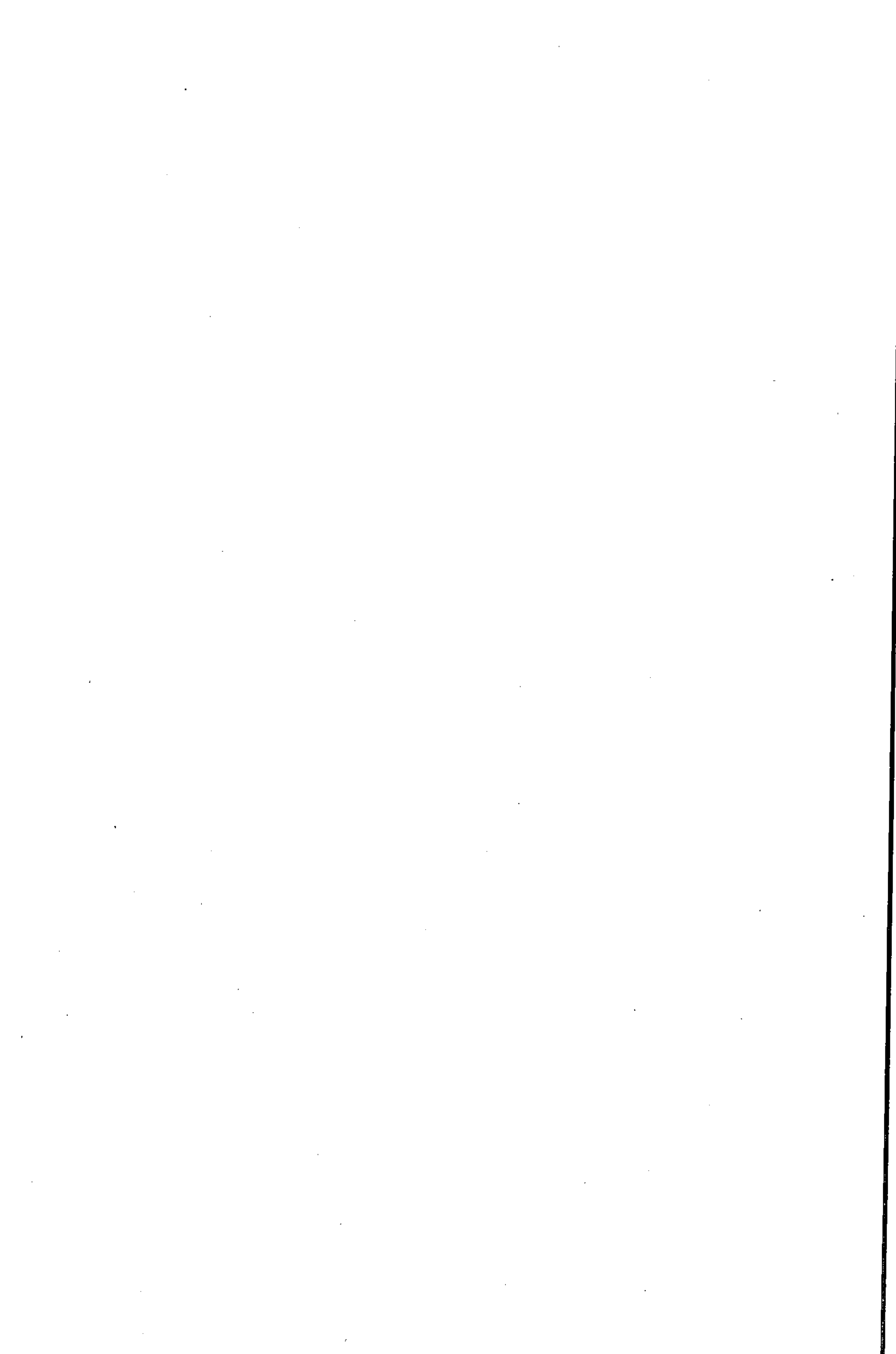
بالأمر الهين والمتاح لكل أحد، وقد يختار الناس طرقاً لذلك كثيرة لكن هي ليست موضع اطمئنان غالباً، وأفضل الطرق لتغيير تلك الخارطة يكمن في أن يصنع الإنسان استحضاراً لكل شيء جميل ومتزن، ويفهم أن كل شيء قوي ونادر فهو محكوم بقانون محدد بل بقوانين كثيرة غير محددة نتعامل مع وجودها باستمرار ونتعامل معها يومياً بل لحظياً لكننا لا نستشعرها، وحضورها بحد ذاته قوة خفية تعمل باستمرار على تغير خارطة العقل بطريقة ستجلب السعادة في النهاية.

إن تغيير خارطة العقل لجلب السعادة تحتاج إلى رياضة عقلية كبيرة، ربما أهم محفزات تلك الرياضة هو حب الوجود وحب استمرار الوجود، فهما القوتان الشديدتا التأثير على العقل لتقييم خارطته وإعادة صياغة فلسفته اتجاه السعادة كمفهوم حياتي مهم، إن السعادة إن لم تكن محسومة في عقولنا مسبقاً ستكون كل الحياة هي ترجمة لمعاناة الإنسان، وأشد المعاناة تلك المعاناة التي تحصل بعدم تحقق الخفايا العقلية، إذ إن الإنسان لم يؤذه شيء كانتظاره لتحقق الخفايا العقلية لكنها تفاجئه بعدم التحقق، أما الايذاء الأعظم فهو زوال تلك الخفايا العظمى زوالاً مطلقاً، عندها ستضطرب العقول من دون أن يعلم الإنسان باضطرابها وستندثر القوى قبل ظهورها، لكن ما يظهر منها هو السكون لحالة العقل سكوناً مميتاً وجوده مؤلم تذكره.

وعندها سيكون بحث الإنسان عن السعادة عبثاً لا طائل منه، فإذا أراد تحسين بحثه وضبط بوصلة وجهته فعليه أن يبدأ باستثارة خفايا

عقله لتظهر اسراره التي لا يعرفها بعد غيابها ولو بعد حين، حينها سيجد أن تلك السعادة التي طال بحثه عنها واتعبه سعيه في الوصول إليها قد صارت قريبة من وجودنا، فكان لاقترابها هذا ارتفاعاً عن كل انواع التقلبات وابتعاداً عن كل اختلاجات الألم.

إذ إنه لا سعادة كتلك التي تُرجع العقل إلى قيمته العليا بحفظ اسراره في أعماقه والاكتفاء فقط بتحقق وجودها خارج وجوده، وتلمس تحكمها بالأشياء بعد ترك تحكمه، لكن هذا لن يدوم طويلاً حتى تصير هذه السعادة العليا ليست سعادة بعد زيادة الارتفاع وتشديد الحصر، لكن كل شيء سينهار ولا يبقى منه شيء مطلقاً بعد غض النظر عن ترفع العقل وتنزهه عن كل شيء لا يؤدي إلى تلك النتيجة الكبرى.



[ 94 ]

# لعبة الشطرنج
# وتوهم طلب الفلسفة الكاملة

الشطرنج لعبة ربما مارسها أغلب الناس وبفترات متفاوتة من حياتهم، واستمتعوا بها رغم قسوتها أحياناً على خاسريها، والشطرنج لعبة صار للفلسفة والدين والعلم آراء فيها تذبذبت بين اعتبارها - أي الشطرنج - لعبة الأذكياء والعباقرة ومعيارا مهما للذكاء البشري، وبين منعها والنهي عنها بالمنظور الديني - في بعض توجهاته - كونها مضيعة للوقت وتأسيرا لقدرات العقل بقيود جبارة تصنعها هذه اللعبة، وهذه التذبذبية ليست هي المطلوبة منّا في مادة هذه الكلمات.

لكن ما ينبغي ذكره والتأمل فيه أن لعبة الشطرنج يمكن أن تكون طلباً غريباً للفلسفة، خاصة عند من يُتقن بعض أساليبها ويتفنن في بعض أفكارها، لكنها تبقى فلسفة محدودة صعبة الانتقال إلى الواقع الخارجي وإن كانت تتلاءم مع بعض الأشياء الجميلة، فالملك الذي هو القطعة الأهم في اللعبة يمكن أن يكون هو أفكار الإنسان المهمة أو عقائده التي تحتاج إلى أدوات لحمايتها، وتلك الأدوات لابد أن تكون متنوعة ومتفاوتة بالقوة، فأفكارنا لا يمكن الدفاع عنها بأداة واحدة بل تحتاج تنوع بالأدوات، فالبيدق في قطعة الشطرنج هو

القطعة الأضعف لكنها مهمة جداً فلا تستطيع القطع الكبيرة الحركة إلا بالفسحة التي يتركها ذلك البيدق، ونفس البيدق لو استمر في حركته إلى النهاية فإنهُ يمكن أن يتحول إلى أقوى قطعة وهي الوزير، وهكذا هي الأفكار الضعيفة ممكن أن تتحول إلى أفكار جبارة فيما لو استمرت بالحركة بلا انقطاع أو عرقلة اقصائية من قطع الطرف الآخر، وهكذا باقي القطع التي كل واحد منها يحمل فلسفة جميلة في عقل أستاذ الشطرنج كالحصان الذي يمثل صورة للفكرة القافزة المتغيرة المسار التي ليست لها ضابطة واضحة، والرخ الذي هو قطعة هادئة جداً لكنه بمجرد أن يزول البيدق الذي أمامها يجن جنونها بالكامل فتكتسح الأبيض والأسود، وهذا تشبيه جيد لأفكارنا الهائمة المحكومة بفكرة بسيطة.

لكن رغم جمال هذه الفلسفات في هذه القطع فإنها تبقى عاجزة عن الانتقال بعقل الإنسان من الرقعة المربعة إلى فضاء واسع في الفلسفة، فطلب الفلسفة من خلال رقعة الشطرنج هو طلب ناقص لا يصنع عقلاً جميلاً وإن كانت فلسفة اللعبة جميلة، إلا أن ذلك الجمال يخفي خلفهُ قسوة تتجسد في الحياة بشكل فوضى عارمة.

إن رؤية الفلسفة في قطع الشطرنج لا يختلف عن رؤيتها في كل الحياة التي حولنا، فالحياة كلها تنبض بروح الحكمة وتتكلم بلغة الفلسفة، لكن هذه اللغة يتفاوت تدرجها بحسب تواجدها وبحسب شدتها في الأشياء، لكن تبقى الفلسفة هي قوة تتمركز بشدة في المناطق الوجودية التي تجتمع فيها ثلاثة عوامل رئيسية هي: التفكر المكثف والمركز على ما ضاق من تلك المناطق الوجودية، والرمزية

الصارمة للموجودات، والفلسفة التصميمية للموجودات المرمزة، فكلما كانت هذه العوامل واضحة التأثير وكبيرة البروز في الأشياء من حولنا كانت اللغة الفلسفية في تلك الأشياء من حولنا قوية اللهجة صادحة الصوت، ربما تُفسر لنا هذه النظرة كيف اقتربت الرياضيات من الفلسفة رغم اختلاف مواضيعهما، إلا أن الرمزية الصارمة في الرياضيات على مساحة وجودية ضيقة مختصة بتجريد الأشياء وتصميمها فلسفياً بأسلوب يتكئ على المنطق الرمزي الذي يعود بأسسه إلى المنطق العقلي، جعل الرياضيات ذات قدرة على محاكات الجزء المادي بالحياة بطريقة ملفتة للنظر وإن كانت غير كاملة وهذا الذي جرى مع الرياضيات هو عينه ما جرى على الشطرنج.

وقد مال بعض فلاسفة العلم إلى تقريب القواعد والأسس الرياضية في حقيقتها إلى ما يشبهها في الشطرنج من حيث الوضع ومن حيث المنبع التصميمي لانطلاقتها الأولى، لكن مع كل هذه العوامل والقدرة على تحفيز التفكير ألا أن اعتبار الشطرنج وما يشابهه كالرياضيات ونحوه لها القدرة على صناعة فلسفة كاملة يمكن أن نفهم الحياة منها فهو أمر مبالغ فيه إن لم نقل أنه خطر في بعض مفاصله، وإن اتباعه بعد الاعتقاد به سيقود إلى فلسفة لا أظن أنها تخلو من خطورة على الجنس البشري فيما لو صارت هي المرآة العاكسة للحقيقة التي يتوسلها العقل لفهم الموجودات من حوله، لأن أفكار الإنسان فيها ستكون محكومة بشدة تحت وطأتها، وهذه المحكومية الصارمة تقود إلى قوة وجودية تتجسد بقوة الفوضى وتعقيدها تباعاً، فالإنسان فيها قد قيد نفسه بنفسه.



[ 95 ]

# الجوهر الأنثوي

يتمنى الآباء أن يُرزقوا بأولاد ذكور، وهذا أمر متعارف عندنا في مجتمعاتنا العربية نسمع بهِ ونتعايشهُ باستمرار، وأسباب ذلك متعددة ربما بعضها يرجع إلى سبب تاريخي قَبليّ قديم مما يجعل هذه المشكلة منحصرة بالمجتمعات القَبليّة بتاريخها أو سلوكها الحاضر، وبعضها يعود إلى أسباب شخصية متمثلة بحب البقاء والاستمرار في الحياة أطول فترة ممكنة من خلال الأولاد الذكور الذين هم امتداد للآباء، وأسباب أخرى ليست قليلة عدداً وإحصاءً بعضها اجتماعي وعرفي وبعضها أوسع من ذلك وهكذا، لكن النتيجة واحدة والمحصلة معروفة، فلكل مجتمع عاداته وأفكاره التي تحركهُ وتعطيه وتوقفهُ وتأخذ منه، وللبنات كذرية ينالها الإنسان في حياته متعلقات كثيرة، بعضها واضح جلي بعيوبه الاجتماعية الافتراضية، وبعضها خفي بمزاياه المعرفية الواقعية، ولأن عيوبها في مجتمعاتنا العربية القبليّة واضحة فلا داعي للخوض فيها ونكتفي بذكر ما خُفي من ميزاتها الخفية.

فالبنات موجودات تحمل قوة الأنثى والأنوثة، وهذه القوة أقوى من قوى الرجل بكثير، فهي قوة ناعمة جبارة تصمد أمام أعتى

الظروف وأشدها شريطة أن تعرف الأنثى اسرار استخدام قوتها تلك في أعماقها، فما يفشل فيه الرجل بسهولة أحياناً لا يمثل أصلاً اختباراً للأنثى، كل ما في الأمر أن تلك القوة ليست عضلية غالباً، لكنها فكرية بدرجة ممتازة وروحية بدرجة رائعة، ولأن مهامها في الحياة متبلورة بالأمومة مهما كانت مكانتها وقيمتها العلمية، فصارت تلك القوى الفكرية متجهة نحو الأبناء ومكنونة فيهم، فالمرأة الحاملة لقوة الأنوثة تعطيها لأبنائها الذكور مثلاً ليظهروا لنا بما هم عليه من قدرة فكرية ومكانة روحية وقوة عقلية عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل، وجلها قد اكتسبها وورثها من الأم التي بدورها وهبتها لهم بقوتها الأنثوية الجبارة، لكننا بضيق بصيرتنا لا نراها ونرى فقط من امتلكها وسيطر عليها وهم الأولاد الذكور، الذين هم نتاج تلك القوى الأنثوية المستهان بها في مجتمعاتنا والمختفية خلف النتاجات الجبارة لأولئك الأبطال الذين خلدهم التاريخ وعظم شأنهم.

إن قوة الأنوثة ليست سوى قوة نتجت من تمازج نقاط وجودية متفاوتة في قيمتها ودرجتها وهذا من خفايا الوجود التي نادراً ما يلاحظها العقل الفلسفي، فإن قوى الوجود العظمى تظهر كما ذكرنا بعد جمع نقاط وجودية متفاوتة في قيمتها ودرجتها في مكان واحد وزمان واحد، إذ إن ذلك الاجتماع يقود إلى توليد تلك القوى وإن كان علماء الطبيعة يسخرون من هذا إلا أن للفلسفة كلاماً آخراً، فالارتفاع العالي والانخفاض الواطئ قوة، والحرارة الحارقة مع البرودة القارصة قوة، والغضب الشديد مع انشراح الصدر قوة وهكذا، فقوى الوجود فلسفياً تعود في حقيقتها إلى اجتماع زماني ومكاني لمتضادات وجودية تقع في أطراف متفاوتة أيما تفاوت.

إن نفس هذه الفلسفة يجدها العقل بينة واضحة في الأنوثة، التي هي مزيج من الهيبة والصمت والتستر والسكون، وهي في نفس الوقت موضع للجمال والرقة والنعومة والحركة الخاصة بها، وهذا التمازج بين الصفات الواقع في أطرافه المتفاوتة بدرجة عالية قادر على صناعة قوة جبارة في الجوهر الأنثوي، قوة لا يمكن للإنسان التعامل مع رقتها المتجسدة بضعفها الاجتماعي والمؤدي إلى عدم تقبلها النفسي في حالة ولادتها كأنثى.

إن الجوهر الأنثوي جوهر صبور فقط عليه أن يوجه حبه إلى جهة ما يصبر عليه وعندها سنرى صبراً لا مثيل له، والجوهر الأنثوي جوهر عفيف فقط عليه أن يوجه حبه إلى جهة العفة وعندها سترى عفة منقطعة النظير، وهو كذلك جوهر مفكر وجوهر له ذكاءه الخاص وغيرها من الصفات.

إن قوة الحب هي قوام الجوهر الأنثوي والتي تمكنه من تجاوز كل الحدود الصعبة التجاوز طبيعياً، فالجوهر الأنثوي هو موجود متفاوت الأطراف بشدة، وهذا التفاوت الشديد أدى إلى صناعة أعظم قوة وجودية فيه وهي قوة الحب، التي صنعت بدورها الجوهر الأنثوي والذي هو أقوى جوهر وجودي موجود في عالمنا مطلقاً، وكلما اقتربت الموجودات بحركتها من ذلك الجوهر الأنثوي الفريد صار لها صفات مذهلة وحالات رائعة، لكن هذا الجوهر ليس من السهولة الاقتراب منه إلا بامتلاك ما يؤهل إلى صناعة قوامه وهي قوة الحب، لذلك تجد أن الإنسان من النادر أن يمتلك هذا الجوهر، وهذا الكلام ينطبق على المرأة والرجل، فليس كل امرأة تحمل جوهراً

أنثوياً، وليس كل رجل لا يحمل ذلك الجوهر الفريد وإن كانت المرأة بحسب طبيعتها الجسدية كامرأة هي قريبة بشكل مادي كبير من ذلك الجوهر الفريد، لكنها لا تعلم بذلك ولو علمت لانذهلت مما تستطيع أن تفعله بقبضتها المنفردة المستمدة قوتها من روحها المتعالية النابعة بدورها من جوهرها الأنثوي، أما الرجل فهو بعيد جسدياً عن ذلك الجوهر الرفيع، لكنه بعقله يمكنه أن يقترب منه بعد أن يجعل عقله متجاوزاً طبيعته الجسدية ليستطيع تحطيمه والخروج من أسرهِ ليلمس بعد تحرره عن قرب ذلك الجوهر الأنثوي العظيم.

[ 96 ]

## لغة عقولنا ولغة الكون

لابد أن يفهم الإنسان عقلهُ جيداً، ليس فقط على مستوى مراقبته أو اكتشاف عوالمه، بل على مستويات أعمق من ذلك، وأهمها معرفة أن العقل لابد أن يتعامل بدقة مع التغيرات الكونية الخارجية، فالناس لا يعلمون أن العقل الإنساني ولكي يسير بالاتجاه السليم في هذه الحياة فعليه أن يتصرف تبعاً للتغيرات الكونية، فيخضع إذا ارتفع الكون من حوله ويرتفع إذا شعر أن الكون لابد أن يرتفع به، ويطمئن إذا عقد صلحاً مع الكون.

وهذه التغيرات الكونية على المستوى الفلسفي هي العقل الكوني الخفي الذي لا يمكن السيطرة على العقل وضبطه إلا بالاقتراب منهُ وفهمهُ جيداً، ومن أهم الأمور التي تثيرنا لفعل ذلك هي الحالات الايجابية والسلبية في الحياة، فإن حصول حالة إيجابية بالحياة بعد حالة سلبية يتضمن في داخلهِ دعوة إلى تبديل نوع حديث العقل الخفي، فليس من الحكمة أن نخاطب الكون بلغة واحدة على طول الخط، إذ إن هذا الخطاب سيكون خطاباً معكوس التأثير، قليل الفاعلية لا يمكن أن يؤثر على الأشياء الخارجية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هنالك تأثيراً عكسياً مُعطلاً للعقل ولحركة الأشياء

خارج عقولنا، فإن ما على الناس معرفتهِ أن الحل كل الحل يكمن في أن نعرف لغة الخطاب للكون، وأن نعرف كيف نغير تلك اللغة وفي أي لحظة نغيرها وكيف سيتغير العقل تبعاً لتغير تلك اللغة، وعلينا أن نعرف أن تجاهل الناس لهذه الحقيقة سيسبب موتاً تدريجياً خفياً لعقولها، ذلك الموت سببهُ التفاوت بين لغة عقولنا ولغة الكون التي لم نفهمها جيداً.

إن العقول تتعمق في فهمها للكون بحسبها وبحسب ما تحمله في داخلها من علم يمكنها من التقاط ما يمكن التقاطه من الاشارات والحركات والتغيرات من حولها، لكن تلك العقول لابد أن تكون متعالية فوق الحدود الطبيعية للالتقاط حين تحاول أن تتعامل بأسلوب آخر مختلف تماماً عن مجرد الحركة والانتقال في المعرفة من صورتها الشكلية الصورية إلى صورة أخرى متقدمة، وهي لغة الحديث بلغة كونية خاصة، إن الناس ربما لا تفهم عن قرب معنى أن لغتها تتغير بطريقة غير مقصودة منها ومن دون تدخل واعٍ في تحديدها، إن لغة العقل تختلف بحسب لغة الكون، فلا يتصور الناس أنهم في تجرد عن الكون في مقالاتهم وأفكارهم وقراراتهم، وهم ليسوا كذلك في لغتهم بما فيها حتى كلمات هذه السطور، هي ليست سوى لغة انعكاسية للغة الكون في عقل كاتبها لا أكثر، إن لغتنا ليست موضعاً لتحكمنا أبداً وإن بدت كذلك، فليست ثقافة الإنسان وكثرة اطلاعاته أو مستوى قراءاته هي من يتحكم بلغته، ولو كان الأمر كذلك لما صدر من اصحابها إلا ما أدخلته فيها، لكن الأمر ليس كذلك، ولما صدر من المنقطعين عن تلقي القراءة والاطلاع إلا العدم منها.

إن لغة العقل متأثرة بقوة بلغة الكون لا بلغة الموجودات الكونية كالكتاب وغيرها، وإذا كان هنالك تأثير للكتاب والقراءة والمُدارسة والمباحثة فليس هنالك تأثير مباشر لها، إنما التأثير يكون من خلال صناعة ممر عقلي بين عقولنا وبين وجودات كونية حقيقية، يستطيع الإنسان تلمس هذا الشيء وقبضه عن قرب من خلال الأفكار التي تتوهج في عقله فجأة وبلا سابق إنذار ومن دون أي مصدر خارجي للمعرفة ومن دون أي تأثير خارجي على عقله أحياناً، كل ما في الأمر أن هنالك ارتباطاً عقلياً مع الكون، ذلك الارتباط مصدره تحدث الكون بلغة تحدثاً مستمراً مطلقاً وفي لحظة زمنية معينة، فإن عقل الإنسان يسمع تلك اللغة ويستجيب لها ثم يُعيد التلفظ بها ونطقها من جديد، هو يفعل ذلك بمعرفة منه أحياناً أو من دون معرفة، فإذا فعل ذلك بمعرفة منه فقد صدرت منه حينها أعظم الأفكار والكلمات، وإلا فإنه لا يصدر منه إلا فقاعات، فالكون والعقل يعملان معاً ويتعاضدان في العمل، والإنسان لا ينطق بأي لغة إلا لغة الكون ويتوسل ألفاظه الخاصة به لنطقها وإفهامها غيره، لكن الكون لا ينطق بطريقة إبداعية لنا إلا إذا التفتنا إلى لغته وفهمنا ماذا يقول، أما إذا لم نفعل فالأولى ألا ننطق بلغته لأننا حينئذ لا ننطق إلا حماقات ولغواً فارغاً من كل معنى.



[ 97 ]

# إحياء الحكمة بالسفر نحو البرية

إن الفلسفة لا تحتاج إلى مؤونة مادية كبيرة بقدر ما تحتاج إلى عقل متحرر، ليس عن العادات والقواعد الفكرية الصارمة في بعض المفاصل الفكرية فحسب بل متحرراً في سلوكه مع نفسه، فالسلوك مع النفس نادراً ما يتحرر منه عقل بشري، إذ إن سلوك الإنسان مع نفسه - وكما هو واضح - هو أمر يتوالد ويتدرج بالتوالد من خلال عادات حياتية يومية منذ الطفولة إلى مراحل عمرية متقدمة، ولأن المصدر الرئيسي لتوليد سلوكنا النفعي هو الحياة كلها بتفاصيلها الرقيقة ومتغيراتها المتنوعة من التعليم المدرسي - المنقوص إجمالاً - إلى التعليم الجامعي الذي تحكم به المال بشكل واضح منذ زمن بعيد إلى يومنا هذا، وحركة الحياة المستمرة بلا هوادة أو انقطاع كل هذا الصخب وكل هذه الفوضى تبعد الإنسان عن معرفة نفسه كثيراً.

لذا فإنه من الصعب على الإنسان إيجاد نفسه في وسط صخب هذه الحياة، لذا يحتاج لكي يُحيي فلسفته والحكمة المكنونة فيه أن يسافر، لكن ليس أي سفر بل يحتاج أن يخرج عن كل ما تحمله المدنية من تشعب واضطراب، يسافر إلى منطقة نائية بعيدة ولو لفترة

محددة من الزمن دون صحبة أي شيء إلا الضروريات التي تمكنه من حفظ حياته، وهذه العملية بذاتها مفيدة جداً وخاصة للشباب وإن كانت لا تخلو من مخاطر واضحة إلا أنها مفيدة في تنظيم كل شيء داخلي وبناء كل شيء من جديد وبانطلاقة صحيحة، أما ردود فعل المجتمع فهي ليست ذات شأن قوي إذا كانت الغاية سامية ورفيعة إلى هذا المستوى أما مع تعذر تحقيق هذه الخطوة فلا بأس باستبدالها بخطوة أقل وهي الانعزال في أماكن محددة ولفترات قصيرة مدروسة تكون بديلاً عن ذلك السفر.

إن السفر نحو البرية يؤدي إلى صناعة جسد سليم نقي، وبالتالي فالعقل يتحسن وهذه العلاقة بين سلامة الجسد والعقل صحيحة حتى قيل قديماً ( إن العقل السليم في الجسم السليم )، وهي مقولة صادقة تماماً وشريطة ألا يعيش العقل الطغيان ولا الغرور بجسده، فإذا حصل معه ذلك سيكون العقل مغادراً عن ذلك الجسم، وخير للعقل في هذه الحالة أن يكون في جسم مريض لا جسد سليم، إذ إن المرض يصنع جزءاً من الفلسفة في أعماقه.

وعلى أية حال فإن البرية تزيد من فرصة الجسم السليم، الذي بدوره سيصنع عقلاً سليماً ولو من الناحية الأولية العلمية، والعقل السليم هو قوام التفكير الفلسفي، كما أن السفر نحو البرية كسبيل لإحياء الحكمة يوفر فرصة كبيرة للتأمل البحث المجرد عن كل آراء مغايرة، إذ إن من الاخفاقات البحثية التي من النادر الالتفات إليها في حياتنا العلمية هي المبالغة في البحث عن المصادر العلمية إلى درجة التشويش في الرؤية، التي قد تنتهي بموت السليقة الفكرية

الابداعية عند أصحابها، وفي السفر نحو البرية لا يكون مصدر العقل إلا الموجودات الطبيعية مع الفكر المجرد من التشويش والغبش.

إن القوة الموجودة في الطبيعة النقية إذا مُزجت مع قوة الفكر المنقطع عن مصادر معرفية أخرى ستُفجر في أعماقه قوى فكرية ذات بُعد حكمي رفيع وذات قيمة فلسفية متعالية، كل ما في الأمر أن فوضى الحياة المعاصرة قد قوضت الأبعاد الحكمية والفلسفية للفكر ودفنت تحت انقاضها نقاء الرأي ودقة البصيرة.

إن السفر نحو البرية يجعل نفس الإنسان مائدة بحثه الأولى ومادة العقل الدسمة يقلبها كيف يشاء، ويتحرك بين طياتها ويدقق في تفاصيلها ويبحث بين أزقتها الضيقة ليمكث بعد رحلته في مساكن استقرارها فيطمئن في آخر المطاف بين أحضان أمه الطبيعة، تلك الأم التي لم يعد لها وجه واضح بعد مخلفات الإنسان الصناعية وهوسه المستمر بإبداعه العمراني اللامسؤول، والذي استأنس به الجنس البشري واعتبره معياراً للتقدم والتحضر، وهو لا يعلم أن تلك الثورات الصناعية والعمرانية قد أدت إلى تغيير خارطة عقله الفكرية من جهتين، الأولى: جهة تغيرها بعد اسقاطات الانجازات الحضارية على فلسفته وأفكاره، والتي هي بدورها لم تعد نقية بسبب ابتعاد تلك الانجازات بشكل تدرجي تاريخي عن منبعها الاصيل، والثانية: إن فلسفتنا قد تغيرت كثيراً بعد هذا الذي صنعه الإنسان بيده، تغيرت إلى مستوى أنها ابتعدت عن روحها العليا وهي الحكمة، التي لم تفارق الفلسفة منذ نشوئها لكنها في نهاية المطاف

قد فارقتها، وصارت مهمة ارجاعها إلى أحضان تلك الروح أمراً شبه مستحيل بعد هذا التراكم الفكري الهائل.

فالحكمة إنما تنمو وتزدهر في العقل بعد تركه لكل المخلفات والعودة إلى نقطة بداية هادئة ساكنة على مستوى عقله وعلى مستوى ما يحيط به من موجودات، وهذا الأمر ربما لا يمكن تحصيله في حياتنا المعاصرة إلا بمحاولات قد تفتح باباً للأمل في إحياء الحكمة، ربما أهمها إن لم نقل أن الأمر منحصر بها هو السفر نحو البرية لإحيائها.

[ 98 ]

# يجب أن نُعلم أبناءنا أحياناً مخالفة الاتساق

الاتساق هو حالة الوئام والتلاؤم التي تقع بين الاشياء عموماً، وهذه الحالة لا مقياس واضح لها سوى عقول الناس وإدراكهم، فالبعض يرى في مجموعة أشياء أنها متسقة ومتلائمة، والبعض يرى في نفس تلك المجموعة أنها ليست كذلك وهكذا، فالاتساق شيء نسبي متغير بحسب طبيعة الفكر ومستوى الثقافة، وربما أوضح دليل على نسبيته هو الاتساق غير المكتمل دقياً في العلوم التخصصية كالاتساق الرياضي أو الفيزيائي أو الكيميائي...الخ والتي تعتبر اتساقات عند أهل الفن، لكنها ربما ليست كذلك عند غيرهم، ومن قبلها الاتساق الفلسفي والذي اعتمد في هيكليته على اتساق عقلي متذبذب، والعلوم عموماً اعتبرت أنَّ الاتساق هو معيار مهم وجميل لصحة المعرفة التخصصية، وهذا واضح لمن درس بتمعن العلوم الحديثة أو تخصص فيها، فالاتساق بين المفاهيم أو الأفكار أو المعادلات أو الصياغات الرياضية هو المعيار الأكمل لصحة الأشياء والمفاهيم.

فإذا عرفنا كل هذا فلا يفوتنا أن نعرف أيضاً أن الاتساق مع كل هذه

الفوائد التي يحملها في طياته إلا أنهُ معطل للإبداع حقيقة، فالاتساق كأسلوب فكري يرسم الخطوط العامة للحركة الذهنية ابتداءً، ويحدد لنا محاور التحرك الاستدلالي، فهو تحصيل لعملية مستحصلة مسبقاً تقريباً، كل ما في الأمر أننا نضيف بعض الخصوصيات بحسب كل حالة، لذا فإن الاتساق الفكري الذي نعهدهُ في العلوم هو اتساق جميل يخفي خلفهُ تأخيراً وتراجعاً واضحاً للعملية الإبداعية، وإن ما يجب على الناس تعليمه لأبنائها منذ الصغر هو مخالفة الاتساق ولو بالمقدار الذي يعلمهم أنهم يجب أن يكون لهم طريقتهم الخاصة بالحياة، وأن يكون لهم فلسفتهم التي يصنعونها بتجاربهم واطلاعاتهم الخاصة، ومن الأمور التي تساعد على صناعة هذه البيئة اللاإتساقية هو أن يكون العمل بطريقة المجموعة ومحاولة زراعة أفكار داخل تلك المجموعة الواحدة تُلهم أفرادها الحركة الذهنية بأسلوب اختياري، كاختيار نمطية معينة للمشي أو الأكل أو القراءة أو الرسم أو نوع المسموعات والمشاهدات وغيرها، فهذه الخطوة على بساطتها الشكلية إلا أنها ذات دلالة عميقة في العقل البشري لصناعة أسلوبه التفكيري الخاص به الذي لا يخضع بدوره إلى أنظمة اتساقية متناغمة مع بعضها البعض بطريقة تجعل مفهومي الخطأ والصواب يمثلان عبئاً مستقبلياً كبيراً على العقل الإنساني، إذ إن كل عملية تحرر مستقبلية للعقل لا تحدث إلا بصعوبة بالغة ما دام ذلك العقل غُذي في فترات زمنية سابقة على الرضوخ إلى تعقلات ومفاهيم صعبة الانثناء عن النظام العام ومستحيلة الانحراف عن النظام الاتساقي الجميل شكلاً والصارم مضموناً.

إن ما يفعله البشر مع البشر من عرض أفكار الاتساق النظامي

والتجاوب المتبادل بين عقل الفرد وعقل النظام المسيطر على ذلك الفرد لهو أمر خطير حقاً، وخطورته متشعبة في كل مكان تقريباً، إن الإنسان في الوقت الذي يجب عليه أن يُسخر الاتساق في النظام لخدمة ذاته والارتفاع بنوعه يجب عليه أن يحمي عقله من الانصياع المطلق للنظام الاتساقي مهما كان شكله العام جميلاً ومهما كان بريقه أخاذاً، فيجب الحذر منه ومراقبة عقولنا جيداً لو حصلت حالة تأثر عام وحالة تساوق مطلق في عقولنا مع ذلك النظام، كما يجب الحذر من زراعة الأنظمة الاتساقية في البيئات المحلية أو العالمية، لأنها ستقود مستقبلاً إلى صناعة جيل غير مبدع بالمرة، ولا يُجيد سوى لغة بحثية أكاديمية ذات حركة محدودة غالباً في آفاقها المعرفية الكلية رغم ضخامة خطواتها البحثية وسعة مواردها الثقافية، إلا أن الأمر في واقعه ليس كذلك، فالعالم اليوم لا يسير هكذا إن لم نقل أنه خُطط له ألا يسير هكذا وعلى مستويات مختلفة أتبعت نوعنا البشري وارهقت عقله، ولن يستطيع الإنسان العودة إلى سكينته حتى يُعلّم نفسه كيف يُخالف الاتساق.



[ 99 ]

# الفوضى تبدأ بالخوف من الموت

لابد أن نعلم أن الناس بمختلف أطيافها وتوجهاتها الثقافية تُظهر غالباً فوضى وعدم نظام في حياتها بطريقة متوقعة نادراً وغير متوقعة أحياناً، بحيث أن تلك الفوضى تظهر في طريق الإنسان بتولدات فجائية وضمن تسلسل زمني غير مُحدد، يبدأ من ابسط الأمور غير الملائمة له حتى تستمر بعدها بالتدرج إلى أمور أكبر متعلقة بالأسرة ربما أو متعلقة بالصحة الجسدية أو متعلقة بعمل الانسان أو مصدر معيشتهِ، وكل هذه الأشياء تظهر أمام الإنسان بتشخص تام بحيث أنها تتلبس به وتسيطر على تفكيره كلياً وتشل قدراً مهماً من حركتهِ اليومية، أضافة الى أنها تولد الوحدة عنده وتجعله ضحية للانفراد والعزلة السلبية المحطمة للكيان الإنساني، ولأن الناس تنشغل عموماً بتلك الفوضى التي تعتري حياتها وتقتحم فيها عنوة فهي لا تلتفت إلى أسبابها البعيدة وإن التفتت إلى أسبابها القريبة أحياناً.

وأسباب هذه الفوضى وإن تكاثرت وتنوعت إلا أنها لابد أن تعود إلى سبب عميق خفي، وهذا بإجماله واضح عند بعض أهل العلم، وإن كان بتفصيله قد ندرت معرفته عند البعض الآخر، إن أسباب تلك الفوضى تحديداً يكمن في أمر مهم قد لا نلتفت إليه كثيراً، ذلك الأمر

يتجسد بخوفنا من الموت، فإن الخوف من الموت بدرجة تتجاوز الحد الطبيعي للخوف المكنون في نفوسنا كبشر سيجعل الأمور الصغيرة كبيرة وسيجعل كل شيء لهُ درجة من الاستقرار مضطرباً مرتبكاً، وهذا يعني أن الفوضى ليس لها وجود خارجي مستقل كما نتصور ولا منبع ذاتي للتولد كما نعتقد، فهي شيء متحقق في أذهاننا وهي نتيجة طبيعية لنسيج منتظم بين حوادث تكرارية في الحياة وبين الخوف الشديد من مغادرة هذه الحياة بعملية بايلوجية إنهائية وبأي سبب كان، عندها سنصنع لا إرادياً ذلك الشيء الذي أسمه الفوضى الحياتية، وبالتالي فإن الناس سيصنعون فوضاهم بأنفسهم وهم لا يشعرون.

فالفوضى التي يصنعها الخوف المفرط من الموت هي فوضى شديدة قاتلة خانقة لصاحبها ومُعقدةٌ لحياته، فالموت ليس سوى حقيقة حياتية تتجسد مفهومياً بسلوك يحتفظ بها كمرحلة وسطية بين الوجود والعدم وإن كانت في عقله تمثل عدماً أبدياً أحياناً أو بوابة عظيمة نحو الحياة بحسب الهيكلية المعرفية لذلك العقل أو يحتفظ بها كمرحلة بعيدة التحقق لعدم وجود أسباب قريبة لتحققها بحسب إدراكات ذهنه المحدودة، وبين هذين الاحتفاظين العقليين مع مفهوم الموت يتجسد شعوران للتعامل معه، الأول: شعور تقبل حصوله والسعادة بحصوله لأسباب يفهمها مع رأي فيه أنه سبب لتحقيق السعادة، والثاني: شعور معاكس له في الرؤية ومضاد له في التوجه، وهو شعور الخوف من حلوله والارتعاب من نزوله به، وهذا الخوف والارتعاب يجعلان استعمال مفهوم الموت عند العقل في حركته الفكرية اتجاه القرارات الآنية في الحياة معضلة

كبيرة وعقبة صعبة التجاوز، فالخوف من الموت يقضي على مفهوم السعادة المتحصل من فتح بوابة جديدة أكثر أملاً وأقل اضطراباً عند بعض العقول في مقارناتها وقياساتها العلمية واتزاناتها النفسية، وإن القضاء على مفهوم السعادة وغلق تلك البوابة الاضطرابية هو أمر شديد بحد ذاته على الطبيعة التفكيرية للعقل، فيصير الحس بالنسبة له ليس مجرد أداة تزويد لحظي بالمعلومات بقدر ما يكون نفس الحس أداة لإدخال المعلومات الممزوجة بالشك والريبة والتوجس والحذر والتدقيق والارباك والانفعال الضدي المفاجئ، فيكون ما فيه مادة الفكر الأولى لصناعة التعقل هو عينه مادته في صناعة جهله واضطرابه، وعندها لن يتحرك الإنسان إلا بجهله وغفلته وبالتالي اضطرابه.

إن الاجدى للناس هو أن تتعامل مع مفهوم الموت بتحكم عقلي رفيع وانضباط نفسي مقتدر، يتمثل في النظرة الواسعة للوجود والتعمق بفلسفة الأشياء من حيث تحققها أو طبيعة حركتها وتنفس السعادة في كل شيء، فإن حرمان الإنسان من رؤية السعادة في أجمل الأشياء وأقبحها سيكون سبباً لصناعة الخوف من الموت، إذ إن الخوف من الموت هو بديل يصنعه العقل ليعيش السعادة اللحظية، فالخوف حين يتحقق في الذهن مع عدم تحققه في الخارج يصنع سعادة خفية للعقول التي لا ترى السعادة في كل شيء حولها وتعجز عن تنفسها في الموجودات المحيطة بها، فإذا حصل الخوف من الموت صارت فوضى الحياة انعكاساً طبيعياً لحس مملوء بالشك والريبة، وعقل يبحث عن سعادة غائبة وموجودات حياتية تحوم حول العقل لا يراها إلا سواداً حالكاً لونه وليلاً مظلماً لبه، وهذا بحد

ذاته ثورة من الضياع لن يشعر بها صاحبها فحسب بل هي ستحيل المجتمع كله إلى موت يتجسد بهيئة مجتمع متحضر يبتسم ببلاهة ويغط بفوضى عارمة لا تهدأ.

[ 100 ]

# حين نقترب من الحقيقة لابد أن نبتعد عنها

الحقيقة شيء يختلف حسب ثقافة الأجيال، بل (أي الحقيقة) تختلف بحسب ثقافة الجيل الواحد، ولا نبالغ إذا اعتبرها العقل أنها تختلف في الفرد الواحد بحسب الظروف المتفاوتة والأزمنة المختلفة، لكنها (أي الحقيقة) تبقى حقيقة عند صاحبها وما دونها لا يكون كذلك.

لذا فإن الفكرة الدقيقة للحقيقة ليست سوى أفكارنا الخاصة للأشياء، فالحقيقة ليست شيئاً ندعو الجميع إليه بقدر ما هو شيء شخصي وخاص إلى درجة كبيرة، والحقيقة يفترض أن تتحرك بين الناس ضمن هذه الحدود ولا تتجاوز أكثر من ذلك، إذ إن تجاوزها بحد ذاته يخالف نفس فكرة الحقيقة أي أنها ستخالف مفهومها وتعريفها لو وسعناها الى هذا المستوى، ولأن الحقيقة هي سمة الشيء الشخصية فمن الطبيعي أن كل إنسان لابد أن يخطو خطوات للاقتراب من حقيقته التي ينشؤها، وهذه الخطوات لابد أن تكون خطوات جادة ناتجة من قناعة ذاتية وانعطافة عقلية مهمة ذات أبعاد نفسية مؤثرة، وكل هذا يحصل بلحظة ربما أو أكثر من ذلك أو أقل

بحسب شدة التأثير للحقيقة، وكل هذا جيد وربما يتعرض لها الناس باستمرار، لكن ما لا يعلمونه ربما أن في هذا الوجود قانون يحكم الاقتراب من الحقيقة، يتمثل في أننا حين نحاول أن نوصل أنفسنا إلى تلك الحقيقة فإنها ستبتعد عنّا بمجرد أتخاذنا خطوات جادة للاقتراب منها، والسر في ذلك أن الحقيقة ولأنها شخصية فلابد أن تكون ذات تأثيرات شخصية نفسية أيضاً، لأنها ليست سوى التعقلات المتواجدة فينا، فهي التي تحركنا وهي التي تتحكم بخطواتنا وهي التي تقرر لحظة الاقتراب وهي التي تقرر لحظة الابتعاد أيضاً.

فهي عاقلة لأن مصدرها تعقلاتنا فما يقترب ويبتعد هو عقولنا نفسها، فعقولنا هي من تقترب من عقولنا وهي من يبتعد عنها، وبالتالي فإن الاقتراب من الحقيقة ليس أمراً متاحاً لكل أحد كما أن الابتعاد عنها متوقف على درجة القرب من تلك الحقيقة العقلية المهمة، فزيادتها يعني زيادة فرصة الابتعاد والعكس بالعكس، إن الناس لا تعلم بهذه الحقيقة لذا تجد أن اقترابها هو عينه ابتعادها، لكنها تنزعج من ذلك الابتعاد رغم أنه من أهم علامات الاقتراب، كما أنها تتمنى الاقتراب من بعض الحقائق العقلية رغم أنها في ابتعادها عنها هي في أقرب نقطة منها.

إن ابتعاد الناس عن الانفعال مع الحقائق العقلية وعدم الدخول في التفاصيل المعرفية هو في حقيقته اقتراب منها كل ما في الأمر أن الناس تتجاوب مع ابتعادها الذي هو ليس حقيقتها لكنها لا تعلم بذلك، الناس تحب المعرفة لكن ما لا تحبه هو أسلوب المعرفة، والناس تحب الحكمة لكنها تكره أسلوبها، فالجميع يبحث عن

المعرفة والجميع يبحث عن الحكمة والجميع يكره الجهل والجميع يحب العلم، مشكلة الناس أنها تبحث عن المعرفة والحكمة بحواسها فقط، وتتلمس اكتشافها برغباتها وميول غرائزها، لكنها لا تعلم أنها بأسلوبها هذا لن يكون تحصيل المعرفة والحكمة والعلم إلا حلماً صعباً تحصيلهُ بعيداً منالهُ.

الناس تبحث عن المال وهي في حقيقتها تبحث عن العلم والحكمة والمعرفة فيه، وهي تبحث عن الأولاد وهي في حقيقتها تبحث عن العلوم الحكمية والمعرفية فيهم، وتبحث عن الجمال وهو بحث عنها أيضاً وهكذا، الناس دائماً تبحث عن العلم وهي دائماً ساعية نحو الحكمة وهي لا تنفك تطلب المعرفة، ولأنها كذلك فهي قريبة منها لكنها لا تعلم بقربها، أما الملتفت لقربه منها فهو بعيد عنها لأنه حينئذ يبدأ بتعقلها بعمق ويبدأ بإدراك ابتعاده عنها، إن هذا الأمر لن يتوقف بعد حصوله عند حدود الإدراك العقلي بل يتوسع إلى المعرفة المؤثرة في السلوك، فالسلوك يبدأ بالابتعاد والتغير تدريجياً، فالقرب الشديد يقود إلى تدرج في الابتعاد السلوكي، وهذا الابتعاد السلوكي ليس سوى إقصاء لوثبة كبرى وانطلاقة عظمى.

فما يجب على الناس فعله بعد معرفتها هذه أن تُطور من قدرتها على التأمل في جميع احوالها سواء اختفت من عقولها الحقائق العقلية أو ظهرت عندها، وألا تتراجع فيما لو اضطرب عندها الفهم أو رفضت نفوسها التعامل مع المعرفة بصورتها الفلسفية المعرفية، فإن استجابة الإنسان لتراجعه ليس سوى هزيمة كبرى لن ينهض بعدها أبداً، وخسارة أبدية لن تمكنه من الحركة التقدمية

مطلقاً، فليتحرك الإنسان مع تأمله العميق وليأنس تجاوز الصعاب العقلية ولا يفرح بتلذذه بأشيائه السهلة التي تحيط به من كل مكان، فإذا فعل ذلك بإصرار على التعلم واستمر على ذلك لفترة ليست بالقصيرة عندها سيصل إلى مرحلة جيدة، وهي أنه لا يكتفي فقط بإدراك الحقائق العقلية، بل إنه يستشعر أن ابتعاده عنها هو قرب منها واقترابه منها هو ابتعاد عنها، وبذلك سيصير مقياساً رائعاً وضابطاً مرتفعاً ليس فقط لقوة درجة ظهور تلك الحقائق بل لحركة الوجود ككل اقتراباً وابتعاداً، وهذه هي بداية مهمة وانطلاقة رائعة لتعلم أهم العلوم المهملة في زماننا والتي أدار الإنسان ظهره لها، إنها بداية تعلم حقيقة الإنسان.

# خاتمة

وفي الختام فإن ما سُطر في هذه المقالات من أفكار هو مجرد مُحاولة مُتواضعة لفتح نافذة صغيرة لعالم المعنى ورؤية محدودة لخفايا النفس، وهي لا تمثل نهاية الطريق بطبيعة الحال لشدة نور عالم المعنى من جهة ولدقة مسلكه من جهة أخرى، كل هذا مع صغر حجمنا وتحجم عقولنا.

كتبت كتاب الإنسان وأنا مملوء بالغفلة والسهو مشغولة نفسي باللعب واللهو، لذا فلا يظنن القارئ الفطن أنني مما ينطبق على ما كُتب في هذا الكتاب، بل أنا أشد الناس خسارة لعلمي بما هو مكتوب وابتعادي عملاً مما هو مرجو ومنصوب.

وفي الختام لا يسعني إلاّ القول أني انتظر منكم كما تنتظرون، فكلنا ننتظر من الإنسان ومن عين الإنسان.

**ميثاق طالب كاظم الظالمي**

١٢/ ١٢/ ٢٠١٨ م

أيها القارئ الكريم

إن هذا الكتاب ليس كتابًا تقليديًا كباقي الكتب التي قرأتها على طول مسيرتك في البحث عن المعرفة واكتشاف الحقائق والإحاطة بالذات، فهو كتاب لا يحتاج منك إلى أي مقدمات علمية ولا يطالبك بأي درجة تخصصية ، هو كتاب لا يحتاج منك أيها القارئ العزيز سوى الى رغبة حقيقية تدفعك لفهم الإنسان ذلك الكائن الذي كان ولا يزال حديث الحكماء والفلاسفة والأديان على طول المسيرة التاريخية للنوع البشري، وكلٌ تناوله بطريقته ونظر إليه بأسلوبه، لكن نظرة هذا الكتاب مختلفة كثيرا، فهي نظرة لم تعتمد الادوات التقليدية والمصادر البحثية ولا الدراسات التخصصية ولا النظريات العلمية ، بل هي نظرة متفردة انطلقت من الانسان نفسه من دون إضافات أو رتوش أو تجميل لمنهج معين أو فلسفة محددة، فهو كتاب حلّق بعيداً وارتفع كثيراً ليتجاوز بتحليقه كل الثقافات ويتخطى بارتفاعه كل ما للدين من جدل وللفكر من عقبات.

ISBN 978-614-420-650-8

9 786144 206508

eight
009613 017565




الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com